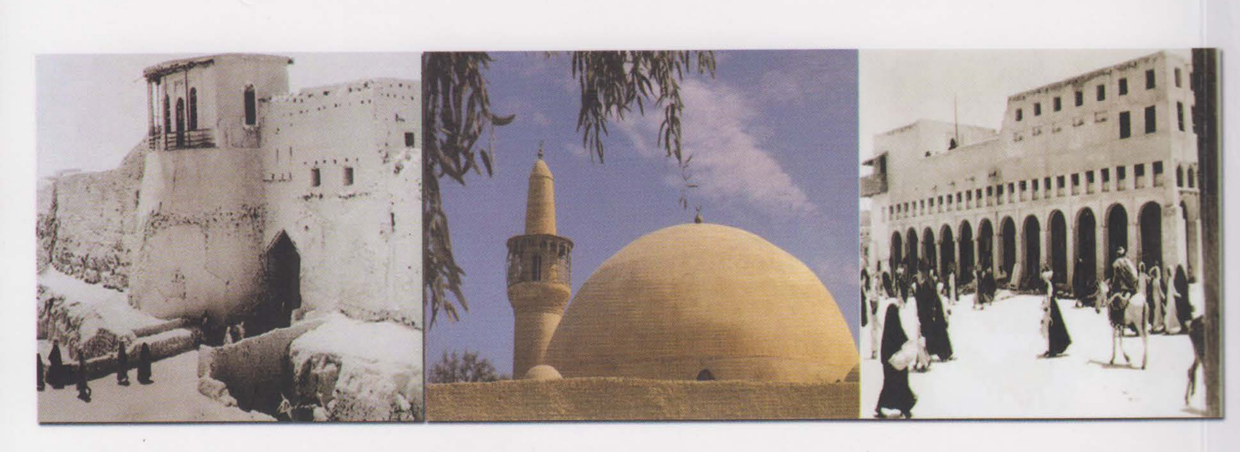
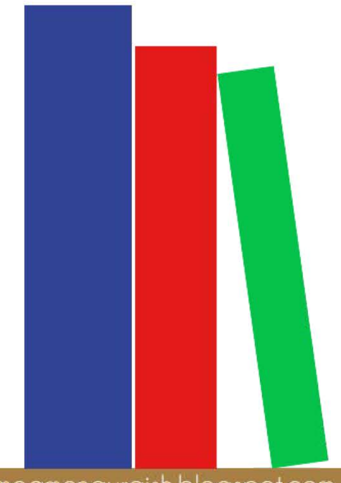
هجر ما قبل النفط

لمحات من الحياة التقليدية في الأحساء قبيل ظهور النفط



عبدالله الهاشم





هجــر ما قبل النفــط

لمحات من الحياة التقليدية
في الأحساء قبيل ظهور النفط

هجر ما قبل النفط

الكتاب: هجر ما قبل النفط

المؤلف: عبد الله الهاشم

فهرسة مكتبة الفهد الوطنية أثناء النشر

رقم الإيداع: ١٤٣٢/١٠٥١٤

ردمك: ٩٧٨-٩٩٦٠-٦٩١-٧٣-٢

تصميم الغلاف/ التدقيق اللغوي/ الإخراج: زيزفون للنشر وصناعة الكتاب

www.zizafon.com

الناشر: الدار الوطنية الجديدة



الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع

www.bookshop.com.sa

موقعنا على الإنترنيت

المملكة العربية السعودية - الخبر: 31952 ص.ب 349

المكتب الرئيسي: -8640040 8644485 فاكس: 8644458 - 03

بريد الكتروني : puplishers@aljabre.com

لخدمات النشر : wwwstrip5@yahoo.com

المكتبات والفروع في المملكة

الخبر: فرع مجمع الراشد 8993363

الخبر: فرع شارع الأمير محمد 8644470

الدمام: فرع مجمع العثيم: 8318444 - 03

الدمام: فرع مجمع مارينا 8094771

الأحساء: فرع مجمع العثيم 035311900

الجبيل: فرع مجمع الفناتير 033470503

مكتب توزيع الرياض 014055080

مكتب توزيع جدة 026656685

التوزيع خارج المملكة - مؤسسة عبدالعزيز الجبر العالمية

البحرين- ص.ب 10440 هاتف: 17813155فاكس : 17813255

دبي - ص. ب 25174 هاتف: 516740 - 04 فاكس: 043553539

هجر ما قبل النفط

لمحات من الحياة التقليدية في الأحساء
قبيل ظهور النفط

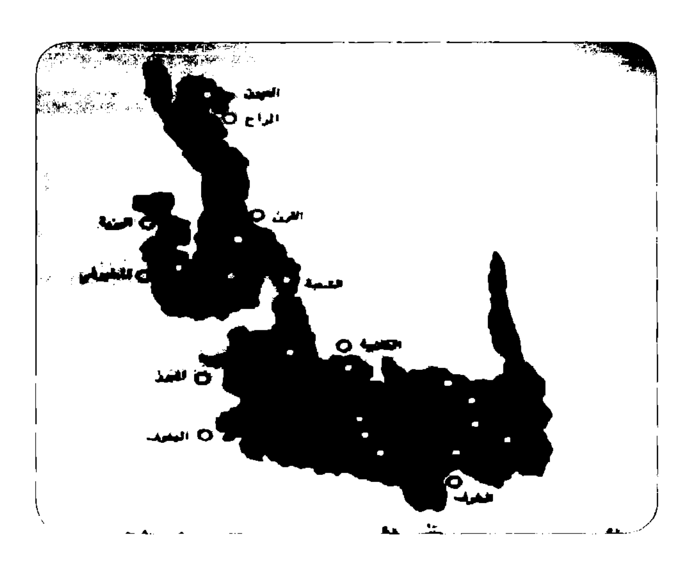
عبد الله الهاشم



الدار الوطنية الجديدة

الفهرس

تعـــــريفـــات



أتِني **Attene** اسم المنطقة في العصور القديمة، ظناً (واحة الأحساء – ف.هـ. فيدال، في مجّان وملوخا: من الممالك التي نشأت في هجر، وأشارت إليها المصادر (تاريخ هجر – عبد الرحمن الملاّ).

الجرهاء: مدينة أسسها مهاجرون كلدانيون بعد نزوحهم إلى هذه المنطقة، وكانت تسمّى قبل ذلك « مجّان»، فأصبحت من مراكز التجارة تنافس أكبر مدن العالم القديم. بدأت تضمحل عندما احتكر الباريثيّون تجارة الخليج بعد سيطرهم عليها عام ١٤٦ ق م، وحولت روما طريق التجارة إلى البحر الأحمر (صفحات من تاريخ الأحساء – عبد الله الشباط).

الخطّ: اقتصر اسم « الخط» على القطيف والمدن الساحلية على طول ساحل الخليج العربي (تاريخ هجر– عبد الرحمن الملاّ) ويرجع البعض اشتقاق كلمة « الخط» إلى لفظة « خاتني» **Chateni**، وهو اسم لقبيلة كانت تسكن هذه المنطقة قديماً



تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري (د. محمد بن ناصر الملحم).

جواثى: مدينة بالبحرين لعبد القيس، ولما أسلموا بنوا فيها مسجداً صليت فيه أول جمعة في الإسلام بعد مسجد رسول الله (ص)، تاريخ هجر – عبد الرحمن الملا) ولا تزال أطلال هذا المسجد قائمة حتى الآن.

الأحساء: قصبة هجر، وتسمى كذلك البحرين (تاريخ البحرين في القرن الأول الهجري. د محمد بن ناصر الملحم)، وقد درج الناس في القرون الأخيرة على استعمال كلمة « الحسا» بدلاً من الأحساء، تخفيفاً.

الأحساء: مدلول الأحساء تطور تاريخياً من موضع صغير حتى أصبح يُطلق على كامل المنطقة خلال القرن الرابع الهجري (الأمثال الشعبية في الأحساء– د. فهد المغلوث).

الأحساء: موقع محتمل" أنه كان قرية صغيرة في المنطقة في القرن الرابع الهجري تقريباً، بدأ استخدام كلمة الأحساء للمنطقة وتم التخلي تدريجياً عن اسم «هجر» (واحة الأحساء ف. هـ. فيدال).

هجر: اسم كان يُقصد به قديماً مدينة كانت قاعدة هذه البلاد (المعجم الجغرافي

للمملكة العربية السعودية. حمد الجاسر).

هجر: عاصمة المنطقة وكان يُطلق أيضاً على المنطقة ليشمل الواحات المحيطة (واحة الأحساء ف. هــ. فيدال)، وقد يطلق الاسم على جميع أراضي البحرين (تاريخ هجر – عبد الرحمن الملاّ).

هجر: سميت كذلك على اسم هجر بنت المكفّف من الجرامقة أول من سكن مدينة الجرهاء (صفحات من تاريخ الأحساء– عبد الله الشباط).

الهفوف: موقع، كان أغنياء المنطقة وتجارها وقادها السياسيون يملكون بساتين ونخيلاً فيه. ثم تحوّل إلى سكن لهم. ثم اتسعت رقعته (واحة الأحساء – ف.هــ. فيدال).

وللمؤرخين والبلدانيين أقوال متعددة حول ما كان لعموم هذا الإقليم، أو بعض أجزائه عبر العصور الماضية من أسماء، كهجر والبحرين والخط والأحساء. ففي حين يتبع مدلول هجر والبحرين والأحساء ليشمل الإقليم، عند باحث نجد الاسم ذاته يتقلص ويضيق ليقتصر على جزء من الإقليم، أو على مدينة، عند باحث آخر (تاريخ هجر – عبد الرحمن الملا).



الموقع الجغرافي للأحساء

تحتل الأحساء الجزء الجنوبي في المنطقة الشرقية، وتشكل مساحتها٪ ٦٤ من مساحة المنطقة و ٪٢٨ من مساحة المملكة وتمتد حدودها الجنوبية إلى اليمن والشرقية إلى عمان والإمارات العربية المتحدة والخليج وقطر وتصل حدودها الغربية إلى مدينة خريص والشمالية إلى «بقيق». مقالات في تراث الأحساء (م عبد الله الشايب).

وتبعد واحة الأحساء (ومدنها وقراها) عن الساحل الغربي للخليج العربي، بحوالي ٧٥ كم، وعن مدينة الدمام الواقعة إلى الشمال منها ١٥٠ كم، وعن العاصمة الرياض بحوالي ٣٢٠ كم. وتقع الأحساء بين دائرتي عرض ٢٢/٣٠° و ٢٥/٤٥° شمالاً وخطي الطول ٠٠ / ٤٨° و ٥١/٤٠° شرقاً مما جعل مناخها صحراوياً حاراً. ولانخفاضها تتجمع فيها مياه الأمطار المتساقطة على المناطق المرتفعة غرباً ولموقعها أهمية استراتيجية واقتصادية وحضارية جعل منها البوابة الرئيسية للوصول إلى معظم أطراف الجزء الشرقي والأوسط من شبه الجزيرة العربية. كما شكلت الصحاري الرملية المتحركة والسبخات المحيطة بالأحساء من الشمال والشرق والجنوب حائط صد طبيعي



منع الغارات الخارجية القادمة إلى المنطقة من تلك الجهات. وهي تعدّ أكبر واحة في العالم بمياه ذات تدفق طبيعي من العيون كما يوجد بها ميناء العقير الذي يعد المنفذ المائي الرئيسي لوسط شبه الجزيرة.

وقد حولت خصائص هذا الموقع الأحساء إلى ميدان تتصارع وتتنافس عليه القوى المحلية والعالمية. وكانت الأحساء المفتاح الرئيسي لنجد وإن كل الدول التي تعاقبت على فتح الأحساء كانت تتخذ منها قاعدة توسعية نحو بلدان الخليج، أو تحاول ذلك – (الأحساء دراسة جغرافية – أ.د. عبد الله الطاهر).

دور الأحساء الحضاري: تعتبر منطقة الأحساء جزءاً منها، إحدى مناطق العالم الحضارية. وكذلك قامت هذه المنطقة بدور أساسي عبر التاريخ بوصفها حلقة وصل بين مراكز الحضارة في العالم.

وكذلك تأثرت بمجموعة من الحضارات القديمة، كما أثرت فيها. (الأحساء دراسة جغرافية – أ.د. عبد الله الطاهر).

أهمية الأحساء الاقتصادية: قبل اكتشاف البترول كان لاقتصاد الأحساء نوع من الاكتفاء الذاتي. وإن بعض السكان كانوا يعيشون على مستوى الكفاف وبعضهم الآخر أقل من ذلك المستوى. وكانت الأمية والأمراض والأوبئة متفشية بين السكان.

واقتصرت الأنشطة الاقتصادية على الصناعات اليدوية (الأحساء – دراسة جغرافية أ.د. عبد الله الطاهر).

نبذة تاريخيـــــــــــة:

يعود تاريخ الاستيطان البشري في منطقة الأحساء إلى العصر الجليدي الأخير. حيث درجت على سواحل الخليج ثلاثة أجناس هُم الدرافيدي والحامي والمغولي. وفي القرون القليلة السابقة للميلاد كان الناس يعيشون في الحافة الشمالية لواحة الأحساء، ويستخدمون الأواني الفخارية التي تعود لحضارة العُبيد، التي ازدهرت في الشمال من واحة الأحساء، ويعود تاريخها إلى أربعة آلاف وخمس مئة عام قبل الميلاد. وقد بدأ التاريخ المدوّن لهذه المنطقة منذ سبعة آلاف عام. وبمرور عصر الزراعة يُعتقد أن شجرة النخيل هي ما اشتهرت به هذه الأرض. وقد طوّرت المنطقة حضارتها الخاصة بها وتبادلت السلع مع بلدان أخرى.

وتعتبر دلمون أشهر حضارة خليجية وتركزت في جزيرة البحرين. ويُرجّح أن مهاجرين كلدانيين نزحوا إلى هذه المنطقة وأسسوا «جرعاء»، التي أصبحت أهم مراكز التجارة واكتشفوا مغاصات اللؤلؤ ومنافذ البحار، التي عبروها، مسيطرين على طُرق التجارة قبل أن يحتكر الباريثيون في فارس تجارة الخليج، وتحوّل روما طريق التجارة إلى البحر الأحمر.

وكان نفوذ الدولة الفارسية قد امتدّ إلى البحرين بعد سيطرة الآشوريين عليها، حتى انتصار العرب من شيبان وبكر على فارس.

كما سكن البحرين من قبائل طسم وجديس المنتسبة إلى إرم، بنو هيف، وبنو زريق، وبنو مطر، ومن بين السكان الأوائل من الساميين، قوم عُرفوا بالكنعانيين،

ومنهم العمالقة، أولاد عمليق بن سام بن نوح. وإلى الكنعانيين يُنسب الفينيقيون الذين اتخذوا من جزر الخليج وسواحله الغربية سكناً لهم، قبل نزوحهم إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط. كما كانت هذه الأراضي مهداً لشعوب أخرى، كالسومريين والكلدانيين، ومنها هاجروا إلى بلاد الرافدين، وقد ظهر على شواطئ الخليج عدة سلالات من أمم مختلفة، يتألف معظم أفرادها من بقايا جيوش الإسكندر ومن جاء بعده من ملوك اليونان والرومان. وهناك قبيلة «لينيتي» التي كانت تسكن القطيف. وهي فرع من اللحيانيين، وقبيلة «جالبوس» وقبيلة « نونلتا» من تنوخ، وقبيلة»أوباكون»، وهي على ما يُظن قبيلة عبد القيس. أما قبيلة أجارم، فهم سكان هجر ومن الجاليات التي استقطبتها المنطقة النبط والسبابجة والزط والبرامقة والفرس (تاريخ هجر – عبد الرحمن الملا).

وقد شهدت هذه البلاد قدوم موجات بشرية متتابعة من غرب وجنوب الجزيرة، وبخاصة في القرون الخمسة السابقة على ظهور الإسلام، ومنها قبائل الأزد وتنوخ وكندة وبكر بن وائل وتميم وعبد القيس وبنو عقيل وبنو خالد والعجمان وآل مرة وبنو هاجر، وقبائل أخرى.

وفي سنة ألف ومئة وإحدى وثمانين هجرية أصاب الناس في نجد القحط والغلاء، فهلك عدد كبير منهم بسبب الجوع والوباء، فاضطر عدد كبير من السكان إلى النزوح إلى البصرة والزبير ثم الأحساء (تاريخ هجر – عبد الرحمن الملاّ).

وقد دخلت المنطقة تحت الحكم الإسلامي بعد إسلامها سلماً، ثم تحت الدولتين الأموية والعباسية، ثم توالت على حكمها دويلات، كالقرامطة ثم بنو ثعلب ثم بنو عقيل ثم إمارة الزجّاج في أوَال، ثم إمارة آل عيّاش، ثم الدولة العيونية، ثم إمارة آل عصفور، ثم إمارة آل جروان ثم دولة آل جبر، حين استولى البرتقاليون على جزيرة أوال (البحرين حالياً) التي انفصلت (حينها) عن الأحساء. وحكم الجبريون تحت إشراف البرتقاليين، ثم حكم المغامسة البلاد، إلى أن استولى العثمانيين عليها عام

٩٦٢ هـ، ثم استولى الفرس على أوال عام ١٠١١ هـ، حتى هزم العمانيون الفرس والبرتقاليين عام ١٠٨٢ هـ، حين ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ثم دخلت الأحساء والقطيف ضمن دائرة النفوذ السعودي. وفي منتصف القرن الحادي عشر الهجري أسست أسرٌ من عشائر العتوب من جنوب شرق نجد، ومنهم آل خليفة، إمارة ثم دولة في جزيرة أوال – البحرين. بعد أن حرروها من السيطرة الفارسية. ومنهم آل صباح، الذي أسسوا إمارة ثم دولة الكويت وآل مسلم في قطر. أما أسرة آل ثاني الحاكمة في قطر، فينتهي نسبهم إلى تميم. ثم استعاد العثمانيون الأحساء عام ١٢٣٣ هـ، وحكمها الخوالد بمساعدتهم عام ١٢٣٥ هـ، وكان الإمام فيصل بن تركي قد قبل السيادةالعثمانية على نجد والأحساء عام ١٢٤٠ هـ، ولكن العثمانيين احتلّوا المنطقة عام ١٢٨٨ هـ، حتى استرد الملك عبد العزيز الحكم السعودي للمنطقة عام ١٣٣١ هـ (تاريخ هجر- عبد الرحمن الملا).



تقـــــديـــم:

لا شك في أن منطقة حضارية تضرب بجذور نشأها في أرض التاريخ بعمق يصل إلى عشرات الآلاف من السنين، قد مرت بأطوار عديدة متراكمة من النمو والتطور والتحضر والإبداع الإنساني، وأها قد أثرت وتأثرت بالمجتمعات المتحضرة التي اتصلت بها أو وفدت عليها. وإذا كان التاريخ يقدم لنا منطقة الأحساء كمثال على ذلك، حيث أن الشعوب السامية الأولى بدأت في البلاد الواقعة بين مصب الفرات وجنوب اليمن وعلى سواحل الخليج العربي، وأن أقواماً من عاد وإرم قد استوطنت مواضع في البحرين،فهل لنا أن نتساءل، بعد امحاء الآثار العمرانية لتلك المجتمعات التى عاشت على هذه الأرض عما إذا كانت قد تركت شيئاً من بصماها وسماها على ثقافة المنطقة، بوجهيها المادي والإنساني، التي نشهدها اليوم؟

ففي الوجه المادي، لعلنا نجد في تنوع الموارد ونظم الإنتاج وعناصر البيئة والصناعات والحرف والمهن ونظم التجارة والأسواق وأساليب العيش والعمران، في حياة المنطقة، إلى عهد قريب، ما يعود في أصوله إلى ما استحدثته وطورته تلك المجتمعات الغابرة، ومنها نظم الريّ الزراعي وتحسين سلالات النخيل وتطوير المحاصيل واستخدام الحيوانات في النقل والريّ والإنتاج والغذاء.

أما فيما يتعلق بالوجه الإنساني، فلاشك في أن المنطقة، بدخولها في الإسلام، قد تحولت إلى مجتمع إسلامي في نظمه وتشريعاته ومعاملاته وعاداته وتقاليده وأساليب علاقاته، لكنه، قد يمتاز عن غيره من مجتمعات إسلامية أخرى، بمستوى معين من التمدن بحكم استقراره وثبات مسيرة حياته وموارده وصِلاته التجارية والثقافية

بمجتمعات متقدمة أخرى.

ومن المعلوم أن المجتمع المتنقل بحثاً عن مصادر العيش، لا يقوم على استقرار وثبات وتطوّر. ونحن إذا أخذنا منطقة شبه مدارية تقع شرق خط الطول ٤٥ْ، وغرب الخط ٥١ْ، وبين دائرتي العرض ٢٣ْو ٣٠ْ، نجد الصحاري القاحلة الحارقة تحيط بها من جهات ثلاث والبحر الأُجاج من الرابعة، ففي وسط هذا المناخ الحارق والمالح تقع، وكأنها هابطة من السماء، جنة فيحاء من الأنهار والعيون الصافية الجارية والنخيل المنسقة العالية والأشجار المتنوعة المثمرة والمزروعات والنباتات والأفياء والظلال والحيوانات والطيور ومختلف الكائنات، تؤمّن العيش والرزق والجو العليل والمتعة والجمال، لمئات الآلاف من ساكنيها ووافديها.

وإذا أخذنا معالمها الجغرافية، من جبال ومغارات وكثبان وبحيرات، بدت كلوحة خضراء تُحيط بها التكوينات الصخرية الحمراء المنحوتة الشامخة، لتُضفي عليها جمالاً وسحراً لا يتغيران على مدى الأزمان والعصور.

كان آخر عصر من الحياة النمطية التقليدية القائمة على الطبيعة والفطرة، ونظام البيئة المنبثق عنها، في هذه المنطقة قد بدأ ينحسر منذ بدء خمسينات القرن العشرين، حين بدأت آثار ظهور البترول في المنطقة، تُغير من ملامح الحياة وإيقاع مسيرتها، ومنها دخول الكهرباء والغاز والأسفلت والبناء المسلح ومياه الأنابيب والسيارات والآلات ووسائل الاتصال والمنتجات الحديثة والوظائف والمستشفيات والأسفار وتوسع التجارة حينها بدأ الناس يهجرون بيوت الطين المكتفية بآبارها وحيواناتها وغذائها ووقودها من الحطب وإضاءتها بفوانيس الجاز إلى بيوت مسلحة حديثة مضاءة بالكهرباء ومزودة بالمكيفات ويستعملون الآلات ووقود الغاز والسيارات بدلاً من الحمير، والمأكولات المستوردة ويتخلصون من وسائل وأدوات الحياة القديمة وينتظمون في المدارس والوظائف والصناعات والأعمال، ويتوسعون في التنقل والأسفار والاستيراد والتجارة والمهن وينصرفون عن الزراعة والحرف اليدوية

وقد التحقت أعداد كبيرة من أبناء المنطقة بشركة أرامكو، وشيئاً فشيئاً بدأ العصر القديم يتلاشى ويضمحل، وبدأ عصر جديد مختلف يشق طريقه بتقدم وثبات. وهكذا حدث الانقلاب الكلي النوعي والتحوّل شبه الكامل في حياة هذه المنطقة وبدأ نمط الحياة الفطرية القديمة يتلاشى، ليحل محله عصر البترول والآلة والصناعة والحداثة، بدأت معالم ذلك العصر القديم ترحل وتختفي إلى غير رجعة.

ولأن التحول حدث خلال عقدين من السنين تقريباً، فقد عاشته معاً أجيال ثلاثة، من صغار وشباب ومسنين، أحفاد وآباء وأجداد، ولم يكن وقعه متساوياً عليهم، فكان من السهل على الصغار التكيف معه، والشباب، بدرجة أقل، أما الكبار فقد شعروا بأنهم انتزعوا من عالمهم الأليف وألقي بهم في عصر غريب وجديد مصادم ومشوش، وأن عالمهم الصديق قد سُرق منهم، فشعروا بأنهم خارج الزمن والعصر. وما زاد من شعورهم بالغربة، أن غزتهم كلمات غريبة، جلبها موظفو وعمال شركة (أرامكو)، من الشباب من أهل المنطقة، الذين التحقوا بالشركة، مثل:

الكامب: الحي
السلنق: الرافعة
اللين: صف البيوت
الآيل: البترول
السينمه: السينما
القزّ: معمل الغاز
السبيتار: المستشفى
اللمبة: المصباح الكهربائي
الآيس كريم: (البوظة)
التشتي: التذكرة
الساندويتش
الهوز: الخرطوم
الباص: الحافلة
الريل: القطار
التيذر: الحافلة الكنورث
القلاص: الكأس
الرق: برج الحفر
الكيك: الكعك

وغيرها من عشرات المفردات الإنغليزية، التي جاءت مع ومن شركة الزيت. كما جاء مدّ آخر من المفردات الغريبة، من مسميات الأشياء والأدوات، التي جاءت مع الحياة الحديثة مثل:

القز: موقد الغاز

الكرهب: كما حورت (الكهرباء)

الرادو: المذياع

الدبل: الصرف الصحي

الواير: السلك

الليت: المصباح الكهربائي

التلفون: الهاتف

التلفزيون: التلفاز

التواليت: قصة الشعر للشباب

السيكل: الدراجة

البسكوت: حولت إلى البستوك

الوِلف: الصنبور

الّلي والهوز (خرطوم الماء)

السويتش: المفتاح الكهربائي

الموتر: السيارة

الدركسون: عجلة القيادة

وغيرها مفردات كثيرة.

لم تكن مشكلة الآباء والأمهات والجدود والجدات، هي فقط في الأشياء الجديدة ونطق مسمياتها، بل أن ذلك أشعرهم بالعجز والحرج، وخاصة حين كانوا يريدون أن يسمّوا شيئاً، فيُخطئون في لفظه بطريقة تثير الابتسام الخفي من أبنائهم والجيل الجديد الذين سهل عليهم معرفتها ونطقها، كما أن التعامل مع تلك الأدوات والوسائل قد أوقعهم في مشكلة عويصة. ومن الجدات من رفض نطق التلفون، أنفةً عن التغريب والمساس بالهوية، فكنّ يقُلن عنه « ذاك اللي يتحتشّى (ذلك الذي يحكي) والتلفزيون أُطلق عليه (التلفعيون)، لاعتقادهم بإضراره بالبصر، وبعض الكبار، لم يكن يفرق بين (الليت – المصباح) والّلي: (الخرطوم). وبعضهم حين كان يشاهد التلفزيون، مع أهله كان يطلب من النساء أن تغطين وجوههن، حين يظهر المذيع.

ليس هذا فقط، بل أن بعض الجدّات واجهن شعور التعالي من بعض بنات المدارس الجديدة بتسميتهن « بنات المطرة» (المدرسة)، وهكذا أحدث التغير أثراً على السلوك والشعور بالهوية والكرامة.

كان هناك مصدر ثالث جلب مفردات جديدة على اللهجة المحلية في المنطقة، لكنه كان قديماً، متدرجاً وشرقياً مما سهّل تقبله، واندماج ألفاظه في اللسان المحلي، وهو ما كان قد ورد مع الأدوات والوسائل والعناصر الحضارية القادمة مع التجارة من بلدان شرقية، كالهند وفارس، ومنها الدنتشل (أعواد لحمل سقف المباني) والباستشيل (رقائق خشبية للسقوف) والكبت (الدولاب) والروزنة (الكوة المصمتة في الجدار والدريشة (النافذة) والسيسر(فتحة التهوية في سقف الغرف) والبادقير (نظام جداري للتهوية) والدروازة (بوابة السور الكبيرة) والبرتشوتن (خليط من الأدوات، كالمقصات والأمشاط والإبر والأقفال والأقلام والبرابات والأزرار وغيرها).

وبانتقال الناس إلى الحياة الجديدة، شرعوا يتخلصون من وسائل وأدوات العيش القديمة، كمعدات وأواني القهوة والطبخ وإعداد وحفظ الأغذية والأثاث والملابس وأدوات الزينة والحلي والألعاب وأدوات ومعدات البناء. وأما أدوات الفلاحة، كالمحش والمنجل والكرّ والصخين، فبقيت، لاستمرار العمل اليدوي الزراعي.وأما الحرف اليدوية فقد زالت تدريجياً، وكذلك المهن التقليدية.عندئذ قد يتساءل المرء، عما إذا كانت حياة المنطقة التقليدية، التي أمست الآن تراثاً حضارياً، قد وثقت أم لا ؟ حسب علم المؤلف لم يتم ذلك رسمياً وبصورة علمية وشاملة. لكن كانت هناك أبحاث وتوثيقات فردية قليلة، سواء لبعض جوانب هذا التراث أو لمدن معينة في المنطقة، شملت جوانب عِدة من تراث، أو لقطاعات معينة كالتعليم، التي شملت لمحات من التعليم التقليدي غير النظامي في بعض مدن المنطقة. ومن هذه الأبحاث:

١ – كتاب: واحة الأحساء لخبير شركة أرامكو ف. هـ. فيدال. ترجمة د.

عبد الله ناصر السبيعي.

٢ – اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية. د. عبد الله ناصر السبيعي.

٣ – معجم الأحساء التراثي. د. فهد بن حمد المغلوث.

٤ – مقالات في تراث الأحساء. المهندس عبد الله بن عبد المحسن الشايب.

٥ – قرية الجبيل– باللغة الانغليزية. المهندس عبد الله بن عبد المحسن الشايب.

٦ – البوابة الجنوبية للأحساء – الطرف. الأستاذ/ عبد الله حمد المطلق.

٧ – الجفر في ماضيها وحاضرها. الأستاذ عبد اللطيف بن سعد العقيل.

٨ – أحاديث بلدتي القديمة. الأستاذ عبد الله بن أحمد الشباط.

٩ – العامية الفصحى في لهجة أهل الأحساء، الأستاذ محمد بن إبراهيم الملحم.

–١٠ في ظلال النخيل، الأستاذ عبد اللطيف بن عثمان الملاّ.

إن هذا التسجيل الذي بين أيدينا، لا يرقى إلى مستوى العمل التوثيقي، بل هو مجرد تصوير لما يذكره المؤلف عن الحياة التقليدية في مدينة الهفوف، التي لا شك في أنها تمثل إلى حد كبير، مجمل الحياة القليدية في عموم الواحة ومدنها وقراها. كما أن هذا العمل ليس بالضرورة شاملاً وتاماً في موضوعه ومجاله، نظراً لأنه مُستقى من المعايشة الشخصية، وفي وقت مبكر من حياة المؤلف. لذا لا بد من أن تكون هناك نواحي نقص وقصور، وربما أخطاء عفوية أيضاً. وإن كل ما يأمل واضعه هو أن يعطي هذا الرصيد لمحة ولو يسيرة عن كيفية سير الحياة الاجتماعية في آخر عصر من عصورها الفطرية.

نحن الآن في العام ١٤٣٠ هـ. والجيل الذي عاش تلك الحياة، قد مضى، أو كاد. وإن من لا يزال على قيد الحياة، منهم، قد لا يتمكن بحكم الكِبر وضعف الذاكرة من سرد ذكرياته، التي قد تلقي ضوءاً ولو يسيراً، على صورة عصره الذي مضى ولن يعود. إن بعض الحكايات التراثية الشعبية، التي وردت في هذا التأليف، قد تكرمت بها، حكياً وإلقاءً، بأسلوب التمثيل المحبب للأطفال، إحدى السيدات الكبيرات، وهي أمّ لجد، أطال الله عمرها وأدام عليها الصحة والعافية.

ومثل ما تتبدل أنماط الحياة والعيش، في مجتمع ما، كذلك تتعرض لهجته المحلية إلى التغيير. وقد تختفي مفردات وتعبيرات من القاموس الشفهي الشعبي وتحل محلها مفردات وتعابير جديدة، نتيجة التعليم والسفر والتجارة والاختلاط ووسائل الإعلام والاتصال، حتى نوعية أو بُنية اللهجة نفسها، وطريقة النطق، قد يتأثران ويتغيران، وإن كان بتفاوت، حسب الشرائح والفئات والمناطق الاجتماعية.

سارت خطوات التغيّر الذي حدث، بانقلاب العصر الحديث في المنطقة، بصورة تدريجية، فجاء تعليم المرأة وتوظيفها والتعليم الجامعي ورياض الأطفال، وتطور العمران الحديث وانتشاره، وازداد الاهتمام بخدمات الصحة والنظافة والطرق والبنية التحتية والبريد والاتصالات، ونمت وتكاثرت الأسواق والنشاطات التجارية وتنوع وتضاعف استيراد السلع والبضائع المعيشية الحديثة، وانتشر الراديو الترازستور والمسجلات والفيديو والتصوير والفاكس والطباعة والنسخ وأساليب الدعاية والإعلان ونشاطات الثقافة، وتطور مستوى المعيشة لكثير من السكان، الذين تزايدت أعدادهم بتسارع النمو السكاني، وتزايدت الوظائف والأعمال وانتشرت البنوك والمجالات الاجتماعية، كمرافق الترفيه والمناسبات والحفلات والمهرجانات. وما كان يعتبر من الكماليات أصبح يعدّ من الضروريات، ودخلت الموضة والتنافس في الزينة والتجمل والملابس ووسائل العيش. وأصبح معظم الناس يستخدمون العمالة المنزلية المستقدمة، من سائقين وخادمات.

وأحدثت فترة الطفرة الاقتصادية في المملكة في السبعينات الميلادية، نقلة نوعية في الدخول، فبدأ أفراد كثيرون من بعض الطبقات، من الأثرياء، بالاستثمار في النشاطات العقارية والتجارية والصناعية والزراعية، فبنوا الدور والقصور، وظهرت صالات المناسبات والاستراحات والمراكز التجارية والمعارض ومحطات ومراكز الخدمة والبنايات الشاهقة، واقتنى البعض أفخر السيارات والأثاث.

وتضخمت أعداد العمالة الأجنبية المستقدمة للعمل في كافة المجالات،إلى مئات الآلاف.

لكن، بعد، لم يقف التطور عند هذا الحد، بل، وفي السنوات العشرين الأخيرة، جاء مد العولمة، الذي اكتسح العالم بأسره،فدخلت الفضائيات والهاتف المحمول(بعد النداء الآلي) والحاسب الآلي وشبكة المعلومات الإلكترونية والبريد الإلكتروني ووسائل الدعاية والإعلان والتسويق المتطورة، وخدماتها وجوائزها والقروض البنكية ومطاعم الوجبات السريعة وغُصّت المدن والقرى بسيارات النقل والشاحنات والمعدات وخدماتها. وأمست الأسواق والمطاعم المنتشرة في كل مكان تعمل لساعات طويلة من الليل، وسط الأضواء الشديدة الساطعة والزحام وحركة تسوق الأفراد والعائلات والعمالة نتج عن ذلك تنوع وتعدد انشغالات واهتمامات وارتباطات الناس اليومية، بحيث أصبح الوقت يضيق بقضاء الأعمال والحاجات والمهام. ودخل الناس في حمى الكسب والتنافس والاستهلاك والمظاهر، وتغيرت العادات والتقاليد الفطرية وبدأ ضعف الروابط الأسرية والاجتماعية، وصعب تكوين الأسرة،بمتطلباته الكثيرة، من تأمين السكن وسيارة خاصة وعاملة منزل، وسط ارتفاع تكاليف المعيشة ومحدودية الدخول وفرص العمل وتكاثر أعداد الشباب و الخريجين. واضطرار البنات والزوجات والأمهات للعمل. ومنهن من قبلن التدريس في مناطق بعيدة ونائية وغير آمنة، وتركن أطفالهن في عهدة الخادمات المستقدمات وكثرة حوادث سيارات نقلهن وموتهن وإصابتهن فيها، كما تكاثرت حوادث موت الشباب والعائلات بالسيارات

ومنهم سائقون أطفال ومراهقون. ونشأ انحراف بعض الشباب في السلوك والتطرف والعنف والتدخين والمعاكسات والتخريب والتفحيط والتسيب وتعاطي المخدرات وزادت السرقات وظهر الغش والتحايل كما كان لأعداد العمالة الأجنبية الوافدة، الكبيرة، آثارسلبية على المجتمع، من سرقات واعتداءات وتزوير وصناعة وترويج الخمور والمخدرات.

ولتوفر مطاعم الوجبات السريعة، تحول كثير من العائلات، للاعتماد عليها، وشغف الأطفال بنكهاتها ومذاقاتها وتجهيزها مع المشروبات الغازية والمعلبات الحديثة،فتقلص بذلك طبخ البيت التقليدي وفنون إعداد الأكلات الشعبية الأصلية.

لم يقتصر التغير الذي حدث في الأحساء، على نوعية الحياة الاجتماعية والعمرانية والتراثية ونمط العيش، بل أن البيئة والزراعة منيتا بأحداث تاريخية جذرية،أولها نضوب المياه السطحية في العيون والأنهار،شبه الكلي، وما نجم عن ذلك من نقص كبير في ري النخيل والمزروعات وجفاف وتصحر في كثير من مناطق الواحة وتدهور في المحاصيل والإنتاج الزارعي،ثم انصراف الأيدي العاملة الوطنية عن الزراعة، لقلة مردودها وحلول العمالة الأجنبية، عديمة الخبرة محلّها، ثم ظهور وانتشار وباء سوسة النخيل الحمراء، في الواحة ثم انخفاض مستوى مخزون المياه الجوفية، بسبب الهدر والاستنزاف وقلة الأمطار، ثم تلوث البيئة الزراعية بآثار الاستخدام والاستهلاك المدني المكثف، في داخل الواحة والطرق الزراعية والأرياف. إن الجيل الذي نشأ مع بداية التغير، كان قد أدرك آثار الأيام الأخيرة من العصر القديم، عصر ما قبل النفط، وهم الآن في عمر الكهولة، وقد شهدوا وعاشوا تلك السلسلة من التغيرات، ويعيش الآن أبناؤهم عصر العولمة أو ما بعد الحداثة، بكلّ تعقيداته وضغوطه وإرهاصاته، أما أجدادهم الذين عاشوا نشأتهم وشبابهم في العصر القديم، وشهدوا، بقية أعمارهم عصر الحداثة ثم العولمة، فقد مضى معظمهم، واحداً تلو الآخر، بعد أن عانوا من آثار وإشكالات عصر التغير، الذي أصبحوا غرباء فيه. ومن بقي منهم رجالاً ونساءً، الآن

على قيد الحياة قد لا يتجاوز عددهم المئات يدبّون الآن فوق الأرض، في شيخوختهم وغربتهم وآلامهم لاتّمحي من عيونهم المعتمة صور ومشاهد حياتهم الغابرة، في ظلال تلك الجنة الفقيرة، جنة الأحساء، بعيونها الجارية وأنهارها الزاخرة ونخيلها وثمارها وظلالها وطيورها ودوابها، في عصر فطري بسيط هادئ ورحيم، ينام فيه الناس بعد صلاة العشاء، بعد أن يُطفئوا فوانيسهم ويحكوا للأطفال حكاياتهم، مستسلمين لهدأة الليل وسكونه، لا يسمعون فيه سوى نباح الكلاب وهسيس الكائنات، يُوقظهم صياح الديَكة عند الفجر، حين ينهضون ويؤدون واجبات ربهم، ويتناولون شيئاً من ثمار أرضهم ثم يتوجه كل منهم إلى عمله وواجباته، راضين قانعين متفائلين في تكرار يومي لا يتوقف ولا ينقطع ولا يتغيّر.



النشاطات الاقتصادية:

• الفـــــلاحـــــة:

يستأجر مالك النخل فلاحاً للعناية به مقابل مقدار محدد من غلته من التمور والرطب والفواكه. ويسمى «الشريك» وقد يشغل هذا أولاده معه لمعاونته حتى الأطفال الصغار منهم. وتتلخص مهماته فيما يلي:

(١) سقي النخل حسب الأوقات والحصص المخصصة له في مجاري الأنهار العامة ويكون بعضها في الليل، حيث يسهر ولا ينام.

(٢) حش الحشائش الطفيلية التي تنمو بسرعة وكثافة شديدة مغطية أرض الحقل بصورة دائمة.

(٣) تجميع أغصان الأشجار اليابسة وعكر النخل القديم وكرب النخل الزائد وحرقها في « طبائن»[١] كبيرة وخلط رمادها بالسماد الطبيعي.

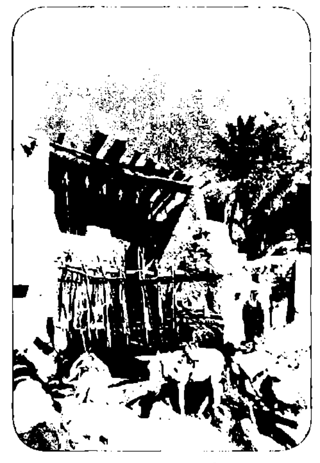
(٤) تنبيت النخيل[٢] في مواسمها ولف الطلع. ثم فكه إذا نما قليلاً.

(٥) تحدير العذوق أي إرخائها لجعلها تتدلى مجتمعة متناسقة.

(٦) قص العذوق الزائدة بعد نمو البلح قليلاً للتخفيف على النخلة.

١ - الطبينة: كومة مخلفات وزوائد النخيل والأشجار التي تُحرق ويسمد برمادها. وإذا كانت كبيرة تُسمى «المحط» والصغيرة تُسمى «حيال».

٢- تلقيحها بطلع اللقاح.



(٧) تسحيت النخل بقطع الأشواك وقص السعف اليابس منه.

(٨) بِطَاط النخل أى قص الكرب [١] (بفتح الكاف والباء). وفي بعض الحالات يستأجر عمال متخصصون في هذه العملية. وكذلك إزالة الليف الذي ينمو تحته كغلاف طبيعي لرأس النخلة.

(٩) خَرْفْ الرطب من النخل يومياً في مخارف خاصة

(١٠) لقط وتجميع ما يتساقط من الرطب الناضج لإضافته إلى علف الدواب.

صرم النخل في مواسم الصرام وتخليص التمر من أعذاقه وجمعه ونشره في الشمس وتنظيفه وكنزه في المحاصن ونقله على الحمير. وفي بعض الحالات يستأجر عمال خاصّون لهذه العملية.

(١١) قص النخل المريض أو الشائخ وتقطيعه كوقود. وفي حالة الاستغناء عن بعض النخيل الزائد، يقص وتزال طبقات الرأس بالفواريع والفؤوس حتى بلوغ القلب الذي يُسمى» إلْجِذبةِ» وهي الجمارة البيضاء الهشة الحلوة واللذيذة لأكلها.

١ هو اصل السعف المتفرع من اعلى النخلة ويستعمل للوقود

(١٢) غرس الفسائل الجديدة وتسميدها وسقيها يومياً حتى تضرب عروقها، مع لفها بالسعف لحمايتها من الشمس.

(١٣) العناية بغرس أشجار الفواكه من خوخ وتين ورمان وعنب وليمون وأترج وفي حالات معينة بذر واستنبات شجيرات الخضار كالباميا والباذنجان والقثاء والطماطم واللوبيا وغيرها وجني محاصيلها.

(١٤) إعداد الرطب والفواكه بعد جنيها وتعبئتها وتجهيزها وتحميلها في «خروج».[١]

(١٥)العناية بحمار المالك حال وصوله عليه، فيأخذه إلى الحظيرة ويفك سرجه ويطعمه ثم يسوقه إلى «شرِّيعة»[٢] الماء (بكسر الراء وتشديدها) لسقيه وغسله ودعكه وتنظيفه وإعادته. ثم إعادة سرجه ومساعدة المالك لامتطائه برفع رجله.

عمل القهوة والشاي وإحضار «القدوع»[٣] من رطب وفواكه أو تمر وتقديم القهوة والشاي، ثم رفع الأواني وتنظيفها والعريش.[٤] بعد مغادرة المالك وقد يكون معه ضيوف.

(١٦) إحضار طعام مطبوخ من منزله إلى النخل للمالك، عدداً من المرات في السنة.

(١٧) زرع وحش البرسيم وبيعه لصالح المالك.

(١٨) قص وتجهيز الجذوع والصّلاّخ[٥] وسعف النخيل وأغصان الأشجار الجافة وربطها ونقلها على الحمار إلى بيت المالك، كوقود للطبخ.

١- جمع خرج – بكسر الخاء- وهو الوعاء الكبير من كفتين، من الصوف يحمل على الحمار، وقد يكون من الخوص المغلف بالليف لنقل السماد والرمل به.

٢- متسع ضحل في مجرى الماء العام..

٣- ما يقدم للضيافة غير الوجبات الرسمية.

٤- مظلة من الجذوع والحصر للجلوس والنوم في النخل.

٥- أجزاء صغيرة مستطيلة مقطعة من جذوع النخل للوقود.

(٢٢) ري النخل:

وربما يكون هناك واجبات ومهمات أخرى صغيرة نُسِيَتْ، ومن مهمات الشريك الشاقة صعود النخيل العالي بواسطة « الكَرّ»وهو سير معدني له ساند في الظهر. بحيث يكون معرضاً للسقوط فالموت أو الإعاقة، وكذلك تعرضه للدغ الأفاعي والحيات. وعمله يتطلب منه الخوض دائماً في المياه والطين والتراب.

لذلك لا يتمكن من استعمال الحذاء مما يؤدي إلى تيبس أقدامه وتشققها ومرضها وهو يدرب أولاده على العمل معه ليكتسبوا المهنة الشاقة والمضنية. وهو بذلك يعمل ١٨ ساعة يومياً طوال السنة وطوال حياته التي تمتد إلى ثمانين وتسعين عاماً أو أكثر. وفي حالات يقوم المالك «بتقبيل» (تأجير) نخله على الشريك الذي يكون له النصيب الأوفى من المحاصيل. وللمالك حصة معينة أقل. وفي حالة كون عائلة الشريك تعمل في صناعة الخوص لإنتاج المحاصن والمهاف[١] والسُفر (جمع سُفرة) يكون للمالك نصيب محدد سنوي من ذلك.

إلا أن الأعمال الزراعية لتنوعها وكثرتها وتطلب بعضها طاقات جماعية، فهي تتوزع على مهن ونشاطات مختلفة. نذكر منها:

(١) النـّدار (بكسر النون وتشديدها): وهي فلح الأرض وتقليبها بواسطة الصخّين، فيستأجر مجموعة ندارين أو ناديرنداديرلهذه المهمة خلال فصل معين وتتطلب قوة البدن.

البِـطاط: يقوم جماعة متخصصة بالصعود إلى أعالي النخيل وقص السعف اليابس والكرب والليف منه.

(٢) التسحيت: قص الشوك من سعف النخل والسعف اليابس وإزالة العذوق القديمة والقنوان اليابسة (القِيْقَان).

١- المراوح اليدوية.

(٣) تجميع مخلفات الأشجار وحرقها وخلط الرماد بالسماد(الظبينه).

(٤) تجميع السماد وخلطه وتوزيعه على النخيل والأشجار.

(٥) صرم النخيل وتجميع التمور ونشرها وتنظيفها وتعبئتها وكترها في المحاصن.

(٦) قص الحشائش الطفيلية الكثيفة من حواف مجاري المياه والمساقي وقنوات الصرف وتجميعها وربطها ونقلها للدواب والبهائم كعلف.(للدواب)

(٧) إزالة الحظرات(جمع حظار) وهي أسوار النخيل المبنية من اللبن والطين والمكملة بالسعف عند قدمها وتآكلها وبناء أسوار جديدة.

(٨) تأمين الحشائش اليابسة القوية وتسمى «الثلة» وفرشها على أرضية العرائش كفرشات. وفي الغالب تكون هذه المهمة من واجبات «الشريك».

(٩) تعميق مجاري المياه والترع والمصارف عند الحاجة ونقل الطين منها.

(١٠) قص الحشائش الطفيلية التي تنمو على حواف الأنهار، والترع والمستنقعات وتجميعها للاستفادة منها.

(١١) قطع وتجزئة ونقل النخيل القديم الشائخ.

(١٢) سد وتحويل وإعادة توجيه مياه الأنهار «والثبارة» بواسطة جذوع النخيل والليف والحشائش.

(١٣) حرث وحفر أرضيات «العطايف»(حظائر الحمير في النخيل) لتكويم ونقل السماد المجتمع فيها من فضلات الحمير. وتسمى الجماعة التي تعمل في الأعمال الزراعة اليومية «مكريرية».

• صناعة الغوص:

اشتهرت صناعة الغوص لاستخراج اللؤلؤ، في الخليج العربي، منذ آلاف السنين، وكان أهل الغوص، من سكان الأحساء، ينطلقون من مينائها، ميناء العقير، ويتجمعون مع أهل الغوص، من بقية مناطق الخليج، في البحرين. إن جميع من يدخل الغوص، يعلم بالأخطار الناجمة عن ركوب البحر، والغوص في أعماقه، والمجازفة بالحياة والسلامة أمام أهواله، من أجل لقمة العيش للرجل وعائلته، التي يغيب عنها، ولا يعرف هل يعود لهم أم لا، ولذلك تودع العائلة أباها في حزن شديد خوفاً من عدم عودته، وأهل الغوص يتعرضون لأمراض كثيرة.

وفي الأحساء يضطر عدد كبير من الناس للغوص، هرباً من الفقر والعوز وذل الحاجة. ويذكر أن عدد سفن الغوص، في الساحل الغربي للخليج العربي، خلال موسم الغوص الواحد، يتراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف سفينة

وقد أورد «لوريمر» إحصائية لسفن الغوص العربية والمشتغلين بها، عام ١٩٠٧م، ورد فيها أن عدد سفن الغوص الخاصة بأهل الأحساء وحدهم، في ذلك الموسم بلغت ١٦٧ مئة وسبعاً وستين، يعمل عليها قرابة ٢٤٤ بحاراً، وأن نسبة الغواصين للقوارب العامة في الأحساء، بلغ ٢١ بحاراً لكل قارب.



ومن المعروف أن للغوص عادات وتقاليد وأعرافاً، كانت بمثابة القوانين والآداب المتميزة.

وقد أثر في التراث الأدبي للخليج العربي وميّز آدابه بطابعه، وتتمثل تأثيراته في كثير من الأهازيج والأغاني والأساطير والقصص والأسفار والأمثال والحكم والألغاز.

ويتألف طاقم سفينة الغوص من:

١ — النوخذة: وهو الربان، وهو الحاكم المطاع في إدارة الرحلة، ونصيبه من محصول الرحلة ثلاثة أسهم، بعد حسم المصاريف العامة للرحلة

وضريبة الحكومة.

٢ – الجعدي: وهو الشخص الذي يحل محل النوخذة في السفينة وله نصيبه

٣ – المقدمي: رئيس البحارة، وهو المسؤول عن العمل في السفينة، ونصيبه ثلاثة أسهم.

٤ – النهّام: وهو الذي يُطرب البحارة، على ظهر السفينة.

٥ – الغيص: وهو الذي يغوص في البحر لجمع الصدف، ونصيبه ثلاثة أسهم.

٦ – السيب: وهو المسؤول عن سحب الغيص، من قاع البحر (بالحبل)، ونصيبه سهمان.

٧ – العزّال: وهو الشخص الذي يشترك في الرحلة ولكنه يغوص على حسابه الخاص، وله سيبه الذي يجره من قاع البحر.

٨ – الرضيف: وهو الذي يقوم بأعمال خفيفة، للتدريب على العمل، ونصيبه سهم واحد.

٩ – التبّان: وهو الذي يقوم على خدمة من في السفينة. لا يكون له نصيب من المحصول، ولكن يعطى فقط إكرامية.

١٠ – الطباخ: وهو الذي يعد الطعام لمن في السفينة.

١١ – الجلاّس: وهو البحار الاحتياط، وفي العادة يكون هناك عدد من الجلاسة في الرحلة.

أما مالك السفينة فنصيبه الخمس، وكان موسم الغوص يستمر عادة أربعة أشهر وعشرة أيام. وبعد كساد مهنة الغوص، كانت الأحساء من بين المناطق التي تأثرت بذلك. وجاء تدفق النفط بمثابة الضربة القاصمة لعصر الغوص (المصادر: اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، د. عبد الله ناصر السبيعي. والبوابة الجنوبية للأحساء، – الطرف في ماضيها وحاضرها– عبد الله حمد المطلق).

الحِرف والصناعات والمهن والأعمال:



• الحِـــــرف:

الحياكة:

عُرِفَتْ الأحساء منذ القِدم بصناعة النسيج، وفي الفترات الأخيرة اشتهرت بحياكة الأصواف، وتخصصت أُسر في هذه الصناعة. والمواد الرئيسية في هذه الصناعة الصوف والوبر الذي يجلبه أهل البادية، حيث يتم تنظيفه وغزله ثم صباغته بمواد تصنع أو تحضر محلياً، ويستخدم النول الكبير الذي يصنع محلياً في الحبك فتصنع العباءات والمشالح والأغطية والرقائق والأربطة والأحزمة وتباع بعض المنسوجات كمواد خام لصنع الجوارب والطواقي والقبعات الصوفية. وتقوم صناعة العباءات والمشالح المحلية على هذه الصناعة.



الحدادة:

هي من أقدم الصناعات في المنطقة وتعتمد في الوقود على الحطب وعلى الفحم المستورد ومن أدواتها الكير والسندان والمطرقة. ويعاون الحداد أبناؤه الذين يتعلمون الحرفة بالتدريب والممارسة ومن منتجاتها المسامير الكبيرة (بوقبة) والخوابير والصخاخين والأهياب (مدقات الحفر) والمجاريف والقدّوم والفرعات والمناكس والسواطير والسكاكين والمناشير والمحاش والمناجل والأزاميل والمحاميس والمراكي ومناقيش الفحم ومناقيش التنانير والكلاليب والعواقيد وأجرام البنادق والأشراك والمصائد والأوتاد والحلق والسلاسل والأصفاد ومناصب القدور والموازين والمعايير والمخارز والميابر (الإبر الكبيرة) والمطارق والمشاجب والليايين (أوعية خلط الجص) والمساحات (مساحات الجص) والرندات (منعمات الخشب) والمحافر والمكاشط والمزاليج والمكاوي (قضبان الكي بالنار للعلاج) والسرج والصقارق (مضخات الكيروسين) والمحاقن والسطول والبوالدي (نوع من السطول والدلاء) والعراوي ومثاعب المسابح والموازين ومعالق اللحوم والقضبان المشعبية لأبواب الدكاكين والبوابات الكبيرة وحلق الأبواب لطرقها (التي تقوم مقام الأجراس).

النجـــــارة:

والمواد الرئيسية فيها الأخشاب المأخوذة من الأشجار التي تنمو في المنطقة

كالسدر والتوت. ويعمل الأبناء مع آبائهم في الحرفة لكسبها. وهي تشمل صناعة الأبواب والنوافذ والصناديق والسحاحير (الصناديق الصغيرة) والطاولات والكراسي والمنصات والقواري (العربات الكبيرة التي تجرها الحمير) وبكرات الصدر (السواني) وبكرات زعب الماء من آبار البيوت ومواضئ المساجد والمهابيش (أوعية

دق الحبوب) ومدقاها والمياقع (أوعية دق الأسماك المجففة وبعض المواد الجافة الأخرى) ومضارب هرس الهريس والعصيد والأوتاد والخوازيق والقبقاب والعراجي (هيكل متقاطع لتشكيل الدلاء الجلدية عليه) ومنه ما هو للغروب الكبيرة في السواني والمعاليق وسروج الحمير وشداد البعير وأنوال الغزل ومغارف الزبد واللبن والنعوش والمحمل وأجرام البنادق وهياكل الحياكة وهياكل صناعة المداد والمغازل ومضارب الجص (المفضّات) ومناقل الجص (أقفاص نقل حجارة الجص على ظهور الحمير) وكراسي أواني الماء وحفظ الحبوب الفخارية وعرجاية البقرة (نير يوضع على رقبة البقرة لئلا ترضع نفسها) وأنواع المشدات والمرابط الأخرى والسبابيج (هياكل أسقية اللبن) وأغطية الأزيار والمساخن والجرار والسّياسِرْ (فتحات في السقوف لإخراج أدخنة المواقد) والأوجقة ومرازيم المطر وسواري الأعلام واللافتات والأقاسي (الشرفات الخشبية المسورة والمعلقة حول أفنية الدور) وكسارات الجوز والنقل وصناديق الطرما والميوز (منصّات الدلال والأرباريق) والسواتر المشقّقة والطيارة (هيكل لتعليق الأطعمة في السطوح) والمغاليق والمزاليج والمفاتيح الخشبية والفلكة وأعمدة الخيام والمشدات والمقابض والمنافيخ والتكايات والعربات اليدوية ومطارق وسندانات بردخة الزري (طرقه ليستقيم).



كما تشتمل منتجات النجارة أدوات ولعباً صغيرة للأطفال كالمشّاية ذات العجلات الخشبية التي يتدرب عليها مبتدئ المشي والدراريج ذات المقابض المفردة والمزدوجة ذات التوجيه الميكانيكي التي يتسلى بها ويتسابق بها الأطفا ل وعربات اللعب التي يعبّؤها الأطفال بالرمال والفرّارات وغيرها من الألعاب ولقد برع النجارون في الأحساء في هذه الحرفة التي تتسم بعض منتجاها بالضخامة كبوابات الدراويز التي يصل ارتفاعها إلى ستة أمتار وعرضها أربعة أمتار وبعضها بالنقش والتشكيل كما في أبواب الواجهات والنوافذ والدواليب (الكبتات)، وفي بعض النقوش والتشاكيل والزخرفة المعقدة تستعمل النار في الحفر والتشكيل وهذه الحرفة تتوارث عند بعض الأسر أباً عن جد.

الصفّـــــار:

وممتهنها يدعى الصفّار، الذي يقوم برب وحك وجلو الأواني النحاسية والمعدنية والأدوات الحديدية وتشمل القدور والصحون والألقنة (جمع لِقَنْ وهو الصحن النحاسي الكبير) ومنها ما يدعى صحن بو كرسي أي له قاعدة عالية ثابتة فيه والدلال والأباريق مغاسل الأيدي والصواني والتباسي والسحال (القدور النحاسية محكمة الغطاء التي ينقل فيها الطعام المطبوخ حاراً) والمغارف والسيوف والخناجر والبنادق وجميع الأدوات المعدنية الصدئة كذلك يعمل في هذه الحرفة الأولاد مع آبائهم ليرثوها من بعدهم.

الخـــرازة:

يعتمد الخراز في حرفته على الجلود من الماعز والأغنام والأبقار حيث يقوم بدبغها وتقطيعها وتشكيلها ليصنع منها النعال والأحذية والزرابيل والدلاء والغروب والحقائب والسيور والأربطة والمشدات والجرابات والجزدانات وأمشاط الرصاص وأغماد السيوف والخناجر والبنادق ونطوع الرُضع وأغلفة الكتب والمصاحف

والجوامع (قلائد يحفظ فيها آيات من القرآن الكريم) وسيور العجلات وسيور آلات شحذ السكاكين والمناشير والأدوات وغير ذلك.

ويقوم الخراز ببيع منتجاته بنفسه في مباسط أرضية – في العادة. ويزاول حرفته خلال عرضه بضاعته.

الصـــــياغـــة:

وهي صياغة الذهب والفضة والأحجار الكريمة وتصميم وتشكيل وصُنع الحلي والمجوهرات منها – وتشمل البناجر والأساور والخواتم والمحابس والعقود والقلائد والسروح والأزمطة والمعرّيات (جمع معرّى، وهي صفيحة ذهبية ومزخرفة تنشر على الصدر) والأقراط والريش والمحازم والقباقب والهامات والحجول والحلق والجدائل والخزّامات (حلق يعلق في خرم بالأنف) وغير ذلك من أنواع الحلي. وتطعم بعض الحلي بالفصوص من الأحجار الكريمة كاللؤلؤ والزمرد والعقيق والياقوت والمرجان والفيروز وغيرها، كما أن الصانع يزين أغمدة السيوف والخناجر والعلب بالذهب والفضة والفصوص ويطعمها بأنواع الجواهر. كما يصنع الأختام الرسمية والشخصية وعرفت بعض الأسر بهذه الحرفة الماهرة الدقيقة التي يتوارثها الأبناء عن الآباء.

خياطة العبي والمشالح:

حيث ينتج الحياك النسيج من الصوف والوبر منه الخفيف ومنه الثقيل، يشتريه منه خياطو المشالح والعبي، الذين يشغلون مجموعات من الرجال، في مشاغل منزلية خاصة، وقد يعاونهم ويتدرب على أيديهم بعض الأولاد من أبنائهم أو أقاربهم أو ممن يستأجرونهم، ويتم خياطة المشلح أو العباءة على مراحل، ويختص كل شخص أو مجموعة بمرحلة معينة.

فهناك أخذ القياسات ثم القص ثم الخياطة اليدوية ثم يأتي دور تزيين المشلح

خاصة بالكرمك، وهو حواف الزري (القصب المذهب) على الظهر والجوانب والأيدي. ويأتي التطريز على عِدة نقشات أو نماذج فنية بديعة تعكس المهارة المعروفة في صناعة المشالح في الأحساء. وفي بعض المشالح يكتفى بحواف التطريز بالحرير اللامع، وهذا في المعتاد لباس العلماء وطلبة العلم والزهاد وأهل البساطة والتواضع، كذلك يكون تزيين حواف العباءات النسائية إما بالزري المكثف على عِدة نقشات وأشكال أو بخيطان الحرير.

وكل هذه العمليات تتم بطريقة يدوية لا تستعمل فيها الماكينات. وقد اشتهرت بيوت وأسر في الأحساء بهذه الصناعة، كما اشتهرت الأحساء بها، وهي تصدر المشالح الفاخرة إلى عِدة مناطق خارجها و هي مطلوبة من الملوك والأمراء والحكام والطبقات الثرية. وقد انتقلت بعض الأسر المختصة بالخياطة إلى سوريا والكويت وبعض دول الخليج الأخرى، فنقلوا معهم هذه الصناعة التي استقرت وتطورت في بعضها، ولكن باستخدام الآلات الحديثة المتطورة.

التطريز بالزري:

يعتبر التطريز بالزري حرفة فنية أخرى قائمة بذاتها. فهناك أشخاص متخصصون بها ولهم دكاكينهم التي يعملون بها في السوق فهم يشترون خيوط الزري والحرير الملون من باعته ويقومون بتصميم أشكال ونقشات ونماذج فنية جميلة وينقشونها بالزري والحرير اللامع على دراريع (فساتين) النساء وأثوابهن الواسعة الكبيرة وعلى طواقي الأولاد الفاخرة. وهذه الملابس تكون عادة من أفخر أنواع النسيج، الحرير والإبريسم والجوخ والصوف على عِدة ألوان، وتكون الدرّاعة أو الثوب بعد تطريزه بألوانه الجذابة والنقشات المنثورة فيه في غاية الروعة والجمال، كما ينقش المطرزون أشكالاً ونماذج من الزري البديعة على بخانق البنات من القطن الفاخر الأسود، كما ينقشون أشكالاً وتصاميم جميلة على ملافع النساء من الأقمشة

السوداء الفاخرة. ويستخدم هؤلاء رجالاً وصبياناً في هذه الصناعة وبعضهم يفتح بيته لإنجاز العمل، إضافة إلى الدكان وهم يستخدمون الماكينات ويدقون الدرز على سندانات خشبية بمطارق خشبية ليستقيم ويزداد لمعانه. وحين الاقتراب من دكاكينهم تسمع طرقات (البرادخ) وهي المطارقة الخشبية على سنداها، بسرعة وتكرار مختلطة بأصوات الماكينات التي تدار بالقدم وتصدر من صف من الدكاكين مختلطة ببعضها البعض في جلبة مميزة بهذه الناحية من السوق.

خياطة الزري (الخيطان):

هناك أسر متخصصة بصناعة الزري وأخذه خاماً من مورديه وإعداده وتجهيزه على طيات وأكوار (جمع كور وهو مطوية من الخيوط يبلغ طولها آلاف الأمتار) وبكرات وبيعه على خياطي المشالح والعبي وعلى مطرزي أثواب النساء. وقد يعمل هؤلاء في بيوقم ويشتغلون رجالاً وصبياناً في هذه الحرفة الدقيقة.

خياطة الملابس:

هي حرفة مختصة بخياطة ملابس الرجال والأولاد من الأقمشة القطنية من البفت (بالفاء) والبوبلين والويل واللاّس والسواحلي والصوف والجوخ. وحتى تطريز



الغتر بالحواف والزركشات والدقات الحريرية على نماذج وأشكال متنوعة وخياطة الطواقي للرجال والأولاد من الأقمشة القطنية وتحشى بين طبقاها بالقطن وتطرز بالأشكال والنقشات البديعة من خيوط الحرير اللامعة. ويصنع الخياط الجبة والدّقلة والصاية والزبون من مختلف الأقمشة وهذه كلها تلبس فوق الثوب وخاصة للعلماء والمشايخ والوجهاء ومحبي الأناقة. واشتهرت بيوت في بعض قرى الأحساء بحياكة الطواقي من قِبل النساء.

الخــــبازة:

للخباز دكان في الحي أو في السوق. والخبز المحلي يتكون من دقيق البر الأسمر والتمر والملح وتذر عليه عند لصقه بالتنور الحلوة (اليانسون) والسويداء (الحبة السوداء). والتنور مصنوع من الفخار. وهو إمّا أن يُبنى فوق الأرض، مائلاً بحيث يعمل الخباز عليه وهو جالس ويستخدم السّجّين (قطع من جذوع النخل) كوقود، مما يعطي الخبز نكهة مميزة لذيذة إلى جانب جودة طعمه ومذاقه ومواده الطبيعية الغنية.

كما يوجد خبازات نساء متخصصات في هذه الحرفة يعملن على تنانير أرضية في بيوهن وخاصة في مواسم شهر رمضان، كما يقمن بخبز المسح (القرصان الرقاق) من دقيق البر الخالص والملح على تاوة (صفيحة حديدية مقعرة مقلوبة) تحتها نار من حطب الشجر أو النخيل، وخاصة أيضاً في رمضان. ويقمن أيضاً بصناعة الملتوت وهو كعك متماسك صغير يطرق على وجه منه بمطرقة خشبية لعمل نقشة عليه ويصنع من التمر ودقيق البر والهيل والقرنفل والزعفران، ويقدم للخاصة في مناسبات الأعراس. كما أن كثيراً من ربات البيوت يقمن بعمل خبز المسح والملتوت. والخبازة حرفة شاقة حيث التعرض المباشر لوهج النار الشديد مما يسبب أمراضاً مستديمة للخباز.

ويعتمد بعض الخبازين على نفسه في تحضير الدقيق. فيكون لديه طاحونة تدار بواسطة الحمار تُسمى «المدار» ينتقي أجود أنواع الحب، فيقوم بتنظيفه وطحنه

ونخله. وقد كان بحي الكوت الخباز «أيّوب» القادم من تركستان، وكان لديه مخبز بهذه الصفة ويستخدم التنور بالحطب في عمله. ولكن خبزه أبيض

غير محلّي وهو لذيذ وشهي وثمنه أغلى من الخبز الشعبي الأحمر، ولا يشتريه إلا البيوت الأكثر يسراً.

وفي العصر يعرض الخبازون خبزهم في مناسف من الجريد المغطى بغطاء صوفي نظيف، وفي صف طويل من المباسط الأرضية في السوق. وهناك خبازون متخصصون في خبز « الصامولي» الساندويتش الذي يسمى محلياً (الكماك) (الكاف الأخيرة تنطق ch حسب اللهجة المحلية. وكذلك الكعك المحلّى بالسكر والشابورة يعرضون بضاعتهم في السوق وقت العصر على منصات خشبية في صف طويل.

عمل الحلويـــات:

تخصص أشخاص وبيوت في صنع الحلويات من الدقيق أو النشاء والدهن والسكر والألوان والمنكهات. وقد يضاف لبعض الخلطات ماء الورد والزهورات. وهي تشمل الحلوى والزلابيا « وشعر البنات» وهي لفات بيضاء دقيقة تشبه الشعر و» أصابع العروس» وهي أعواد ملونة صلبة، و «أصابع التاجر» وهي أعواد ملونة صلبة ولكنها أكثر سماكة والكليجا، وهي أقراص صغيرة ثخينة. وتباع الحلويات على منصات في صف طويل في السوق وخاصة وقت العصر ويزداد عرضها في شهر رمضان المبارك والأعياد وفي أيام السوق الأسبوعية في المدن والقرى.

وهناك من يصنع «القبيطا» وهي حلوى بيضاء متماسكة تصنع من الدبس والنشاء أو السمسم وقد تضاف مواد كدهن السمسم والحبة السوداء، وتعرض في مناسف من الجريد مغطاة بمناديل صوفية نظيفة في مباسط أرضية. وحين صنع الثلج في الخمسينات ظهرت صناعة بيع الأيسكريم بصورة بسيطة.

تحضير الدهن:

يقوم الدّهّان بتعشيق الدهن، أي تصفيته بعد تسخينه من الشوائب، كالأملاح واللبن والدبس والشعر، والتي تضاف إليه عند إعداده لدى أهل البادية – وهذا هو السمن البري المستخرج من الضأن – لحفظه من التلف ثم يضيف إليه دهناً معالجاً بالبصل والبهارات، كالحلوة والكمون والكركم والهيل ثم يصفى مرة أخرى بعد تسخينه مجدداً. وتسمى البقايا تعشيقة. وكان في السابق تضاف إليه مادة تسمى «النيل» ولكنها انقطعت [1] ويباع في أسقية صغيرة تسمى عكة.

وهناك بيوت تبيع الدهن البقري والزبد الزائد عن حاجتها، حيث تملك بقرة أو أكثر وتبعث بالدهن في أوان معدنية منها اللياط والمطبقيات والطاسات، مع سيدات كبيرات يكسبن عيشهن من خدمة البيع والشراء للبيوت. ويبسطن بضاعتهن في مباسط أرضية في السوق، وخاصة أيام الأسبوع المخصصة لكل مدينة والقرى الرئيسية الأخرى.

صناعة الفخار:

يعود تاريخها في الأحساء وسائر الساحل الشرقي للجزيزة العربية والبحرين إلى ٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد (حضارة العُبيد). فقد وجدت كثير من الفخاريات تمثل العصور المختلفة وكانت مزدهرة إلى ما قبل عقدين، حيث تضاءل إنتاجها. وتوجد مصانع الفخار في الهفوف والمبرز وقرية القارة[2]. وهي تسمى «الدوغة» وأهم منتجاها المصاخن (وعاء التبريد) والجرار والحبوب «جمع حِبّ بكسر الحاء» وهو يشبه الخرس والأزيار والصليحي (جحلة صغيرة بعنق طويل) والتنانير والخروس (أزيار لحفظ المواد

١- فؤاد عبد الواحد: جريدة اليوم ١٤١٦/٧/٦هـ. والموضوع عن تعشيق الدهن في القطيف وتم اقتباسه لأن العملية واحدة تقريباً، في القطيف والأحساء وربما أيضاً في بقية دول الخليج.

٢- مقالات في تراث الأحساء، المهندس عبد الله بن عبد الله بن عبد المحسن الشايب، ط١.

الغذائية الجافة) والكراريز (أوعية تبريد صغيرة) والكؤوس والغراش (جمع غرشة وهي كأس كبيرة في قعرها زخرفة تشبه النافورة) والمباخر والمزهريات. والطين المناسبة لهذه الصناعة يأتي من محاجر قريبة وخاصة قرب جبل القارة، من اللون الأحمر، وهناك محاجر أخرى يجلب منها الطين الأخضر. وقد أدت هذه الصناعة التاريخية خدمات جلّى في تبريد الماء وحفظه وفي صناعة الخبز في التنانير في هذه المنطقة.

القصابة:

وهي مهنة شاقة وقد تخصصت فيها أسر معينة وتتطلب قوة وبأساً ويشتري القصاب الجمال والنياق والقعدان والبقر والأغنام من السوق الذي يفد إليه أهل البادية لبيع الجمال والأغنام فيه. أما الأبقار فيشتريها القصابون من باعتها من المزارعين إما في السوق أو من أصحابها في القرى مباشرة. وللحم قيصرية خاصة في مدينة الهفوف وأسواق خاصة في المدن والقرى الأخرى في الأحساء. وبالإضافة إلى اللحم الذي يباع عادة بعظمه، يعرض القصاب رأس الذبيحة والكراعين والمعاليق والأحشاء والمصارين لمن يشتريها بأسعار زهيدة لمن لا يقدر على شراء اللحم. كما يبيعون الشحوم التي تذاب ويصنع منها الدهن المستعمل للطبخ. وشحم الإبل يصنع منه دهن الودك الذي تعدت أوجه استخدامه الطبخ إلى تدليلك الجسم والعضلات وصنع دهان الرأس للنساء مخلوطاً مع مساحيق عطرية، كما يستعمل مع المعادن والحديد لحمايتها من الصدأ أوغير ذلك من الاستعمالات المفيدة.

ويقدم القصابون خدماتهم لنحر الأضاحي في البيوت في عيد الأضحى وذبح الذبائح في عيد الفطر والأعراس والمناسبات والاحتفالات. ويأخذون إضافة إلى أجورهم الرؤوس والجلود والكروش والمصارين والكراعين ويستعمل جلد الضأن النجدي كجاعد للفراش وكغطاء وثير للركوب على ظهور الحمير. وتطبخ الكراعين وتباع في السوق وخاصة عند الخبازين الذين يطبخونها على جمر السجين في التنور.

النّدافة:

يستعمل الندّاف وفي معنى أشمل القطان،القطن والأقمشة القطنية والإبريسم الناعم الأملس الملون في صنع الفرش (جمع فراش) والمخدات والدواشق (جمع دوشق) وهو مراتب الجلوس على الأرض في المجالس والمساند والمتاكي والطراريح (جمع طراحة) وهي اللحاف الثخين المحشو بالقطن، المضرّب بصفوف دقيقة من النفذات ليتماسك ويكون قماشه من القطن أو الإبريسم اللامع الملون ويستخدم النداف الذي يندف القطن «ندافة» وهي هيكل خشبي يدوي له أوتار تصنع من جلد الحيوان، وله مطرقة خشبية محفورة يدخل النداف الأوتار داخل كومة القطن ويأخذ في الضرب بقوّة الأوتار فينتفش القطن ويتطاير كريش العصافير الصغيرة فيستقر في جانب آخر بحيث يجمع ويحشى به الفراش ثم يضرّب بتشديد الراْء بالعصا الخيزران ليتساوى ويستقيم ثم يخاط بالخيط والإبرة ويستعمل الذى يخيط الفرش كشتباناً على بعض أصابعه لحمايتها من نفذات الإبر وقد يأتي النداف إلى المنازل ليقوم بإنتاج عدد كبير من الفرش كما فى مناسبات الأعراس وهي حرفة فنية دقيقة تتطلب مهارة وخبرة (وتحملا) لغبار القطن وهبائه.

صناعة الطبول والدفوف:

يحتاج أبوطبيلة (المسحراتي) وفرق العرضات والفنون الشعبية والطقاقات في الأعراس وكثير من البيوت إلى الطبول والدفوف في مناسبات شهر رمضان الكريم وعيد الفطر والمناسبات العامة والخاصة ولتلبية الطلب على هذه الأدوات الصوتية برع أشخاص متخصصون في صناعتها وإتقانها والطبول والدفوف تصنع من جلود الحيوانات وتلبس على إطارات وأسطوانات تصنّع (بتشديد النون) من نوع خاص مرن ولكن قوي من الأخشاب وتخاط بخيوط دقيقة من جلد الحيوان إلاّ أن الطبل يحتاج لمتانة جلده إلى خيوط سميكة مجدولة من القطن الخالص ويستعمل لطرقه عصا

خشبية ربما خيزرانة قصيرة لها رأس كروي محشو بالقماش وهناك الطبل الضخم الذي يعلقه الشرطي الطّابل فى الفرقة الموسيقية الاستعراضية على صدره وفي كثير من البيوت يمكن صناعة الدف الذي يسمى الطار وجمعها طِيران في البيت وذلك بالحصول على إطار خشبي لمنخل ودبغ جلد الحيوان والخياطة عليه فى أحجام صغيرة وكبيرة.

الطهـــــــــــي:

في كل حيّ من أحياء مدن وقرى الأحساء يوجد أشخاص متخصصون فى طبخ الولائم الكبيرة فى الأعراس والأعياد والحفلات والمناسبات والدعوات وغيرها يستدعون من بيوتهم وبعضهم يجيد نحر الذبائح وقصابتها وهم طهاة مهرة يستعملون الدهون والبصل والأبازير والبهارات في إعداد ولائم ضخمة تبلغ فيها الذبائح العشرات وينعم المدعوون بتذوق هذه الولائم المكونة من اللحوم الجيدة والأرز المغطى بالحشو والزبيب والسمن أما في الأعراس فيتغير نوع الطعام في اليوم الثاني والثالث إلى المفلق وهو الحنطة المجروشة والمطبوخة على الروبيان الجاف والمشبعة بالبيض المسلوق ودهن السمن البري والبصل المحمر وإلى الهريس المكون من حب الحنطة وشرائح من فخد العجل أو البقرة ويصب عليها عند التقديم الدهن البقري الطازج وإلى الجريش المكون من القمح المجروش والبصل ويقدم رخوًا ذائباً مع الدهن أو السمن وهناك أسر تخصصت في طهي الولائم معروفة مشهورة وكانوا يستعلمون الحطب من جذوع النخيل والأشجار كوقود مما يكسب طعامهم مذاقات ونكهات لذيذة ويقوم هؤلاء الطهاة بهذه الخدمات مقابل أجور معلومة كما يحصلون على كميات جيدة من تلك الأطعمة يأخذونها إلى بيوتهم.

خدمات القهوة والدعوة:

يوجد أشخاص في كل حي من مدن وقرى الأحساء متخصصون في صنع



وتقديم القهوة والشاي والزعفران في الأعراس والحفلات والولائم والدعوات والمناسبات يستدعون من بيوتهم ويكلفون بالذهاب إلى بيوت الحي لدعوة أصحابها إلى العرس أو المناسبات الأخرى ويقومون بصنع القهوة والشاي وماء الزعفران المحلّى وتقديمها للضيوف ويكون لهم مرفق خاص مكشوف وعدة ومواقد وحطب وفحم وأباريق ودلال وسطول وتباسي ومحامس وسراريد وفناجين ومداخن وفوط وهاونات ومناقيش والشاي والسكر والهيل والزعفران وعود الصنفى وغير ذلك من اللوازم وتكون المواقد مشتعلة بالحطب والغضا والفحم لساعات طويلة لموالاة تقديم هذه المشروبات والطيب على مدار الساعة والمقهوي يعد المداخن والمراشّ ويدور بها بين حين وآخر على المدعوين ويغسل جميع الأواني وينشفها ويعيد ترتيب كل شيء وذلك مقابل أجور معلومة.

الحسانة الحلاقة والختان والحجامة:

يكون للمُحسّن أو الحلاق دكان في الحي أو السوق ويستعمل الأمواس الكبيرة ومشاحذها من الأحجار والجلود كما يستخدم المقصات والفوط والملاءات القماشية والصابون ويحلق شعر الرأس على الصفر بعد فركه بالماء وأحياناً مع الصابون بحيث يخرج الرأس صلعة ناعمة كاملة للرجال والأولاد كما يشذب اللحى والشوارب بعناية وإتقان ومن مهماته الأخرى الحجامة لاستخراج كميات محدودة من الدم من عروق معيّنة خلف الرقبة بواسطة آنية في شكل فناجين الشاي الزجاجية المخصورة مع أنابيب جانبية معقوفة بها لمص الدم بفمه ثم تفريغه في إناء به رمل كما أن من مهماته ختان الأولاد حيث يستدعى إلى البيوت للقيام بذلك وتقام وليمة بهذه

المناسبة يدعى إليها المختّن ومن مهماته أيضاً خلع الأسنان المريضة بواسطة كلابات خاصة بدون مخدر.

وهو يستخدم في دكانه لوحاً كبيراً معلقاً في السقف له خيط مدلّى بحلقة في الجدار لسحبه وإطلاقه بتكرار فيتحرك اللوح جيئة وذهاباً لتبريد الدكان. وله أجر معلوم عن كل هذه الخدمات.

وللحلاقين في قيصرية الهفوف ساحة خاصة تصطف على جوانبها دكاكينهم وهم يمارسون عملهم مع الزبون جلوساً على الأرض. وربما لا يزال يعيش بيننا الآن من مارس هذه المهنة أمد الله في أعمارهم. وهناك عائلات تخصصت في هذه المهنة.

النقل على القواري والحمير:

يقوم على هذه المهنة أشخاص متخصصون يملكون حماراً أو أكثر أو حماراً «وقارياً» معاً لنقل الحمولات من تمور وبرسيم وأرز وأسمدة ورمال وحصى ومواد بناء أخرى وبضائع في الأسواق مقابل أجور معلومة. مزاول هذه المهنة يسمّى حمّاراً (بتشديد الميم) يحتفظ بالحمار في حظيرة خاصة في منزله ويعتني بتعليفه وتنظيفه وعلاجه وتقليم حوافره عند النجار ويسرجه ببرادعه ويزينه بالحناء والقلائد



والبراشيم والكراكيش لاستعراضه في الساحات أيام الأعياد. والدخول به أو تأجيره في سباقات جري به. وإذا كان لديه قاري يتركه في أقرب ساحة إلى منزله ويقوم برفع وإعادة نفخ العجلة المطاطية وهي نفس عجلة السيارات الحالية وقد يؤجر الحمار إلى الغير باليوم مقابل أجر معلوم، ويطعمه من البرسيم (الجتّ) والتمر ويعتني باستيلاده وتأجيره لتلقيح الحمير الإناث.

كما يحتفظ بعض ملاك النخيل بحمار مع قاري ويؤجر رجلاً للعمل عليه لخدمة نخله ويسمى هذا المستخدم « صِبِيْ» حتى لو كان رجلاً كبير، ويتّصف الحمار بالقوة والشدة لمزاولة نقل الأحمال.

• التطبيب الشعبي:

(١) جبر الكسور:

تخصص أشخاص في جبر الكسور، فيحضّرون (بتشديد الضاد) الدقيق والبيض (وربما يضاف صمغ أيضاً) فيصنعون منه عجينة، ويجهزون أعواداً قوية من جريد النخل، فيبدأ المجبّر بتفحص موضع الكسر، ثم يركب العظم المكسور، فيسنده بأعواد الجريد، ثم يبني عليه العجينة ويلفه لفترة يحددها حسب حالة الكسر ليراجعه المصاب فيما بعد، فيكسر الجريدة الصلدة ويشفى الكسر بإذن الله.

(٢) التدهين:

يسمى من يقوم بهذه المهنة «المدهّن» ويستعمل دهن الودك الساخن، فيدلك به ظهر وعضلات المريض الذي يشكو من انزلاقات أو التواءات، أو خمول في العضلات أو إصابة الفقرات القطنية أو الركبة أو المفاصل، وغالباً ما يشفى المريض بإذن الله. وبالنسبة للنساء توجد سيدات أيضاً متخصصات في فنون التطبيب العشبي ومنها التدهين.

(٣) الكّي:

يوجد رجال متخصصون في الكي لعلاج أمراض عديدة ويقوم الطبيب الكاوي بإحماء أسياخ على النار حتى إذا احمرت وتوهجت وضع طرفاً منها أو بطولها على الموضع الذي يحدده في جسم المريض الذي قد يحتاج إلى شخصين يمسكان به، حتى لا يفر من لسع النار. وغالباً ما يشفى المريض بإذن الله إذا كان المداوي خبيراً والتشخيص صحيحاً ويوجد نساء أيضاً كاويات.

(٤) لقط شعر العين:

تُصاب بعض النساء (خاصة) بنمو شعر تحت جفن العين، مما يسبب ضيقاً شديداً ودمعاً واحمراراً مستمراً بالعين. وهناك نساء متخصصات يلقطن هذا الشعر بملاقط خاصة، ويستعملن «الفشّيّة» (وهي قطع بيضاء صلبة اسفنجية الشكل تحضر من البحر أو من غضاريف بعض الأسماك لحك باطن الجفن، موضع الشعر المنزوع، فيساعدن المريضة لفترة، ولكن الشعر لسوء الحظ يعود فينمو من جديد، وهكذا.

وبعض النساء المتطببات يمارسن عِدة مهن في نفس الوقت كالتجبير والتدهين والكّي ولقط شعر العين.

(٥) القراءة بالقرآن الكريم:

وهذه من مهمات رجال أتقياء، على جانب كبير من التدين والورع وحفظ كتاب الله الكريم والأدعية والمأثورات، وغالباً ما يكونون أئمة مساجد ومشايخ وبعضهم يكتب آيات من القرآن الكريم بماء الزعفران وبقلم من أعواد نباتية مجوفة على باطن صحون صغيرة بيضاء مطلية بمادة الغضار الناعمة ويطبقون كل صحنين متقابلين ويحزمونها في منديل قطني. وقد يبلغ عدد الصحون ٦ أو ٨ ليأخذها المريض إلى بيته فيغسل الصحون بالماء ويشرب من الماء الذي يكون فيه الشفاء بإذن الله.



وغالباً ما يكون المريض الذي يلجأ للقراءة مصاباً بمعاناة نفسية أو عصبية شديدة. وهذا يكون لدى النساء أكثر نتيجة وقوع الضغوط الأسرية والاجتماعية والتربوية والكدح والقهر والتسلط إما من أزواجهن أو من ذويهن أو من ضراهن عليهن.

وهناك أشخاص يقرأون ويشخصون المرض بأنه «إصابة بالعين» أي «النظلة أو الحسد» من «عين حارة» أي شخص ناظل أو حاسد فيقرأون عليها رقية خاصة من آيات الذكر الحكيم في عدة زيارات. وقد يشفى المصاب بإذن الله.

وقد دخل في هذه المهنة أشخاص يدعون أنهم يعرفون «الناظل» ويعلمون ما صنعه بقصد الشر والإيذاء ويطلبون من المصاب بعض الطلبات والتدبيرات حتى يبطل عمل الشر والعياذ بالله وقد يكون هذا من أعمال الشعوذة.

• المهن التجارية:

١ – التاجـــر:

ويكون في العادة مورداً لأنواع معينة من المواد أو البضائع أو السلع المصنوعة في بلدان أخرى. وله متجر كبير به مكتب وقد يستخدم كتّاباً ومحاسبين. وله مخازن مجاورة في السوق أو في الحي أو في مترله وقد يسافر بنفسه إلى البلدان المصدرة لبضائعه، كالهند وعمان والبحرين، للمعاينة وعقد الاتفاقات، ولارتباط التجارة بالغنى، فقد أصبح الغني في المفهوم الشعبي تاجراً.

٢ – صاحب الدكان:

وقد يتخصص في نوع أو أنواع من السلع كالمواد الغذائية أو الأنسجة والأقمشة أو الأواني أو الملابس والأحذية والحقائب والكماليات والعطورات والبخور والآلات وأدوات الصناعة والزينة والتحف أو الأخشاب والعدد والأصباغ والوقود والدراجات وقطع غيارها والفوانيس والأسلحة والذخائر والفرش والبسط والألحفة والصناديق والخيوط والزري (القصب المذهب) والأسلاك والزلّ (السجاد)، أو مواد البناء من أخشاب ومصنوعات خشبية أو أدوات الحفر والقص والقطع والشحذ والطرق والحفر والنقش والمرايا والمنتجات الجلدية وكافة السلع والبضائع التي لا حصر لها أو يبيع أنواعاً متعددة من السلع الصغيرة التي تسمى « برتشوتن» (barchootan) وعادة ما يتجمع أصحاب البضائع المتماثلة في جهة واحدة من السوق.

٣ – المسّوق:

مهمته أن يدور على أصحاب الدكاكين يعرض عليهم بضائع بالجملة، ويعتبر مندوباً للمورد وربما يتقاضى نسبة محددة من قيمة ما يسّوقه. وقد يسمى الدلال (بتشديد الدال واللام).

٤ – صاحب البسطة:

الذي يفترش الأرض ويبيع منتجات محلية من غذاء وأطعمة وحبوب فصفص وحلويات وملبوسات وأدوات ولوازم صغيرة. وهناك باعة يحفظون سلعهم في صندوق حديدي ثابت في المبسط مقفل. وثمة من يحضر بضاعته يومياً ويبيعها في مكان محدد وتفترش السيدات البدويات مباسط محددة يومية لبيع منتجات الصحراء من أصواف وأقطْ وجلود وسجاد وغيرها.

٥- المحـــرّج:

الذي يحرّج على بضاعة يراد بيعها بسرعة أو تَرِكة أو أشياء مستعملة.

البائع في سوق الحراج:

وهذا يشتري البضائع إما جديدة أو قديمة مستعملة، تحت المزايدة، ويعيد بيعها في مبسطه في سوق الحراج. وبضاعته متنوعة قد تشتمل الملابس والأحذية والأواني والحقائب والصناديق والأسلحة والذخيرة والنظارات والمظلات والتحف الأثرية والحلي الفضية واللوحات الفنية وأدوات الزينة والمباخر والمرشات والبسط وألواح الكتابة والأوراق والكتب والمحابر والأحزمة والجزدانات والفوانيس وأدوات القص والقطع والحفر والطّرْق، وغير ذلك مما لا حصر له. مما يدل على اتساع قاعدة التحضر المدني للمجتمع في هذه المنطقة قبل ظهور المجتمع المعاصر بوقت طويل.

٦ – بائع الســـاعة:

وهو الذي يقف أو يجلس في السوق لبيع ما بيده ويمضي، من منتجات غذائية أو مستلزمات منزلية أو شخصية. وقد يعرضها لأعلى سوم، لتبلغ أعلى قيمة تعرض لها.

٧ – بائعات المنتجات الغذائية والمنزلية:

من بين الخدمات التي تقدمها سيدات كبيرات للبيوت، بيع ما لديهن من أغذية أو أشياء كالتمر والزبد والأرز ونوى التمر، والملابس المستعملة والبيض والدجاج والطيور والأكياس المخاطة من ملابس قديمة وغير ذلك. وقد يُكلّفْنَ بشراء حاجات لازمة بقيمة ما بعنه ويتقاضين أجوراً زهيدة مقابل ذلك.

٨ – باعـــة المنصات:

مثل باعة الحلوى والحلويات والسكاكر والكعك وخبز الصامولي والساندوتش

والسمبوسك والشعيرية في رمضان.

٩- الباعة الدوَّارون:

هم الذين يدورون على البيوت في الأحياء لعرض بضاعتهم كالكيروسين أو خدماهم مثل سن السكاكين (شحذها) أو شراء أشياء قديمة مثل الزري العتيق أو إصلاح المواقد مثل الدافور والكولة (elchooleh).

١٠ - الحـوّاج:

ويعرف بــــ» العطار» وهو بائع الأعشاب والأدوية الشعبية الطبية من المر والصبر واللبان وصمغ الريح والشب والحلتيت والهليلج «ودواء النّزَر» وغيرها. وهذه المهنة تتطلب حذقاً وحكمة وخبرة وتتطلب الأمانة والمسؤولية لأن الحواج فيها بجانب بيعه للأدوية والوصفات التي تطلب بالاسم، فهو يقوم أيضاً بوصف الأدوية وخلطها بنسب معينة حسب خبرته لحالات مرضية توصف له. وهذه من المهن التي يتوارثها الأبناء عن آبائهم وتنتقل في الأسرة من جيل إلى جيل.

وبعض الحواجين لا يكتفي باستيراد الأدوية بل يسافر بنفسه إلى الصحراء والوديان ليبحث ويحصل على النباتات المطلوبة التي يعرفها ومنهم من يبدأ في المهنة طفلاً ويقضي عمره حتى يشيخ وهو يمارسها، وقد عرفت الأحساء أجيالاً وأسراً متعاقبة في هذه المهنة، والحواجون لهم قسم من سوق قيصرية الهفوف لا يزال قائماً منذ زمن طويل، كما توجد حوانيتهم في بعض مدن وقرى الأحساء. ويذكر بعضهم أهم تأتي إليهم حالات مستعصية من أمراض شديدة فيصفون ويحضّرون (بتشديد الضاد) لهم الأدوية والأعشاب المناسبة فيشفون بإذن الله. ومن الحواجين من يذكر حالياً وقد بلغ الثمانين من عمره أنه لم يزر الطبيب ولا مرة واحدة معتمداً على الله والأطعمة الطبيعية. وهناك نساء خبيرات في وصف الأعشاب والأدوية ويمارسن تطبيقها.

• المهن والوظائف الدينية

١ – المفـــتي:

كان للأحساء في فترتي الحكم العثماني. مفت عام ترجع إليه السلطة والناس لاستفتائه في الأمور والقضايا الشرعية وكان يعمل في مترله.

٢ – القاضـــي:

ويعمل في المحكمة ويقضي في الحدود والقضايا والتراعات والخصومات والمواريث ويصدر الصكوك الشرعية في ذلك وفي الأملاك والعقارات والمبايعات والوكالات وقد يتنازل عن المرتب أو المخصص المعين له ويقضي احتساباً لوجه الله. وقد كان الناس في تلك الأزمان متواضعين بسطاء قريبين من التسامح، فكان الخصمان يقصدان القاضي في مترله ويخرجان متصالحين بما حكم بينهما دون مقابل.

٣ – الإمـــام:

إمام المسجد يكون حافظاً لكتاب الله الكريم وعلى علم باللغة العربية مشهوداً له بالتقوى والورع. وله مخصص من غلة تمر أو أرز من نخل موقوف على المسجد الذي يؤمُّ فيه الصلاة. وله تسهيل في سكن أو بيت مجاور موقوف على المسجد وهناك أئمة قضوا معظم حياقم الطويلة في هذه المهنة ولهم تقدير كبير لدى الناس.

٤ – الإمام الخطيب:

وهذا يجمع بين إمامة المسجد وخطبة الجمعة فيه. وهو رجل معروف بالورع والتقوى وإجادة اللغة العربية والوعي والمعرفة في كثير من الأمور الشرعية ويكون له نصيب من غلة من التمر والأرز من نخل موقوف على الجامع وقد يكون له تسهيل في سكن بيت موقوف على الجامع، كذلك يلجأ إليه المرضى وخاصة من النساء والأطفال لقراءة القرآن الكريم عليهم وطلب الشفاء من الله، ويحظى الإمام الخطيب بتقدير واسع لدى الناس.

٥ – المؤذن:

هو المكلف بالأذان في المسجد أو الجامع للفروض الخمسة فيعتلي المئذنة ويرفع صوته يمنة ويسرة واضعاً أصابعه في آذانه وبعض المؤذنين يتمتع بصوت قوي وأداء حسن. وهو مكلف بفتح المسجد قبل الفروض وإغلاقه بعدها وكذلك الميضأة وسحب الماء من بئرها وتعبئة حوضها وإشعال السراج بها ليلاً والعناية بنظافة المسجد وفرشه من المداد» الحصر» وثم طيها وحفظها وإشعال السراج به ليلاً وإطفائه بعد العشاء وتعبئة جرار الماء للشرب به وحفظ نعش الموتى في غرفة خاصة به في المسجد.

وقد يكون له منزل تابع للمسجد و للمسجد بجواره بستان به بعض النخيل يستفيد من ثماره وله مخصص من تمر أو أرز من نخل موقوف على المسجد. ويسقى البستان من صرف مياه الميضأة.

٦ – الشيخ: (وعاقد الأنكحة):

هو رجل علم فقيه في أمور الدين وقد يكون كذلك أيضاً في علم اللغة العربية. يستشار ويستفتى في بعض المسائل والأمور الشرعية والاجتماعية وقد يدرس على يده بعض الطلبة وقد يكون مالكاً لنخل يقتات منه وهو يتبع أحد المذاهب.

ويستعان به لعقد الأنكحة دون مقابل، وهو يكتب الرسائل للناس ويقرأ الرسائل (الخطوط) الواردة إليه حيث أن أغلب الناس أميون وقد يقرأ القرآن «ختمة»، أي جميعه في رمضان تثويباً لشخص ميت، بتكليف من ذويه. ثم يقرأ دعاء تثويب «الختمة» في احتفال خاص يحضره الرجال والأولاد في منزل ذوي المتوفى، وتقدم فيه ضيافة خاصة من فواكه ومشروبات وشاي وقهوة وطيب وفي العادة يعطى القارئ أجراً معيناً لهذه المهمة، لا يلزم أن يكون القارئ شيخاً من أهل التقوى وعلوم الدين، بل قد يكلف طالب علم أو تلميذ في «المطوع» (الكتّاب) (بفتح الكاف وتشديد التاء) بذلك. لكنه أيضاً يحظى بالتكريم والأجر، إذ أنه يدعى له بالصلاح، ومن مهمات الشيخ أيضاً تلقين الميت الشهادتين وتذكيره بيوم الحساب والدعاء له بالرحمة.

٧ – المطوَّع:

هو معلم الصبيان في مدرسته القرآن الكريم كتابة وبعض الحساب مقابل أجر شهري معين. وعند ختم التلميذ القرآن الكريم، يقام له احتفال يحضر في مترله الشاي والقهوة والحليب بالزعفران، ويلبس أفخر الملابس وقد يقلد سيفاً ويمشي به في موكب السكك مع المطوع وباقي التلاميذ وهم يرددون الأناشيد المناسبة لهذا الاحتفال.

٨ – عالم الفرائض:

هو من له معرفة جيدة بعلم الفرائض وهو علم المواريث وتوزيع الحقوق والتركات والأملاك والثروات الموروثة على ذوي المتوفى وقد يتقاضى عن ذلك أجراً وخاصة في الزمن الحديث.

وقد اشتهر أشخاص في الأحساء بهذه المعرفة فأصبح يأتي إليهم طالبو التقسيم من مناطق أخرى للاستعانة بهم في قضايا كبيرة ومعقدة

٩ – عالم الأنساب:

يؤتى بعض الأشخاص وخاصة من له إحاطة بعلوم الدين الحنيف ' وهو على شيء كبير من التقوى والأمانة 'قدرة على البحث في أصول الأسر وأرومالها وتفرعالها 'وقد يحتفظ بسجل في ذلك.ويلجأ إليه الناس فى معرفة أصولهم وأنسابهم أويقوم بالتصديق أو تعديل ما يعرض عليه من أنساب ويعتبر مرجعاً في ذلك.

١٠ – المغسِّل:

وهي مهنة يتخصص فيها أشخاص آتاهم الله القدرة على مزاولة غسل الميت وتكفينه وتطييبه حسب الأصول الشرعية فللرجل مغسل وللنساء مغسلات وهم يحصلون على أجور مقابل ذلك تقل أوتكثر على حسب قدرة ذوي المتوفى.

١١ – حفّار القبور:

تنتشر المقابر فى البلاد فلكل ناحية أو محلة مقبرها المجاورة لها، هناك أشخاص معينون يمارسون مهنة حفر القبور وجعلها جاهزة لاستقبال الجنازة ويقوم الحفّار بحفر عدة قبور ذات أحجام مختلفة لتناسب الأعمار من كبار وأطفال. وبعد الدفن يعطى أجراً من أهل المتوف وفي الفترة الأخيرة أصبح حفر القبور من مهمات البلديات والحفّار يتقاضى أجره منها ومن مهماته أيضًا إحضار اللبنات لسد اللحد وخلط الطين لختم اللبنات على اللحد والاشتراك في إهالة التراب لدفن القبر ثم رشه بالماء. وفي الفترة الحديثة أصبح من مهمات الحفّار أيضاً حراسة المقبرة وإغلاق بوابتها بعد دفن الأموات، ولذلك تخصص له غرفة تقع عند بوابة المقبرة.

١٢ – القارئ للاستشفاء:

ويكون من يقوم بها شيخاً من أهل الدين وعلى شيء من التقى والورع، ويكون إمام مسجد أو قاضياً،أو ذا صفة دينية ويلجأ إليه المرضى فيقرأ عليهم آيات يحفظها من كتاب الله ويدعو لهم من الله بالشفاء والعافية وهو ينفخ على رأس المريض كلما قرأ شيئاً وقد ينفخ أيضاً في إناء به ماء تبركاً بالقرآن الكريم وهو يفعل ذلك تطوعاً لوجه الله تعالى.

١٣ – القارئ للدعاء:

وهو من يكلف بقراءة القرآن الكريم كاملاً ويختمه لمتوف حسب طلب أهل المتوفى ويقرأ دعاء التثويب فى مناسبة خاصة يكرم فيها باستضافته،ويقدم في حضرته ما يتيسّر من مأكولات ومشروبات، ويحضر المناسبة الرجال والأولاد من ذوي المتوفّى، وقد يُكلف ولد مجيد نجيب بهذه المهمة ويحصل هو أيضاً على أجر معلوم وقد يطلب منه أن يقرأ سورة « يس» أربعين مرة على مريض برجاء الشفاء من الله. وقد يُدعَى عدة أشخاص للمترل فيطلب إليهم أن يقرأ كل منهم السورة الكريمة أربعين مرة لهذا

الغرض. ويجري تكريمهم بمأكولات ومشروبات خاصة.

وقد يكون بعضهم أولاداً صغاراً ولكنهم يجيدون قراءة القرآن الكريم.

١٤- القارئ على الجانّ:حتى قبل ٤٠ عاماً، قبل انتشار العلم والتعليم كان هناك أشخاص يقرأون على من يقال أنه ممسوس بالجن، قراءات بعضها شرعية، وبعضها قد يدخل فيها ادعاءات ومزاعم غير صحيحة ولكن المرضى بذلك رغم إيمانهم إلا أنهم بدافع اليأس والعذاب الذي يقاسونه يلجأون لمن يدعون القرآن دون علم منهم بما عليه أولئك المدعون من صواب أو خطأ وخاصة أن كثيراً من المرضى سواء رجالاً أو نساءً هم بطبيعتهم أميون والأمي في كثير من الأمور يكون كالأعمى الذي يتخبط ولا يعرف الأمور الشرعية من غيرها ولكن فى السنوات الأخيرة لم يعد كما يظن من يدّعون القراءة غير الشرعية بين الناس والحمد لله.

١٥ - الواعـــظ:

يتطوع كثير من أهل العلم والوظائف الدينيّة للوعظ والإرشاد فى المساجد وفي مدارس خاصة موقوفة لخدمة العلم وطلابه وأهله ويكون ذلك فى الغالب بعد صلاة العصر ويحضرها أيضاً بعض النساء اللائي ينتحين جانباً من المسجد، قرب الباب دون أن يظهر منهن شيء. ويكثر الوعظ والإرشاد والقراءة من كتب التفسيروالحديث والسنة فى شهر رمضان المبارك.

١٦ - المعلم الديني:

قام العلم في الأحساء، حيث اشتهرت به منذ فترات طويلة، على التعليم الديني الذي يعتمد على التفسير والحديث وكتب السنة وعلوم الفقه وعلماء الإسلام وذلك على مختلف المذاهب التي تتوزع على خريطة اجتماعية من الأسر الدينية العريقة المعروفة في منطقة الأحساء فكان لكل أسر مساجدها ومدارسها وأربطتها حيث يتلقى الطلبة ويتفقهون ويتخصصون في علوم القرآن والتفسير والشريعة،

إلى جانب علوم اللغة العربية من نحو وصرف وحتى علوم الشعر والبيان والبديع والعروض ويعتبر الشيخ المعلم عالماً في التفسير والحديث والعلوم الشرعية والعربية، وبعضهم يجيد الشعر ويعتبر، إلى جانب ذلك أديباً بليغاً متحدثاً وخطيباً ومرجعاً للفتوى والإرشاد والحكمة في كثير من الأمور الدينية واللغوية والاجتماعية وعادة ما يقوم بالتدريس فى مدارس وقفية أوقفها أصحابها على هذه الأغراض ولها نخل مثمرة وضواحي إنتاج الأرز أو حتى الحنطة، يعود ريعها لصالح التدريس من هذه المدارس وللأربطة التى يسكن فيها الطلبة القادمون من خارج المنطقة ولهم مخصصاتهم وسكنهم وطعامهم من هذه الأربطة وللشيخ المعلم ربع من هذه الأوقاف خاص به مقابل التدريس والوعظ والإرشاد ينفق منه أيضاً على المحتاجين وفي وجوه الخير تقرباً إلى الله، وابتغاء مرضاته وتعاطفاً مع ذوي الحاجة والفقراء والمساكين وهو يفتح أبوابه ومجالسه لهم طوال الوقت، فيقدم الطعام الشراب، وتوزع الكساوى والإكراميات والأطعمة والصدقات في شهر رمضان الكريم والأعياد والمناسبات وقد تخرج من هذه المدارس أجيال عديدة ونبغ منهم كثيرون وكثير منهم من أجاد الشعر والبديع، وأصبحوا شخصيات معروفة ليس محلياً فقط ولكن في خارج المنطقة، أيضاً يحظون بالتبجيل والاحترام في كل مكان.

• الخدمات المهنية:

(١) القطاعة:

(بفتح القاف وتشديد الطاء) وهي السيدة المتخصصة في توليد النساء بمساعدتهن في أثناء الطلق واستخراج الجنين وقطع حبله السري وغسله ولفه والعناية بالأم الوالد مقابل أجرمعين

(٢) العكافة (**elachchafeh**):

وهي السيدة المتخصصة بالعناية بالعروس وغسلها وتسريحها وتلبيسها وتزيينها

ومتابعة هذه المهمات قبل وخلال أيام العرس وذلك مقابل أجر محدد وإكراميات.

الرّقّيدة:

السيدة المكلفة بإدخال العروس إلى زوجها والاهتمام بها وأحوالها طيلة أيام العرس وقد تقدم تعليمات وإرشادات عن الأمور الزوجية لها مقابل أجر معين وإكراميات.

(٤) العزّامة:

(بفتح العين وتشديد الزاء) وهي السيدة المكلفة بالدوران على بيوت الحي لدعوة النساء إلى حضور العرس، أو المناسبات. كذلك من الرجال من يقوم بمثل هذه المهمات للرجال.

(٥) صبّابة القهوة:

وهي السيدة التي تتولى إعداد القهوة والشاي والمشروبات الساخنة والباردة الأخرى وتقديمها للمدعوات وتقديم البخور والطيب والقيام بخدمة الطعام والعناية بالسفرة للنساء. كذلك من الرجال من يقوم بمثل هذه المهمات للرجال في الاحتفالات والدعوات والمناسبات.

(٦) الخادمون:

يقوم بعض الرجال بخدمة بيوت عادة ما تكون ثرية، فيقضون لهم حاجاتهم ويؤمنون لهم طلباتهم ويقومون بمهمات ومراسلات وشؤون يكلفون بها، ويخدمون في العزائم والمناسبات بدعوة الضيوف وصنع القهوة وتقديمها وتجهيز المكان وغير ذلك من الفعاليات مقابل أجور وإكراميات وهدايا تفي إلى حد ما بحاجات العيش الأساسية لهم ولعائلاتهم.

(٧) الخادمات:

تقوم سيدات، عادة يكن كبيرات بخدمات للبيوت مثل غسل الأواني وكنس الأحواش والسطوح وبيع أغذية كالتمر والأرز الأحمر المحلّي والزبد والبصل أو أشياء وملابس مستعملة. وذلك مقابل أجور بسيطة أو كميات محددة من المحاصيل كالتمور والأرز المحلي، كما يكرمن بهدايا وإكراميات في الأعياد والمواسم والمناسبات.

(٨) نزح العيون:

إذا تلوث بئر الماء في المترل (العين) بشيء أو سقط فيه حيوان كقط أو فأر أو دجاجة، يتم استدعاء رجال يترحون العين بزعب مائها حتى يصفو وينظف ويصرفون الماء المزعوب في البلاعة المجاورة المغطاة وذلك بعد أن يترل أحدهم في البئر لاستخراج سبب التلوث وإذا انسدت البلاعة يترل أحدهم فيها لإزالة السدد وقد يموت من شدة غاز الميثان وانعدام الأوكسجين بها ثم قد يموت من يحاول انتشاله. لنفس الأسباب.

(٩) نقل السماد:

يتخلف عن البقر والحمير والدجاج في حظائر المنازل سماد غزير. كما يتخلف في المراحيض الجافة فضلات كثيفة. وهناك عمال متخصصون في حرث وإزالة هذه الأسمدة والمخلفات ونقلها في «خروج» خاصة بعد تجفيفها وإضافة رمال نظيفة إليها. ثم إحضار رمال جديدة وفرشها في هذه الأماكن لاستعمال جديد وتنقل تلك الأسمدة إلى أماكن مكشوفة لتجف ثم تنقل إلى النخيل للتسميد.

(١٠) خدمة تلقيح البهائم:

تحتاج الأبقار في مواسم معينة إلى التلقيح فتصيح استجابة لهذه الغريزة فيستدعى رجل معروف لأخذ البقرة إلى مترل معين به ثور فحل، فيلقحها مقابل أجر

محدد. وللثور مالك يقوم على حفظه ورعايته وإدخال البقرة إليه ودفعه إلى تلقيحها. ثم يعود بها الرجل المكلف إلى مالكها. وكذلك يفعل مع الضأن والماعز والحمير حيث توجد ذكور فحول من كل من جنسه للتلقيح بالأجر.

(١١) المطرّب:

(بفتح الطاء وكسر وتشديد الراء) وهو الشخص الذي إذا فقد أحد شيئاً في طريق أو في مكان عام، أو حيواناً كالماعز والبقر، يكلف بالتطريب، أي المناداة عليه. فيدور في السكك والأسواق منادياً بأعلى صوته (يامن عيّن الشيء الفلاني وأجره على الله) أو يذكر مكافأة مادية أو جزءاً من الشيء المفقود للعاثر عليه. ومن جهة ثانية إذا عثر على شيء ضائع يكلف هذا الشخص بالمناداة عليه لإعادته إلى صاحبه فينادي بقوله « يامن له الضالة؟» فإذا حددها صاحبها بالوصف والمكان سلمت له وقد يتطوع بدفع مكافأة لمن عثر عليها وأجر المطرّب كذلك.

(١٢) الحمّال:

الحمالون كثيرون لسهولة هذه الخدمة، إما في السوق، أو يستدعون من بيوتهم لإرسال أو جلب أحمال من مواد غذائية أو سلع أو لوازم أو مواد بناء أو يكلف الحمال بأخذ البقرة إلى خبير يعالجها من مرض أو إلى حيث تلقح من ثور أو يأخذ ماعزاً أو كبشاً إلى القصاب أو بطارية الراديو « السائلة» على عربته اليدوية إلى راعي البطاريات لإعادة شحنها ويسمى من يحمل على رأسه «حمّالي رويسي» وهو يدور في السوق ويعلن بذلك عن نفسه.

(١٣) الطّقاقة:

وهي القيام بضرب الدفوف والغناء في الأعراس والمحافل النسائية من قبل سيدات متخصصات في هذه المهنة. ويأتين في شكل فرقة ترأسها سيدة تكون هي

ضاربة الدف والمغنية الرئيسية، وتتبعها مجموعة تضرب الدفوف وتردد الأغاني. وهي تتلقى النقود من أم العروس وقريباتها ومدعوات. وهي نقود فضية أو ذهبية وتقوم بتلاوة جمل معينة تذكر فيها اسم الشخص الذي قُدِّمَت النقود من أجله وغالباً ما يكون العريس أو ابن السيدة المنقطة وتدعو له وللحاضرين بالخير والتوفيق.

وتجمع «النقوطات» ثم توزع على عضوات الفرقة وقد يتطوع بالرقص بعض النساء والبنات الحاضرات وتتقاضى الفرقة مبلغاً متفقاً عليه سلفاً إضافة إلى حصيلة النقوط وحضور وجبات الطعام أيام العرس، وطعام لأسرهن.

(١٤) خدمات الأعراس والمناسبات:

هناك رجال مختصون بتجهيز الدور للأعراس من نشر الصيوان لتغطية فناء الدار وتنظيفها وفرشها بالزّل والدواشق (مراتب قطنية) ومساند وتجهيز أواني الطبخ والصحون ومغاسل الأيدي ومعاميل القهوة والشاي والبخور والطيب والمواد الغذائية ومتابعة الخدمات المطلوبة في مثل هذه المناسبات بالدقة والعناية المطلوبة مقابل أجور معلومة وإكراميات.

(١٤) أبو طبيلة:

وهو المسحراتي الذي يقرع طبله بشدة ويردد عبارات معينة لإيقاظ النائمين لطبخ السحور ثم لإعلان وقت السحور،وخلال أيام عيد الفطر يدور في السكك على البيوت يصاحبه شخص أو اثنان لمساعدته في جمع الهبات والمواد الغذائية والملابس والنقود ويرددون معه أهازيجه على دويّ قرع الطبل حيث يتجمع حوله ويسايره أطفال السكك التي يمرون بها.

(١٥) الـــداية:

قد تتوفى الأم الوالد خلال ولادة متعثرة فيعهد بالطفل إلى سيدة ترضعه

وتربيه تسمى الداية، مقابل أجر سنوي محدود وإكراميات أو قد تكون الأم مريضة لمدة طويلة فتتولّى الداية رعاية الطفل. أو قد يجف حليب الأم فتتولى سيدة إرضاع الوليد، وقد تدور به على البيوت لتجد من ترضعه يومياً تطوعاً أو مقابل إكراميات إذا كانت المرضع ذات حاجة.

(١٦) الدوبّي:

وهو مغسل الملابس الرجالية فقط، التي ترسل إليه إما في دكانه في الحي أو السوق، أو في منزله في الحي، فيقوم بغسلها بيديه بالماء والصابون وتكويتها (الكاف هنا تنطق بصوت التاء مع الشين أو **ch** وهو النيل، أي مكعبات زرقاء اللون تصبغ بها الملابس البيضاء لتكسبها زهوة ولمعاناً ثم يكويها بواسطة « الأوتي» أي المكوى، الذي يحشى بالجمر الملتهب داخله، وذلك مقابل أجور معلومة لكل نوع من الملابس. والدوبي عادة ما يكون مظهره نظيفاً بملابس نظيفة منيلة مكويّة بإتقان تشع باللون الأبيض الأزرق.

(١٨) المصلّح:

وهو الذي يقوم بإصلاح الدراجات الهوائية في دكانه أو الذي يصلح الدوافير « جمع دافور» أي موقد النار على الكيروسين المحقون بالهواء أو الكول (الكاف تنطق **ch**)، جمع تشوله وهي موقد بالكيروسين ولكن بالفتيلة. ومصلح الأتاريك «جمع تريك» **treek** وهو الفانوس بالكيروسين مع الحقن بالهواء واستعمال فتيلة بتوهج أبيض ساطع كالمصباح الكهربائي الأبيض، ومصلح الفوانيس ومصلح ماكينات الخياطة من يدور على البيوت حاملاً هيكلاً ذا عجلة وسيور وشاحذ دوار لشحذ السكاكين والمناشير وهذا في الغالب شخص وافد من إحدى دول شرقي البلقان أو من السند.

(١٧) راعي الغنم:

لبعض البيوت قطيع من الأغنام يملكونها، يسلمونها لراع يرعاها ويحرسها، مقابل أجر معين، وتأخذ هذه البيوت من القطيع حاجتها من الذبائح للأضاحي والضيافات والمناسبات حسب الحاجة.

(٢٠) كاتب العرائض:

يصطف في السوق حول الدوائر الحكومية في فترتي الصباح والعصر، كتاب العرائض بمباسطهم على الأرض فيأتي صاحب المعروض ويجلس أمام الكاتب ويعرض عليه مشكلته فيقوم الكاتب بكتابة المعروض من طلب أو شكوى أو تظلم مستخدماً صندوقه الخشبي (السحّارة) الصغير أمامه للكتابة. ثم يقرأ على صاحب المعروض ما كتبه. وقد يكون رسالة أيضاً لقريب أو صديق والتي يكون معظمها تحيات وسلامات على كل العشيرة كل فرد باسمه وذلك مقابل قروش قليلة تعيش عليها في الشهر أسرة كاملة. وقد يلجأ البعض إلى هؤلاء الكتاب لقراءة الرسائل الواردة إليهم. وأحياناً تنشأ اختلافات بين النص والمطلوب يترك الكاتب صندوقه الخشبي وبداخله كيس الخيش الذي يفترشه وأدوات الكتابة من ورق وأقلام ومحابر وقد يكون معها طوابع حكومية يلصق منها المطلوب على المعاريض الرسمية بقيمة محددة عليها، ويبيعها لصاحب المعروض وهو يشتريها من إدارة المالية، التي تصدرها. وعند إغلاق السوق يترك الصندوق في مكانه حتى عودته لعمله في الوقت التالي أو اليوم التالي.

• البنـــاء:

العوامل التي تتحكم في تصميم وبناء المنازل في منطقة الأحساء.

(١) العامل المناخي:

فارتفاع الحرارة صيفاً إلى ما يبلغ خمسين درجة يتطلب التقليل من وهج

الشمس والهواء الحار على داخليات المنازل مع الإبقاء على التهوية وتعريض بعض الأماكن للشمس للتجفيف والتطهير الصحي.

لذا جاء فناء البيت في الأحساء مكشوفاً. وجاءت الغرف بصورة عامة مصمتة، بدون نوافذ. وجاءت الدهاليز والصباطات و «المصابيح» ومفردها مصباح وهو الشرفة العلوية والنواقذ (السرّاقات)، وهي فتحات التهوية في الجدران المزدوجة و «البادقير» الخاص «باصطياد»الهواء و تحويله إلى داخل الغرف. يترك «الحوي» (فناء البيت) مكشوفاً لدخول الإنارة والتهوية إلى البيت والوصول إلى داخل الغرف، ولدفء الشمس في الشتاء، كما تترك «السمادة» (حظيرة البهائم) أيضاً مكشوفة، لنفس الأسباب و لتجفيف الأرضية وتطهيرها.

وقد ساعد توفر الطين الصالح للبناء وتشكيل اللّبن (اللبنات) منه والحصى الجيري(الربى) والجص والطين الأخضر والتبن، المتخلف عن درس الحبوب، على تشكيل مواد بناء متيسرة وعازلة للحراة.

(٢) عوامل المحافظة الاجتماعية:

كأي مجتمع عربي إسلامي يستمد مجتمع الأحساء قيمه وعلاقاته الاجتماعية من تعاليم العقيدة الإسلامية المتعلقة بالستر والمحافظة على المرأة وعدم تعرضها لعيون الرجال غير المحارم والغرباء. لذلك، يجيء بناء البيوت مصمتاً، بدون نوافذ خارجية تطل على الجيران أو الطرق.

وتجيء جدران البيت الخارجية وجدران السطوح عالية، لضمان الستر

(٣) عوامل الأمن:

من المعروف أن واحة الأحساء بنخيلها وتمرها وحبوبها وثمارها، وسط بيئة صحراوية قاحلة، تمثل هدفاً لاعتداءات بعض أبناء البادية،من أجل الحصول على

الطعام وغيره من اللوازم. لذا كان يجب أن يكون البيت محصناً عالي الجدران عديم المنافذ والنوافذ، عدا الباب الخارجي، المزود، في الغالب (وحسب اليسر) بباب خشبي ثقيل ومحكم الإغلاق، وجاءت البيوت متكتلة ملتحمة مشتركة الجدران الحدودية، بدون فراغات بينها، مع ضيق الطريق بينها، والتي ينتهي بعضها، بشكل نمطي إلى سكة سد، غير نافذة. وذلك لدواع أمنية.

(٣) العامل العملي:

لقد اكتسب البنّاء الأحسائي خبرة طويلة متوارثة في مراعاة النواحي العملية في تصميم المباني. وفي حدود الظروف المكانية المتاحة، من ناحية مساحة الأرض للبناء، والإمكانات المتوفرة من القدرة المالية لصاحب المبنى.

وقد أصبح توزيع أجزاء المترل ووحداته ومساحاتها والعلاقات بينها، أسلوباً نمطياً تاريخياً، يتخذ عدة نماذج وأشكال، تتنوع تنوع الإمكانيات والظروف والحالات. ومن أشهر البنائين في الأحساء: العبد السلام وعثمان النويحل وفهد الرجيب وعلي السلطان ويوسف البدر وعثمان الدحيلان وكان البناؤون المعلمون مهندسي تخطيط بالخبرة.

(٤) العامل الجمالي:

كان لابد، حين يكون هناك مجتمع مدني مستقر، مكتف بإنتاجه الغذائي واحتياجاته الحياتية، طوال حقب طويلة متصلة، أن يتطور لديه، بفضل تراكم الخبرات والتجارب ومحاولات التحسين والتطوير، أساليب فنية وجمالية في نشاطاته العملية.

ولقد تميزت العمارة الأحسائية مع ظروف العوامل الجوية وظروف البيئة المحلية، بعناصر فنية وجمالية وذوقية أضفت عليها طابعاً حضارياً أصيلاً وعريقاً، شكل جزءاً من شخصية المنطقة وإسهامها الحضاري في مجال العمارة والبناء.

ومن مميزات العمارة الأحسائية قدرها على استيعاب عناصر خارجية، كطراز العمارة العثمانية، الذي شيدت عليه بعض المباني العامة، خلال فترة الحكم العثماني للمنطقة، كالجوامع ودور الحكم والقصور والحمامات العامة. ويتجلى ذلك في القباب والأقواس والعقود والمنائر الأسطوانية المخروطية.

على أن التصاميم العمرانية المحلية، للمساكن الكبيرة، مع ذلك، لم تستوف حدودها وإمكاناتها العملية والجمالية. وذلك لأنها تطبق في حدود محددة بالمساحة والمال والاحتياجات السكنية والوظيفية للمباني، حتى في حالات بيوت الميسورين. والدليل على ذلك أنه حين تم تصميم وإنشاء قصر الإمارة بحي الكوت، في عهد الأمير سعود بن جلوي، جاء هذا البناء بهول حجمه وتعدد طوابقه وبسوره وبوابته وواجهاته تحفة معمارية نادرة إلا أن القصر أزيل لاحقاً، لعيوب إنشائية راجعة إلى إدخال عناصر عملية وغريبة على مواد البناء المحلية وقوة تحملها وهي العوارض الفولاذية الضخمة والطويلة هائلة الثقل، التى حملت على جدران من الحجارة الجيرية. ومن أمثلة المباني العامة التى أدخل فيها الطراز العثماني قصر إبراهيم، جامع الجبري ومسجد الدبس وقباب حمام عين نجم المخروطية وقيصرية السوق. أما طراز العمارة الأحسائية ذاتها فهو أكثر ما يتجلى في تصاميم وإنشاءات وتجميل وزخرفة وتعقيد في مباني البيوت الكبيرة العائدة لأسر ميسورة وكذلك بعض المدارس والمساجد والأربطة العامة وتتمثل عناصر ذلك في الضخامة والارتفاعات والإنشاءات والسقوف والأروقة والأقواس والعقود ومنها مثلاً مباني القلاع والحصون العسكرية والأسوار و»دراويز»(جمع دروازة أي بوابة) الهفوف والمبرز والمبنى الذي اتخذ مقراً للمالية، والمبنى الذي اتخذ مقراً للصحة في الهفوف، وقصر صالح إسلام (أزيل) وقصر مزرعة سمحا، في الهفوف ومباني ميناء العقير وغيرها.

(٥) المساكن :

كان سكان المنطقة يبنون منازلهم، التي تتألف، في الغالب من طابق واحد وبعض الغرف في الدور الأول من الطين والحجر الجيري عامة وفي حالات من اللبن (لبنات) الطين المصبوب في قوالب خشبية مستطيلة والمجففة في الشمس. وكانت تربة المنطقة صالحة لعمل اللبن، بعد أن يخلط معه التبن لمزيد من التمازج. وكانت جدران المنازل. وخاصة الغرف الرئيسية والمجالس. وكذلك جدران البيت الخارجي وواجهته تمسح وتزين بالجص الذي يحمي البناء الخارجي من مياه الأمطار، ويؤمن نظافة المكان ويضفي جمالاً ومظهراً جذاباً على البناء.

وكان الجص يستخدم بشكل أساسي في تغطية الأجزاء العليا المقوسة للأبواب والمنافذ التي تسمى «الكمرات» التي تصب على الأرض على شكل نصف دائرية. وبعد جفافها تركب على أعلى الفتحة في شكل «كمرين» اثنين متقابلين، ثم يحشى ما بينها بالجص الرخو والحجارة الخفيفة. ويتفنن مشاهير البنائين في تشكيل عقود وأقواس ونقشات مزخرفة من الجص، وخاصة في المباني العامة، كالمساجد والمدارس



والأربطة والمنازل الواسعة الكبيرة ذات الأروقة. الجص إما أن يمسح مباشرة باليد فيكون سطحه خشناً، أو يمسح بـــ « الرندة»، التي تجعل سطحه ناعماً وصقيلاً[1]:

وتستخدم جذوع النخل عامة، في تسقيف المنازل. ويكون طولها بمقاس نمطي لا يتجاوز مترين ونصف، وتتحمل ثقل السقف، مما يحدد بالضرورة عرض الغرفة. ويمكن، حسب القدرة مدّ الجذوع على إفريز من الجص يبنى على حافة الجدار الداخلية في الجانبين يزيد من عرض الغرفة إلى حدود ٦٠ سم. وبالنسبة للميسورين تسقف الغرفة، خاصة المجالس الكبيرة بأعواد «الدناتشل» (كما تنطق محلياً) الطويلة المستقيمة المستوردة من الهند، بعد طلائها بطلاء زيتي، يكون غالباً أسود، وأحياناً أحمر. وفوقها تصف في نظام معين شرائط محدبة من خشب «الباستشيل»، حيث تطلى بعدة صبغات زيتية مختلفة، بشكل متناسق ومصمم سلفاً، لتشكل للناظر إلى السقف لوحة زخرفية فنية جذابة متعددة الألوان.

وحيث يبلغ طول «الدنتشل» ٤ أمتار فإن عرض الغرفة يكون أكبر ويزيدها عرضاً إضافة أفاريز من الجص. ومزيد من الرحابة، يعمل للغرفة عقود مقوسة أو جسور في وسطها، فيتم صف الجذوع أو الأعواد عليها بالطول وتسمى بذلك «مربعة»، وفوق «الباستشيل» تفرش الحصر المصنوعة من نبات القصب المنسوج بشكل جميل «البوري»، حيث يفرش فوقها طبقة أولى من الطين ثم طبقة من الرماد، لاكتساب السقف مناعة ضد تسرب مياه المطر، ثم طبقة ثانية سميكة من الطين يسوى سطحها مميلاً نحو « المرازيم»، لضمان تصريف مياه الأمطار. وتصنع المزاريب من أجزاء محفورة من جذوع المنخل، كما يستخدم البعض مزاريب خشبية، لتناسب أناقة المباني المغلقة بالجص، ثم أصبح البعض يستخدم مزاريب معدنية. وفي حالات، خاصة في القرى، يستخدم للتسقيف سيقان الأشجار الكبيرة كالأثل والتوت، وفي أغلب

١- برز في فن العمارة المحلية مهندسون وبناؤون وكان أبرزهم في أواخر عصر الطين المهندس عبد اللطيف العرادي ومنهم عبد السلام وعبد الحي وفصيل وغيرهم ممن أنشأوا أبرز معالم الأحساء المعمارية الأخيرة.

البيوت والمباني الأخرى لا يقل ارتفاع السقف عن أربعة أمتار، في حالات المجالس الكبيرة قد تبلغ ٦ و ٧ أمتار. وبصورة نمطية، ولدواعي الستر والأمن، لا يكون للمنزل نوافذ على الطريق بل تكون النوافذ إن وجدت تطل على الفناء الداخلي غير أنه يمكن عمل فتحات صغيرة قائمة طويلة في أعلى جدران الغرفة على الطريق للإنارة والتهوية، ويمكن وقت البرد، سدها بحشوات من الليف أما المجالس عالية الارتفاع، فتكون نوافذها تطل على السطوح. وفي بعض البيوت تعمل للغرف العلوية فتحات تشبه الشقوق، الأفقية في تجويفات الجدران، سواء على جهة الطريق أو داخل المنزل، وذلك لبناء تجويف الجدران من جدارين مزدوجين بينهما فراغ ب ١٥ سم، مما يؤمن تهوية وتبريداً للمكان، إضافة إلى ستره. كذلك تسد هذه بالمساند المستغنى عنها، وقت الأمطار. وتبنى في السطوح غرفة أو أكثر، لحفظ فرش النوم في فصل الصيف حيث ينام الناس في الصيف تحت السماء الصافية المليئة بالنجوم المتلألئة. وقد يبنى أمام تلك الغرفة شرفة تسمى « المصباح» كما قد يكون المجلس الرسمي للضيوف غرفة كبيرة في السطح قريباً من الدرج المفضي إلى مدخل البيت.

وكان الطراز الغالب أن يكون لكل منزل باب واحد كبير يتكون من مصراعين، بـــ « خوخة»، (فتحة) صغيرة للاستخدام اليومي. وكانت أبواب المنازل تصنع محلياً من أخشاب السدر والأثل وجذوع النخيل، بواسطة نجارين مهرة برعوا في تصميمها وصنعها، ونقشها وزخرفتها ودهنها، يدوياً وهي تؤلف من صفوف من الألواح يربطها عوارض من الداخل بواسطة المسامير الكبيرة ذات القبة، التي تشكل من الخارج سطورا متناسقة من القباب الصغيرة. وقد تكون المسامير القبة، في حالات نادرة من معدن أصفر لامع مقاوم للصدأ، تستورد من الخارج. ويزود الباب بحلقة نحاسية تمكن الزائرين من قرعه. يعلو بوابات المنازل ما يعرف بـــ «الطريمة» (من الطرم). (تعبيراً عن صمتها)، وهي صندوق خشبي بارز مبني في الجدار العلوي ذو فتحات صغيرة في جانبه وأسفله. تمكن أصحاب المنزل من رؤية طارق الباب والمارة

من أمامه.[1] يفضي باب المنزل إلى دهليز (تنطق دهاريز محلياً) ضيق مستطيل يؤدي من فتحة أخرى كبيرة إلى فناء المنزل (إلحوي) المكشوف للهواء والشمس، ويوجد في كثير من الأفنية رواق محيط بها، لحماية الغرف من الوهج والمطر والتبريد الهوائي ويشترك معها في السقف. ويعد مركزاً لنشاط العائلة وجلوسها (خاصة في الصيف). وتوجد في بعض البيوت ممرات علوية على مستوى السطح محيطة بالفناء لتوزيع الاتصال بالسطوح المنفردة. وهي مبنية من الخشب المثبت على أفاريز خشبية عريضة (تسمى الأقاسي).

ويعتبر أهم غرف المنزل، مجلس الضيوف الذي يتميز في كثير من المنازل بارتفاع سقفه، حيث يعمل له نوافذ فوق مستوى سطح المنزل، يتيح الإضاءة والتهوية. ويلحق، في العادة بالمجلس غرفة خاصة لإقامة الضيوف ويتميز تصميم المجلس الداخلي وحتى في بعض الغرف الداخلية، بتجويفات عميقة مقوسة في الجدران التي يبلغ سمكها ٦٠ سم، يقسم ارتفاعها إلى عدة رفوف، وهي تسمى «روازن» (مفردها روزنة)، يوضع فيها متعلقات المجلس من سلال للرطب أو صحون التمر وحاويات النوى، ومهاف (مراوح يدوية) ومرشات العطور والمداخن (مباخر الطيب) والمصاحف والكتب وغيرها. ويبنى في أقصى المجلس « الوجاق» حيث تعمل القهوة والمشروبات الساخنة على الحطب. وفي نهاية «الوجاق» تجويف في الجدار من الجص مقسم إلى رفوف لوضع الأباريق، وأعداد إضافية من الدلال، المصفوف عدد منها صفان أو ثلاثة على «الميز maze الخشبي»، الذي يغطي حفرة واسعة يجمع فيها الرماد قبل نقله. وفوق «الوجاق» توجد فتحة في السقف تسمى «السيسر» (assaisar) لإخراج الدخان الكثيف، وقد يكون السيسر مزوداً بغطاء خشبي مرتبط بمفاصل وحبل مربوط في نهايته السفلية إلى حلقة معدنية في الجدار حيث يمكن التحكم في إغلاقه وفتحه. ويعلو الفتحة بناء هرمي ذو فتحات للوقاية من الريح والأمطار.

١- تستعمل الطرمة لأسباب أمنيّة.

أقسام المنزل:

١ - الدهليز: وهو المدخل المسقوف الذي يلي فتحة الباب الخارجي، ثم يؤدي، عبر فتحة أخرى واسعة وعالية تكون في اتجاه آخر، إلى فناء المنزل «الحوى». وقد يكون هناك أكثر من دهليز (دهريز باللهجة المحلية والجمع دهاريز)، وإذا كان الفناء بعيداً عن فتحة الباب، وفي كثير من البيوت، يلي الباب مباشرة، درج مسقوف، يؤدي إلى غرفة المجلس بالدور العلوي أو إلى سطح أمامي لها. وتحتوي معظم «الدهاريز» على «روزنة» (وهي تجويف مصمم في الجدار) لوضع سراج الإضاءة ليلاً فيها. وإذا كان هذا من نوع «أبو سنارة» فهو يطلق عند إشعاله، خيطاً مرتجفاً متصاعداً من الدخان الأسود الكثيف، ليصبح سقف الدهليز والمناطق القريبة من السراج في الجدران مغطاة بالسخام، إذ يسمى «السمر»، ويجمعه البعض، ويدخل في خلطة محضرة، تشبه الحناء تزين بها النساء أيديهن وأرجلهن.

وفي بعض الدهاليز يوجد باب يؤدي إلى حظيرة «سمادة» خاصة بالحمير. وتكون عدة أسراجها من سروج وبرادع وأبطنة مجمعة ومعلقة على أوتاد، في جانب من الدهليز. الذي توضع فيه حزمة «الجت» (البرسيم) « النفيعة» في البيوت التي تقتني البقر والحمير. ومن المعتاد أن الشخص المستأجر لجلب « النفيعة» يترك له صحن وافر من التمر «قدوع» فى الدهليز، يجلس ويتناوله، حين إحضاره للبرسيم فى معظم بيوت الأحساء، يترك الباب الخارجي فى النهار مفتوحاً، وحيث أن الزيارات المتبادلة بين الجيران عادة متأصلة، فإن النساء الزائرات يدخلن إليه ويصفقن إشعاراً لأهل البيت بقدوم زوار لهم، ولايدخلن إلا حين يؤذن لهن بذلك وفي الدهليز، يستقبل ويودع المدعوون والضيوف والزوار كما أن أطفال الجيران يدخلون البيوت و يخرجون بدون قيود في معظم الأوقات.

٢ - «الحوي»: وهو فناء المنزل المكشوف الذي تطل عليه جميع غرف البيت وممراته وهو مركز نشاط العائلة اليومي وفي كثير من البيوت يوجد رواق في الفناء

وتطل سطوح المترل على «الحوي» بجدران منخفضة لسهولة الإطلال على الفناء والمناداة على من به من أفراد الأسرة كما تطل على الفناء نوافذ بعض الغرف العلوية، ما عدا غرفة المجلس الرسمية ويتم تصريف مياه الأمطار من السطوح الداخلية وعبر «المرازيم « إلى الفناء كما تقع على الفناء مرافق البيت الأخرى كالصباط المؤدي إلى «العين» وإلى «السمادة» (الحظيرة الداخلية)، والدرج الداخلي، الذي يكون في العادة مكشوفاً، والمطبخ وليوان الحطب ودارالجازة والجصة.

٣- «اللواوين»[١]: ومفردها « ليوان» وهي غرف البيت الخاصة بالمعيشة والنوم، وتقع فتحاها على « الحوي» أو على الرواق. ويكون «الليوان» في العادة مصمتاً دون نوافذ. وفي حالات بنافذة أو أكثر أعلى «الحوي» وبه «روازن» (تجويفات مصممة في الجدران) تحوي قاعدة واحدة إذا كانت من الطين، أو عدة رفوف مصبوبة من الجص، إذا كانت مبنية من الجص. وقد يوضع على روزنة الجص باب خشبي مؤلف من ضلفتين ومزلاج قابل للقفل بقفل، وهو يحوي حفراً ونقوشاً تجميلية ومطلي بالورنيش، تحفظ فيه المتعلقات الشخصية والملابس ويسمى « كبت» ويفرش الليوان بالمداد (الحصر) أو الدواشق والمساند. أو يضاف الزل في حالات اليسر وتكون فرش النوم مطوية في الجزء الأقصى من الليوان. ولليوان عتبة وباب خشبي من ضلفتين، تتوقف جودته وزينته وطلاؤه بالورنيش أو الطلاء البني وتصميم الفتحة بقوس مزخرف من الجص على حالة الأسرة المادية.

وفي كثير من البيوت يوجد داخل الليوان غرفة أخرى، أصغر قليلاً، بباب ثان، تسمى «دارا»، تكون هي مكان النوم وتحوي الفرش وتوابعها والملابس التي تكون إما في «كبت» أو في دولاب خشبي، أو معلقة على خيوط وقد يكون هناك، بدلاً من الدار غرفة عالية لها عدة درجات تؤدي إليها من أقصى داخلية الليوان. تسمى «الكندية»(**elkendiyyeh**) وتدق «القوازيق»(مفردها غازوق)، الأوتاد

١- ذكر اني قرات أن أصل الكلمة فارسي وهي الإيوان وحرّفت في اللهجة المحلية.

الخشبية أو المعدنية في اللواوين والدور والكنديات على الجدران لتعليق الملابس اليومية عليها، كما تدق في اللواوين الأخرى لتعليق القفف والسفر والمناسف والحبال والمتعلقات الأخرى، عليها.

وفي كثير من البيوت، تكون غرف المعيشة والنوم ممسوحة، إما بالجص أو بالطين الأخضر المخلوط بالتبن.

٤- المطبخ: ويسمى « ليوان» المطبخ. ويكون موقعه عادة قريباً من منطقة البئر. وقد يحوي رفوفاً لوضع الأواني وقوارير البهارات عليها. ويوجد في سقفه « سيسر» لإخراج الدخان الكثيف الناتج عن نار الحطب المؤلف من «الكرب» و«السجين» وأغصان الأشجار (القصل) والسعف الذي ينتج عنه دخان أسود كثيف يغطي السقف والجدران بطبقة كثيفة من السخام، وقد تستعمل بعض البيوت أنواعاً أخرى من الحطب الأقل دخاناً، كالغضى ذي الرائحة الزكية وأحطاباً برية أخرى، كما أن كثيراً من البيوت تستعمل الغضى كوقود في المجالس لصنع القهوة، ويوجد في المطبخ ثلاث « مناصب « وهي الأحجار التى يرفع عليها القدر على النار. ويجمع الرماد الذي يستخدم في «كبه» في المراحيض، لتجفيف الفضلات.

٥- «ليوان» الجازة: الذي يكون، عادة قريباً من المطبخ، ويحوي. المواد الغذائية التموينية المخزونة طيلة العام. وقد يؤدي إلى غرفة داخلية مرفوعة لها عدة درجات، ويكون مستوى سقفها أعلى من سطح الدور الأرضي، مما يمكّن من ترك نوافذ صغيرة في أعلاها للتهوية، والإضاءة مما يتيح فرصة لخزن بعض المواد الغذائية المطلوب تجفيفها، كاللحم والخضروات، أو ذات الرائحة القوية، كالربيان المجفف و«الحْسَاسْ» والمشلّق والأسماك المجففة الأخرى. والبصل.

ومن الضروري المحافظة على مثل هذه الغرفة المسمّاة «الكِنْدِيّة» ضدّ تسلل القطط والفئران إليها وإلا لانتهى أمر اللحوم والأسماك المجففة رغم حفظها في قفف

معلقة على أوتاد على الجدران.

٦ – ليوان الحطب: حيث يحفظ السعف والسِّجِّين (أجزاء مقطعة من جذوع النخلة) و»الصّلاَّخ» وهي أجزاء من جذع النخلة، و»الكَرَب» وهي قواعد السعف العريضة و»القصل» وهو أغصان الشجر الجافة. وتقطع جذوع النخل والأغصان الكبيرة والعكر والغضى بالجدّوم والفرعة.

٧ – ليوان الجِصَّة: حيث توجد جصّة التمر وكندوج التمر وخابية التمر.

٨ – «العِيْن»: وهي منطقة بئر الماء، حيث البئر المبني على عرض فوهتها عارضة مثبتة عليها «المحّالة» (البكرة الخشبية) و «الرّشْاَ» (الحبل) المربوط في نهايته دلو الماء المصنوع من الجلد، وجدران العين تكون مغلفة بالملاط المشابه للإسمنت وعلى جدارين متقابلين منها توجد تجويفات صغيرة على طول ارتفاعهما، لمساعدة الرجل الذي ينزل إلى البئر، لاستخراج ما قد يسقط فيها، مستعيناً بالرّشا. ويوجد أمام البئر حوض منخفض لتصريف الماء الفائض عند تعبئة « مصاخن» الماء والأواني الأخرى. ويشترك أحد الجدران المحيطة بفوّهة العين مع غرفة «المسبح» وهو الحمام الذي يحوي حوضين سفلي بارتفاع ٦٠ سم وعلوي بارتفاع ١٨٠ سم، يخرج منهما الماء عبر أنبوب معدني دقيق. مزود بخيط قطني معلق بجانبيه، في طرفه عقدة، لسد الأنبوب بعد الفراغ من الوضوء في الأسفل أو الاستحمام من الأعلى ويصب الماء فيهما بالدلو من جهة العين. ويسمى الحوض «قَروْ» ويتصرف ماء المسبح عبر فتحة في أرضيته تؤدي إلى مجاري صرف الماء إلى البالوعة.

وتمسح الأحواض وجدران المسابح بالملاط الشبيه بالإسمنت. ومنطقة العين تكون داخل «صباط» توضع فيه «مصاخن» الماء، مرفوعة على هيكل خشبي من شجرة التوت مزود بـــ «طيارة»، في وسطه، وهي هيكل خشبي لوضع «كيسان الخشوف» (كؤوس الفخّار) عليها.

٩ – السّمّادة: يؤدي الصباط في العادة إلى «السمادة» (حظيرة البهائم) الداخلية حيث البقرة والدجاج. والمكونة من منطقة مكشوفة بها «المطعم» وهو المنصة التي يوضع عليها البرسيم والعوم (السمك المجفف) ومثبّت في أرضيته «بالدي» (سطل معدني) معبأ بالماء لأكل وشرب البقرة. وتحته تجويف له فتحات صغيرة، لبيات الدجاج، وفي جانب توجد «البارقة» (**elbaregah**) وهي المكان المسقوف كغرفة لبيات البقرة ة والوقاية من الشمس والبرد والمطر، ويوجد بها «مطعم» ثان. ويقع مرحاض الدور الأرضي في الجزء المكشوف من «السمادة» مرفوعاً على عدة درجات. يسمى «المختلى» أو السنداس أو بيت الأدب» وهو غرفة صغيرة بدون باب في أرضيتها شق بين جذعين. ومزودة بقطع من «الربى»، (الحجر الكلسي الأبيض) والرماد للاستجمار ونثر الرماد، بين حين وآخر على الفضلات من أجل التجفيف قبل نثر كمية كبيرة من الرمل، في النهاية عليها، حين نقلها من قبل عمال مستأجرين لهذا الغرض مع نقل السماد المتخلف عن البقرة، ثم فرش أرضية السمادة والمختلى برمل جديد نظيف. وللسمادة باب واحد كبير من قطعة واحدة. وإذ يوجد مرحاض آخر للدور العلوي، يكون مجاوراً لجدار «المختلى» السفلي، بحيث يكون تنظيفه بدوره من داخل الحظيرة.

١٠ – درج الحوي: وهو سلم المترل الداخلي المؤدي إلى السطوح ويكون مبنياً في أحد جوانب الفناء ومكشوفاً جزئياً. بحيث يكون للبناء فوقه سقيفة صغيرة ترفع فوقها بعض الأشياء، كجرار الماء والزائد من الطعام، في ليالي الصيف، وقد يكون لفتحة الدرج على الفناء باب خشبي يمكن إغلاقه بإحكام، للأمان. كما قد يكون الدرج مبنّياً من الجص.

١١ – المجلس: في البيوت النمطية الأصغر، ولضيق المساحة، يكون المجلس في الدور العلوي، ويكون غرفة كبيرة مستطيلة أو مربعة، لها نوافذ تطل على سطح أمامي لها، أو شرفة (مصبح) لها في بعض الحالات. وقد تمسح بالجص فيكون فيها

روازن برفوف جصية. أو «كبتات» (جمع كبت) وهي دواليب مبنية في الجدران. وفي المجلس، يوجد «الوجاق» المبني من الجص و «معاميل» القهوة ورحى طحن القهوة والمنفاخ والميز (كرسي حمل الدلال) والمحماس ويد النجر أو الهاون ويد المراكي (المراتشي)، وقد يوجد داخل غرفة المجلس غرفة صغيرة بجانب «المقعد» وهو مكان جلوس صانع القهوة، يحفظ فيها الحطب الذي قد يحفظ أيضاً في جانب من شرفة المجلس أو على سقيفة الدرج، وللوجاق فتحة في السقف تسمى « السّيسَر» لخروج الدخان، محمية عن المطر بجدران مائلة وبباب في بعض الحالات يفتح ويغلق بواسطة خيط متصل بمكان جلوس صانع القهوة.

كما يستخدم السطح الأمامي أو شرفة الغرفة لجلوس الضيوف في ليالي الصيف، وتفرش المجالس بالمداد والزل (في الغالب) والدواشق (الفرش) والمساند والتكايات. المرصعة بالمرايا المستديرة الصغيرة.

١٢ – السطح: يقسّم السطح في العادة إلى أقسام بجدران، بحيث يكون سطح كل غرفة قائماً لوحده. وذلك لنوم أفراد الأسرة في كل قسم، كما تستخدم الأسْرة السطوح في ليالي الصيف للعشاء والسهر على ضوء السراج، المعلق على وتد بالحائط مع تحضير جرار الماء مملوءة في جانب السطح وترك بعض الكؤوس (الخشف) مترعة ومرفوعة على الجدار لمزيد من التبريد. وفي حالة استعمال مياه، يكون لها فائض في سطح مجاور للطريق قد تكون مزاريبه كاتمة أي لا تصب الماء في فراغ الطريق، بل تصرف في تجويف مبني بالجص في جدار الشارع. كما يوجد في بعض سطوح المجالس وُجاق مكشوف لصنع القهوة ويمكن استعمال سطوح الغرف العلوية للنوم، عن طريق درج ثانوي خاص بها ويسمى مفرد تلك السطوح «سطح العلا». وقد تُبنى جدرانه من ألواح من الجص مزدوجة بينهما فتحات لالتقاط الهواء وتوجيهها نحو الأرضية، وفي بعض البيوت يبرز صندوق خشبي من جدار سطح غرفة الجلوس في الشارع، بثقوب في جانبيه وأسفله، ويسمى «الطرمة» ليطل منه أهل البيت

على من يطرق الباب (لأسباب في الأصل أمنية). وقد جرت العادة على أن يتزاور نساء البيوت المتجاورة أو يتبادلن الحديث وتناول الأشياء بينهن عن طريق فتحات في جدران السطوح تسمى «فرْجة»، تسهل الاتصال بدلاً من الخروج من البيت، خاصة وأن الجيران الخلفيين تكون فتحات بيوتهم على طريق آخر. وإذا لم يكن هناك فرجة. قد يكون هناك «مْخَطَر» وهو جدار عليه تجويفات صغيرة لتساعد في تسلقه «للخطَر» إلى سطح الجيران.

١٣ – البادقير: (**el badgeer**). وهو بناء من الجص بارتفاع متر ونصف أو أكثر، له أربعة أوجه، كل وجه محروف نصفاه طولياً إلى الداخل ليتّصل بفراغ تحتهما متصل بغرفة، وذلك «لصيد» الهواء من أي اتجاه وتحويله إلى الغرفة في الأسفل وهو مزود بسقف كالمظلة لحجب ماء المطر وهو من أهم مميزات العمارة في أقطار الخليج العربي ومدنه الساحلية.

١٤ – السيسر: وهو فتحات في سقف المجلس لطرد دخان الوجاق بغطاء يتحكم في فتحه وإغلاقه بخيوط سفليّة.

نسق الأحيـــاء:

كانت الحارات السكنية في مدن وقرى المنطقة القديمة عبارة عن كتل مقفلة من المباني الطينية غير المتناسقة في ترتيبها. وكان أهم ما يميز نظام البناء، عدم وجود الشرفات أو النوافذ التي تطل على الشوارع أو الأزقة وأغلب المباني تتكون من دور واحد، لا يخلو معظمها من غرفة أو أكثر في السطح، ويمتاز نمط المساكن في مدن وقرى المنطقة القديمة، عموماً، بتلاصق المباني وضيق الطرق (الصكيتش – مفردها صكة) وتعرجها، وربما يفسّر التعرج بعدم وجود تخطيط وتنظيم يحدد استقامة الطريق وللتعرج فائدة مناخية تناسب طبيعة المنطقة الحارة، لما يؤديه ذلك من الحيلولة دون تسلط أشعة الشمس مباشرة على جدران البيت وتتميز فتحات البيوت بأنها غير

متقابلة لبعضها البعض، حفاظاً على الستر والخصوصية، وفي المعتاد تساوى أرضية البيت بأرضية الطريق، إلا أنه تكثر البيوت التي تنخفض أرضيتها عن أرضية الطريق، مما يتطلب بناء عتبة أمام الباب لمنع تسرب مياه الأمطار من أرضية الطريق إلى داخل البيت. ونظراً لتكتل المنازل، فقد يتجاور « يتطاول» منزلان بجدار مشترك بينما يوجد باب كل منهما في سكتين متباعدتين.

وتمتاز معظم السكك بقصرها وبتقاطعها مع بعضها البعض أمام كتل البيوت التي تقطع امتدادها.

ومن سمات الأحياء بناء غرف على السكة تتبع أحد المنزلين المتقابلين، بحيث يصبح تحتها ممر يسمى « الصّباط»، يستظل فيه الصبيان عادة أثناء لعبهم وتقسم هذه الكتل العمرانية إلى «فرجان» (جمع فريج أي فريق أو حيّ) بحيث يكون في المحلة عدة فرجان، ويتخذ الفريج اسمه إما من علم كبئر ماء (عين) عامة أو حرفة سكانه، كفريق النجاجير (النجارين)، أو جهة من جهات الحي، أو من اسم أكثرالأسر بيوتاً، كفريق الملحم أوفريج النعيم في النعاثل، كما تتخذ السكك مسمياتها كذلك.

وعادة يكون لكل فريج براحة تخدم أغراضاً متنوعة مثل تجميع مواد بناء أو إعدادها فيها ولعب الأولاد والشباب الذكور وحفلات الزواج وللتجمع أيام الحروب والطوارئ سابقاً ووقوف القواري حين لا تعمل. ويتراوح عرض السكك بين متر ونصف إلى خمسة أمتار، أما الشوارع بين الأحياء وكذلك الأسواق فهي أكثر اتساعاً ويصل إلى عشرين متراً. وتتوسط مراكز المدن والقرى. وقد تطلب الأمن تسوير المدن والأحياء بأسوار عالية. لها بوابات (دراويز) ذات حراسة مسلحة وتقفل ليلاً.

• نظام السـكن:

كان يسود نظام الأسرة الكبيرة، التي تتكون من الجد والجدة وأبنائهم

الذين يتزوجون ويبقون مع زوجاتهم وأطفالهم في البيت أما الأخوات، فينتقلن إلى بيوت أزواجهن إذا تزوجن. وتسكن كل عائلة في «ليوان»، فقد يكون الطعام مشتركاً أو أن تطبخ وتأكل كل عائلة في غرفتها الخاصة أو تستخدم مطبخ البيت المشترك. وامتداداً لنظام الأسرة الكبيرة أو الممتدة قد تتجمع بيوت عِدة أسر ذات النسب الواحد المتصل في سكة واحدة تتقارب في نفس الحي فتسمّى السكة أو الحي باسمهم. وقد أكد نظام الحي (الفريج)، هذا على أهمية الأسرة الكبيرة ووثق الرابطة الأسرية ونمى في نفوس الشباب شعوراً قوياً بالانتماء.[1]

في كثير من البيوت توجد دار للنوم داخل الليوان، الذي يسمّى أحياناً «مترل»، بحيث يقتصر استعمال «المترل» على الجلوس. وتناول الطعام في الشتاء، أما في الصيف فيتناول طعام العشاء والفطور والسحور في رمضان، على السطوح. وينام معظم الناس على فرش قطنية مزدوجة للأزواج ومفردة للأبناء والبنات غير المتزوجات كما تصنع للأطفال فرش صغيرة.

وتستخدم «الطراحة» (المطرحة) المحشوة بالقطن و «المضَرّبة» كلحاف، وقد تتيسر برانيس صوف هندية كألحفة وذلك في الشتاء. أما في الصيف حيث المبيت في السطوح، فلا تستعمل ألحفة للنوم كما تستخدم «المخاد» المحشوة بالقطن للرأس.

وينام الأطفال مع أبويهم في جانب من الغرفة حتى إذا بدؤوا يدركون يتم نقل مكان نومهم إلى غرفة أخرى، ويعزل الأولاد عن البنات في سن مبكرة. وبالنسبة للضيوف يمكن أن يناموا في المجلس أو في غرفة ملحقة به، ومن المعتاد أن يستقبل البيت ثلاث زيارات يومية من الجارات. أولها ضحى والثانية عصراً والثالثة بعد العشاء، يقدم لهن فيها التمر أو الرطب والقهوة، وإذا صادف الوقت توفر شيء من اللبن أو المأكولات الأخرى كالعصيدة أو الزردة أو المرروسة أو الفواكه، فإن شيئاً

١- دراسة في تاريخ المملكة العربية السعودية، ط٢، عبد الله بن ناصر السبيعي.

ولو قليلاً منها يقدم كذلك.

وقد تخصص إحدى الحجرات كمجلس استقبال للنساء في الزيارات اليومية. أما المناسبات والدعوات فتتم في المجالس الرسمية، ويستخدم المجلس الرسمي لزيارات الرجال في كل الأحوال، عدا أن الفرشة الكاملة من الزل والدواشق والمساند والتكايات، تكون مطوية في أحد جوانب المجلس، ومن المعتاد أن يصطحب الزوار من الجنسين، في الزيارات أطفالهم معهم ليلهوا مع أطفال البيت المزار. وقد تبنى غرف إضافية في البيت للتوسع إذا ما دعت الحاجة كأن يكبر الابن أو يتزوج. بل في الحقيقة غالباً ما يتعرض المنزل للتعديل والهدم والتحوير والإضافة، بصورة مستمرة تبعاً للاحتياجات والتغيرات العائلية وتوفر الإمكانات.

• عمل المرأة في المنزل:

يمكن تقسيم عمل المرأة في المنزل، بحسب تكراره إلى ثلاثة أقسام:

١ – العمل اليومي:

نمطياً، وبصورة عامة، يبدأ عمل المرأة في منزلها منذ أذان الفجر، حين تستيقظ وتوقظ بناتها وأبناءها، وتتجه إلى «العين» على ضوء السراج، لزعب الماء وتعبئة أحواض الوضوء والاستحمام، وإذا كان الوقت شتاءً، فتشعل النار وتسخن الماء وتنقله إلى المسبح. فيتوضأ الجميع ويستحم من يريد الاستحمام، ويخرج الأب والأبناء للصلاة في المسجد وتؤدي النساء صلاتهن في المنزل. ثم تقوم الأم بحلب البقرة على ضوء السراج، وإشعال النار في موقد المجلس وتعد القهوة حمساً وطحناً، وتغلي الحليب بالهيل أو الزنجبيل أو الشاي،وتحضر صحن التمر أو سلة الرطب. وقد تساعد إحدى البنات في بعض الأعمال حسب سنّهنّ وقدرتهنّ. وإذا كان الجد أو الجدة يعيشون في المنزل، تعتني الأم بحاجاتهم من تحضير الماء ومساعدتهم على الحركة، إذا كانوا عاجزين، وتقديم الطعام والماء والقهوة لهم في جميع الأوقات.

بعد عودة الأب والأبناء من الصلاة، يعطي الأب أحدهم نقوداً، فيلتقط هذا فوطة أو قطعة من قماش من الصوف محضّرة ويتوجه إلى خباز الحي لشراء بضعة أرغفة من الخبز الأحمر بالتمر، ويحضرها ملفوفة في القماش، لحفظها ساخنة ولحماية يده من حرارها. حين ذاك يكون الكبار بما فيهم الأجداد قد «قدعوا» أي تناولوا «القدوع» من التمر والقهوة، وحين يكون الحليب جاهزاً ويحضر الجميع، يفطرون بالحليب والخبز (وقد يتوفر في بعض البيوت بيض من دجاج المترل تعده الأم أثناء ذلك).

بعد ذلك يخرج الأب للعمل، ويتجه الأولاد إلى المطوّع، أو يذهبون مع الأب إلى عمله إذا كان صاحب مهنة أو مزارعاً. وتستأنف الزوجة عملها بصف الأواني وبقايا الطعام بمساعدة البنات. بعد ذلك تقوم الأم (في الصيف) بطي فراش النوم والحصر ونقلها إلى غرفة أو عريش الفرش. ثم تترل « مصاخن الماء». إلى مكانها في «صباط» العين. وتعيد تعبئتهم هناك ثم رفعهم إلى كرسيهم. بعدها تعود الأم لمكان تناول الفطور لإعادة ترتيبه. ثم تقوم بكنس فناء الدور، وجمع القمامة في مكان مخصص لها، وجمع الرماد من الوجاق والمطبخ ونقله إلى المرحاض ونثر جزء منه فيه لتجفيف الفضلات والتخفيف من الرائحة. ثم تقوم بإعداد طعام الدجاج من النخالة وطوايح التمر، فيما يدعى «السُّبوس» ووضعه في جانب من الفناء ثم « تهدّ» الدجاج(تطلقهم) هي أو إحدى البنات في الفناء ليلقطوا فطورهم، وكذلك إطلاق البقرة لتخرج إلى السكة، ترعى في الحي حتى قرب الظهر لتعود من نفسها، وإذا وجدت الباب مغلقاً صدفة، إما أن تدفعه برأسها ليفتح أو تصيح ليفتح لها. ولا بد من إعادة الدجاج إلى السمادة بعد ذلك. فيما تقوم الأم بتجهيز وجبة من التمر و»الهيز» للبقرة، قبل حلبها ثانية قرب الظهر وإعادة ملء «بالّدي» الماء لها في مطعمها. خلال ذلك، قد يكون الجد أو الجدة بحاجة إلى مساعدة، فتهب إحدى البنات لهم. عند ذلك تلتفت الأم إلى تلقيط الأرز الأحمر من الحصى والشوائب تمهيداً لطبخه للعشاء. وفي هذه الأثناء يستقبل أهل البيت بعض الأقارب أو الجارات الزائرات مع أطفالهن، فتنشغل الأم

بتحضير شيء لضيافتهن من التمر (أو الرطب) أو الفاكهة واللبن الطازج إذا كانت قد خصَّته مسبقاً في دار الجازة. وقد تستقبل أحد الأولاد الأقارب ليـــأخذ شيئاً من اللبن في «لوط» أو «شكوة»[1] إلى أهله.

وقد تمنح اللبن كلّه إلى أحد البيوت التي طلبته لوجود بنائين لديهم أو عمال يعملون ذلك اليوم في نخلهم. تساعد البنات في استخراج التمر من الجصة وتقديمه، وفي بعض المهمات البسيطة والخفيفة. تنصرف الزائرات عادة قبل الظهر وحينها يعود الأولاد من المطوع ليتناولوا ما تيسر كغداء، وبعد صلاة الظهر يعود الأب والأبناء إذا كانوا قد ذهبوا معه صباحاً. أما إذا كانوا مزارعين فلا يعودون إلا بعد المغرب ولا يلتزم الجميع بتناول التمر والخبز الأحمر (أو خبز المسح) واللبن كغداء مجتمعين، بل يمكن لأي فرد أن يتناول حاجته لوحده. مما يزيد من الأواني اللازمة للغسل. ويتم تنقيع الخبز الأحمر في اللبن حتى يلين أكثر ليسهل على الأجداد تناوله.

قد لا تجد الزوجة حتى وقتاً قصيراً للراحة، فيما يذهب الأب للقيلولة حتى أذان العصر، حيث يستيقظ ويتوضأ ويخرج للصلاة، ثم لاستئناف العمل إذا كان صاحب دكان أو حرفة أو موظفاً، فالأم دائبة الحركة والعمل.

فهناك تجهيز الوجاق وتنظيف أواني القهوة والشاي وتلميع الدلال الصفراء بالرماد. وهناك جرش الأرز والجريش بالمجرشة وخياطة وإصلاح وغسل ونشر وجمع وتبخير وحفظ الملابس، وتكسير حطب الوقود للمطبخ ولوجاق القهوة. وهناك تقديم البرسيم والسمك المجفف للبقرة والعناية بالدجاج وجمع أواني الطعام وتنظيفها بماء وتراب بواسطة الليف، وهناك غسل سقاء اللبن ودبغه بالإرطأ، وتنظيف أوانيه وإذابة الزبدة وتعبئة وتصعيد « مصاخن» الماء للشرب إلى السطح، عصراً(في الصيف) وكنس السطح ورشه بالماء ليبرد. ثم نقل وفرش « المداد» ونقل فرش النوم ووضعها

١- اللوطة: إناء معدني أسطواني بغطاء محكم. والشكوة سقاء من جلد ماعز صغيرة.

في السطح مطوية ثم العودة لاستئناف طبخ العشاء في المطبخ المكتوم حيث تتابع مراحل الطهو وتعمير النار بالحطب على الدوام مع ما تعانيه المرأة من كثافة الدخان وحرارة النار وتدمع العيون بغزارة، بعد أن كانت أصلاً قد عانت من حرارة وتدمع العيون بغزارة أيضاً لتأثير وحرارة وقوة رائحة البصل خلال تقطيعه.

يستقبل الأهل الكبار من الأجداد والجدات، أيضاً أقرباءهم ومن هم في مثل سنهم، حيث يكون هناك واجب الضيافة المتيسر. بعد صلاة المغرب يحضر الجميع لتناول طعام العشاء حيث تقوم الأم والبنات بتحضير السفرة وإحضار الطعام ثم نفض السفرة بعد انتهاء العشاء، وجمع الفضلات تمهيداً لتقديمها صباح غد للدجاج، وإذا تبقى مقدار من الطعام، يحفظ في إناء خاص ليأكله الأولاد في الصباح، في حالة شح الخبز والحليب، وقد يشاركهم أولاد أقارب يمرون عليهم صباحاً ليصحبوهم إلى المطوّع. ويتعين على الأم تجهيز طعام لفسحة الأولاد مما تيسر من خبز أو تمر، تجمع أواني العشاء تمهيداً لغسلها صباح الغد، وهناك «حلاب» البقرة للفترة الثالثة بعد العشاء، حيث بعدها قد يكون هناك ضيوف رجال أو زائرات أو بعض الأقارب المارين عرضياً. بعد انتهاء السهرة، حوالي الساعة الرابعة بالتوقيت الغروبي أي بعد صلاة العشاء بساعتين تقريباً، يكون كل في بيته. وتكون الأم حول الصغار تقص عليهم الحكايات «الحزاوي» حتى يتفرقواويناموا لينتهي يوم كامل طويل من العمل الكادح المتواصل الذي يقع على عاتق المرأة في المترل، وليستأنف غداً، من جديد بنفس النمط والتكرار طوال العمر. تقوم المرأة أيضاً كل بضعة أيام بإعداد وتخمير وخَبزِ خُبز المسح « الرقاق» على التاوة[1]. كما تقوم بين حين وآخر بإصلاح وترقيع ملابس أفراد الأسرة وعمل «بيزة»[2]. من الملابس التالفة، كما تقوم النساء بغسل ملابس الأسرة وخياطة بعضها وإصلاحها والعناية بها.

١- التاوة: صاجة كبيرة كالصحن مقعرة توضع على الوقود مقلوبة ليخبز الخبز الرقيق فوق ظهرها.

٢- جمع بيز وهو حشوة مربعة الشكل من القماش لمسك القدور والدلال الحارة.

٢ – العمل الموسمي:

يعتبر صرام التمر من المواسم التي تتطلب عملاً طويلاً وشاقاً يقع نصيب كبير منه على عاتق النساء. فعند إحضار التمر نثراً في «مراحل» كبيرةٌ تقوم النساء بفرش «الدواوير» على السطوح ليجف تحت أشعة الشمس ثم جمعه، وغسل الجصة بالماء والليف، ثم كنز التمر فيها بعد تبهيره وتعبئة بعض الأواني بالتمر وإرسالها هدايا وصِلات «عادة» إلى بعض البيوت المحتاجة. وقد يجلب بعض التمر في عذوقه، فيتعين على النساء تخليصه حيث تحفظ العذوق وتجفف لتستعمل كمكانس» العسو»، وفي حالة كون الأثقال المطلوب وضعها فوق تمر الجصة مما يتعذر على النساء القيام به يقوم الرجال بذلك. كما يقمن، بمساعدة الأولاد في حالة وجود حمارة لديهم، للعناية بشؤونها إذا كانت العائلة من طبقة بسيطة الحال من مزارعين أومزاولي مهنة خدمة وتأجير الحمير، أما إذا كانوا ملاكاً فإن للحمارة « صبياً مستأجراً للعناية بها وباستخدامها.

ومن أعمال المواسم: التي تقوم بها النساء، جرش الأرز في المجارش حتى يخلص من «الشلب» وينسف وينقى ويجمع ويحفظ. ويجمع «السفير» المتخلف عن الجرش ويحفظ ليشكل»طماماً» يحرق فوق قدور طبخ الهريس لإكمال استوائه، ما يكسب الهريس طعماً ونكهة خاصتين متميزين. ومن الأعمال الموسمية أيضاً دق الحب(القمح) الذي يقوم به عادة عمال متخصصون مستأجرون وذلك بواسطة «المهباش»، وهو مدق كبير محفور من جذوع النخل، أما المدقة الثقيلة الضخمة، فتصنع من خشب التوت الأملس ويقوم النساء بتجهيز اللوازم والأواني ونشر الحب ثم نسفه بالمناسف وجرشه بالمجارش ونخله بالمناخل ثم طحنه بالمطاحن وجمعه وحفظه. وفي هذه المواسم، تبعث الأم ببعض الحصص من هذه الحبوب كهدايا وصدقات على الأقارب والمحتاجين.

ومن المواسم تعصير الليمون الذي يحضر من النخل أو يشترى من السوق

أو يحصل عليه كهدايا، بكميات كبيرة في أواخر الصيف. حيث يتعاون النساء من سيدات وفتيات في تقطيعه وعصره في أوان كبيرة بكميات كبيرة في أواخر الصيف. حيث يتعاون النساء من سيدات وفتيات في تقطيعه وعصره في أوان كبيرة ثم تمليحه ثم شخله وتصفيته وتعبئته فى قوارير زجاجية ورفعها إلى أعلى السطوح ليتخمر في الشمس حتى شهر رمضان، ليستخدم بمزجه مع شورباء الهريس.

وفي نفس الموسم تقريباً هناك تفليح الرمان وفتفتته وجمع حبوبه وتجفيفها في الشمس وحفظها لاستعمالها بالخلط مع المرق واللحم، أما القشور فتنشر في الشمس ثم تحفظ لاستعمال منقوعها في تثبيت ألوان الملابس السوداء والعبايات كذلك يتم تجفيف أنواع من الخضر تكثر في مواسمها كالطماطم التي تشرح، والباميا التي تشك في شوك النخل وتعلق على الحبال، وتحفظ في دار الجازة كمؤونة طوال العام.

٣- أعمال المناسبات:

الأعراس: منذ أن يتم الاتفاق بين أبوي العروس والعريس على الزواج، تبدأ الأم في عمل الترتيبات اللازمة التي تتشاور فيها مع الأب،حيث يتم بعد استلام المهر شراء»الذهب» «الحلي» واختيار الأقمشة اللازمة لخياطة ملابس العروس، والتوصية على الفرش وشراء العباءة واللوازم الأخرى. وتنظيف البيت والأثاث، وشراء الأغنام والمواد اللازمة للولائم والشاي والقهوة والحلويات والعطور والحناء والحب (المكسرات)، وتأتي الخالات والعمات لمساعدة الأم (وبناتها إن وجدن) في الإعداد لهذه المناسبة. فقد «يفصلن» ملابس العروس، أو تبعث إلى بيت آخر ليقوم بخياطتها، ويتم تنقية ونسف ونخل وطحن الأرز والحناء والبهارات وتجهيزها، وكذلك تجهيز مواد القهوة من بن وهيل وشاي وسكر وزنجبيل وفلفل وصنع «الملتوت» من القمح والتمر والهيل والدهن والزعفران. وفي العادة. تستأجر سيدات مختصات من أهل الحي. يقمن بالمساعدة في القيام بهذه الأعمال التي تستغرق أياماً عديدة، ومن هؤلاء

من هن مكلفات بالعناية بالعروس، خصيصاً وتجهيزها من نظافة ولبس وحلي وتزيين وتعطير وتدخيل العروس في ليلة العرس على العريس والاهتمام باحتياجاها طوال أيام العرس. وعند اقتراب موعد العرس تقوم الأم بطلب حضور تلك السيدات، لتكليفهن بالأعمال المطلوبة منهن ومنها توجيه الدعوات الشفوية إلى النساء من الأقارب والجيران وأهل الحي وتجهيز ملابس العروس وحليها ومواد ولوازم تجميلها وتزيينها وإعداد مواد العطور والفرش وتعطيرها وفرش المترل بالزل و»الدواشق» والمساند وإعداد الأواني للطبخ وعمل القهوة وتجهيز الحطب والمواد الغذائية وترتيب كل كبيرة وصغيرة. ثم خلال أيام العرس الثلاثة تشتغل الأم (والبنات) والقريبات المساعدات بأعمال وترتيبات وانشغالات مستمرة منذ الفجر وحتى ساعة متأخرة من الليل.وهناك من النساء من يقمن بذبخ الخراف والعجول الصغيرة وتجهيزها لطهي الطعام للولائم الكبيرة.

ولاتنتهي جهود الأم ومسؤولياها بانتهاء احتفالات العرس، بل تستمر إلى ما بعد ذلك بعدة أيام خلال ترتيبات انتقال العروس إلى مترل زوجها واستقبال أعداد كبيرة من الزائرات المهنئات لعدة أيام وتوزيع الحلويات والحب على الأقارب، والسيدات المختصات بالتجهيز، والالتفات لشؤون واحتياجات ابنتها العروسة، وظروفها وخصوصياها الجديدة، وإعادة المواد والفرش والأواني والحلي والملابس المستعارة من الأقارب والجيران، وتنظيف المترل وإعادة ترتيب الأثاث وحفظ المواد، وتصفية كل المعلقات والطوارئ والترتيبات المخصصة لهذه المناسبة

٤- القرقيعان وهو عادة توزيع الحب والحلويات على الأطفال ليلة (الناصفة) فى منتصف رمضان.

حيث تقوم الأم باختيار وتفصيل وخياطة ملابس أطفالها من أولاد وبنات، وتجهيز أكياس الحب والمكسرات والحلويات، وغسل الأطفال وتلبيسهم صباحاً، والاستعداد بمواد القرقيعان والجلوس في فناء المترل لاستقبال أطفال جيران الحي

وتوزيع القرقيعان عليهم خلال فترتي منذ الصباح حتى الظهر، ومن العصر حتى المغرب. وقد يتكرر ذلك خلال اليومين التاليين من أقارب البيت والجيران.

أعمال المرأة في شهر رمضان:

يحتاج شهر رمضان لخصوصيته وتميزه إلى استعدادات وترتيبات كثيرة كالمواد الغذائية اللازمة من حب هريس وأرز حساوي ودهن بقري وطحين وساقو «وبلاليط»[1] ودبس وغير ذلك، لما يلزم لمؤونة هذا الشهر الكريم بكامله.

ويبدأ عمل ربة البيت اليومي في رمضان، بالصحو صباحاً والقيام بالأعمال الروتينية كحلب البقرة وإطعامها وإطعام الدجاج ورفع فرشات وأواني البارحة وكنس البيت وغسل الأواني، ثم تبدأ بتحضير مواد الطبخ، والحطب الذي يشمل السفير، وهو قشور الأرز بعد جرشه، اللازم لطهي الهريس، وبعد قضاء أعمال أخرى وقرب الظهر تبدأ بطبخ الهريس، وتحضر للصغار ممن لم يصم بعد، بعض الطعام. وبعد أداء صلاة الظهر، تجد فرصة قصيرة تستريح فيها، وعند العصر تتابع طبخ الأطعمة الأخرى وعند المغرب تحضر مائدة الإفطار و»تضرب» الهريس، وهو عملية مجهدة وشاقة تتطلب طاقة وقوة وتعد الشوربا كما تحضر (أو تقوم ابنتها أو بناها) بتحضير التمر (أو الرطب صيفاً) والماء والقهوة للإفطار. وبعدها يذهب الأب والأولاد لصلاة المغرب أو يأخذون طعام الإفطار معهم إلى المسجد، ويفطرون هناك مع بعض المحتاجين، وبعد الصلاة يعودون للمترل، حيث تكون الأم (ومن قد يساعدها) بإعداد مائدة الإفطار، لكل من الرجال والنساء، وبعدها تقوم النساء برفع سفر الطعام وحفظ المتبقي منه. لإعطاء بعضه بعض السائلين المحتاجين وتناول الباقي خلال السهر في ليل رمضان، أو تقديمه للزوار، منه اللقيمات «والبلاليط» والساقو. بعد نوم ساعات قليلة، تصحو النساء على صوت صياح ودوي نداء

[1] - البلاليط هو الشعرية (الأعواد الدقيقة المصنوعة من السميط أو القمح).

«أبو طبيلة»[1] ودويّ طبله الذي يوقظهن قبل الفجر بثلاث ساعات تقريباً، فينهضن ليطبخن السحور، الذي عادة يكون من الأرز الحساوي والمرق مع الماش واللوبيا، وعند جهازه يقمن بإيقاظ الرجال والصغار ممن يصوم، ويتناول الجميع السحور، ثم يذهب الرجال والأولاد إلى المسجد لصلاة الفجر، وتقوم النساء بالتنظيف والغسل ثم ينام الجميع حتى الصباح، وهكذا طوال شهر رمضان.

أعمال المرأة في الأعياد:

تبدأ أعمال الاستعداد لعيد الفطر خلال شهر رمضان، حيث تقوم الأمهات بتفصيل وخياطة ملابس الأسرة الجديدة خاصة الأطفال، وفي أواخر الشهر الكريم تتعاون نسوة البيت على كنسه وتنظيفه وغسل الفرش والزل وتنظيف جميع الأواني وتلميع دلال القهوة وتهيئة المواد الغذائية اللازمة ووجبات الغداء والعشاء لأيام العيد المبارك، وإعداد مواد الزينة والعطور والحناء للنساء، وتنشغل النساء باستضافة عائلات الأقارب وزيارات الجيران، وتلبيس الأطفال والمحافظة على ملابسهم جديدة ونظيفة خلال أيام العيد. في أول أيام العيد، يخصص لـ « أبو طبيله» ماتيسر من المواد الغذائية، وكذلك لبعض النساء اللائي يقمن بخدمات للمنزل بين حين وآخر أو بصورة دائمة.

وفي عيد الأضحى، قبل دخوله بأيام تتكرر نفس الاستعدادات التي جرت لاستقبال عيد الفطر، ويزيد على ذلك، انشغال ربات البيوت برعاية وإطعام وسقي الأضاحي التي تشترى وتحضر إلى المنزل قبل العيد وتنظيف مكان إيوائهم وإطعامهم على الدوام. وبعد نحر الأضحيات تجلس النساء يقطعن اللحوم، ويقسّمنها ويوزعنها صدقات، على الأقارب والعائلات المحتاجة والجيران، ثم يقمن (في كثيرمن البيوت)

١- هو ما يعرف في بعض البلدان العربية بـ المسحراتي - الذي يصاحب دقات طبله المنغّمة نداءات عالية منه: مثل يانايم وحد الدايم « وبعض الأدعية.

بتمليح كمية من اللحم وتعليقها قطعاً على حبال داخل غرفة المؤن، لتتحول إلى «قفر» وهو اللحم المقدد، كما يتعين على ربة المترل تنظيف وغسل مكان ذبح الأضاحي وتنظيف أحشاء الذبيحة وغسلها وطبخها على انفراد، وباعتبارها أكلة خاصة ونادرة، ثم تلتفت النساء بعد ذلك لغسل أطفالهن وتلبيسهم الملابس الجديدة، كي يعيّدوا فيها، ويتلقوا العيديات ثم تتفرغ ربات البيوت لطبخ وجبة الغداء، باللحم الكثير والأرز الوافر. حيث يحضرها بعض الأقارب والمعيّدين، تحتاج قدور وأواني الطبخ الكبيرة إلى جهد غير عادي لتنظيفها وغسلها وحفظها، كما يحتاج استقبال المهنئين والمهنئات بالعيد إلى صنع القهوة وإعداد صحون التمر (أو الرطب) وتقديم ما يتيسر من مواد الضيافة الأخرى والبخور إلى عمل مستمر متكرر طيلة أيام العيد.

العمل في ليلة الغروفة (ليلة النافلة):

في هذه الليلة وهي ذكرى ليلة الإسراء والمعراج، تتجمع الفتيات غير المتزوجات من فتيات الأسرة الواحدة والجيران في بيت إحداهن وتحضر كل منهن طبقاً من طعام أعدته خصيصاً لهذه المناسبة، من الأكلات الشعبية، وتتظاهر الفتيات بأن ذلك الطبق كان من إعدادهن. غير أن وراء ذلك جهود الأم وسعيها لتحضير وتجهيز المواد اللازمة لذلك الطبق وإعداده في الحقيقة، أو على الأقل مساعدة ابنتها أو بناقما على إعداده. كما أن عليها أن تعتني بإعداد ملابس لائقة لهن ليظهرن بها في تلك المناسبة، لأنها، في الواقع مناسبة يتم فيها التعرف على الفتيات الجميلات بعضهن على البعض الآخر، حيث يقمن بوصف لما شاهدنه في مشاركاتهن هذه لأسرهن،مما يهيئ فرصاً لخطب الفتيات البالغات.

العمل في ليلة الحبوب:

يحتفل بليلة ٢١من محرم من كل عام داخل العائلة، حيث يقوم رب الأسرة بإحضارأنواع متعددة من اللحوم ومن كروش البقر والأغنام، فيتعين على نساء البيت

القيام بتنظيفها وتقطيعها وطبخها مع الأرز الحساوي وأنواع الخضروات،وخاصة اللوبيا والباذنجان وغيرها وقد يتم توزيع حصص صغيرة من هذه الطبخة على بعض الأقارب والجيران.

العمل في الاحتفال بيوم الختمة:

حين يحفظ الصبي القرآن الكريم الدارس لدى المطوع «يكون هناك احتفال،حيث تقوم الأم بخياطة ملابس جديدة لولدها وتقوم بإعداد حمام له وتلبيسه الملابس الجديدة ومنطقته بالسيف أو الخنجر (والمشلح والعقال للمقتدرين)كما تقوم الأم بتجهيز وإعداد أباريق الشاي والحليب الساخن ومرشات العطور ومباخر البخور، وطبخ وجبة غداء مناسبة لهذه المناسبة العزيزة، واستقبال المهنئات من الأقارب والجيران، وإكرامهن وغير ذلك من الجهود التي تبذل في هذه المناسبة.

عمل المرأة فترة النفاس:

تستقبل الأم ابنتها المتزوجة التي على وشك الوضع، فتعد لها ولأطفالها مكاناً مناسباً وتعتني بها وبهم، وعند بدء الطلق، تحضر لها سيدة متخصصة في التوليد تسمى «القطاعة» وتفرش الرمل النظيف الناعم داخل إحدى الغرف وتحتضن أطفالها وبكل ما يلزم لرعايتهم والسهر على راحتهم، وبعد الوضع تبدأ تعتني بالمولود والابنة الوالد خلال الأيام الأولى للولادة من تنظيف واغتسال ولبس وإطعام كما تستقبل الأم وفود الزائرات المهنئات بسلامة الابنة الوالدة، عدة مرات في اليوم، وإعداد ما يقدم من ضيافة، وتتولى الأم ربة البيت إعداد وطبخ وجبة يومية خاصة لابنتها مكونة من لحم الغنم والمرق وفي الشتاء تعد لها كل صباح طبقاً من العصيد الحار طيلة فترة النفاس، ويعاني المولود الذكر بعد «ختانه»، في الأسبوع الأول من وضعه، فتحرص الأم على مساعدة ابنتها في تمريضه حتى يبرأ الجرح،وتقوم الأم بإعداد وليمة التميمة الكبيرة التي يدعى إليها الأقارب وبعض الجيران.

عمل المرأة في القرى:

إضافة إلى ما تقدم من عرض مختصر لعمل المرأة في المنزل الذي يتناول حالة مدن الأحساء، وباستثناء حالات بيوت القرية التي لا يدرس أولادها في «المطوع» لاصطحاب أبيهم لهم للعمل معه في النخيل، فإن ما ذكر من عمل المرأة في المدينة ينطبق على كثير من عمل المرأة في بيوت القرى، إضافة إلى قيامهن بمهن يدوية كصنع القفاف والسفر والمهاف والسلال من الخوص والجريد ومن رعاية ذات نطاق أوسع للبهائم كالبقر والحمير والدواجن، وبعض الأعمال الأخرى المتعلقة بطبيعة ارتباط حياتهن بالزراعة والريف، كما تساعد النساء أزواجهن وآباءهن والزارعين في الكثيرمن أعمال الزراعة.

أهم العادات والتقاليد السائدة في المنطقة حتى عصر النفط.

الزواج:

-١ الخطبة: كان الزواج، في الغالب، محصوراً داخل الأسرة، حيث كان ابن العم هو العريس المفضل للابنة، وكان الزواج من خارج الأسرة أمراً قليل الحدوث، فمتى ما بلغ الابن سن الرشد، شعر والده، بمسؤوليته في إيجاد عروس له. وبما أن الزواج كان محصوراً داخل الأسرة، فإن العروس المختارة تكون معروفة لأهل العريس، خاصة والدته، ويقوم والد العريس بمفاتحة والد العروس برغبته في خطبة ابنته. وتتم الخطبة وعقد النكاح دون إعلان، حيث يحضر المملك إلى منزل والد العروس، والعادة ألا يؤخذ رأي الفتاة في خاطبها، وأن تختفي عن أعين الرجال وكافة النساء عدا أمها والفتيات الصغيرات والنساء القائمات بتجهيزها، حتى ليلة الزفاف.

(٢)- المهر: كان المهر، في العقود الأولى من القرن الرابع عشر الهجري، في الأحساء لا يتعدى مئات الريالات، أو ما يعادلها من العملات المتداولة آن ذاك وأن يقدم العريس إلى عروسه، قبل دخوله بها، ثوبين وعباءة (دفة) ولوازم الولائم وفرش النوم الخاصة بليلة الزفاف وبعض الأقمشة غير المخيطة. وفي بعض الحالات يشمل المهر (الجهاز) مجموعة من الحلي. وكانت تلك الأشياء تحمل إلى بيت العروس في الليلة السابقة للزفاف، وتسمى «ليلة الحفلة». وكانت الأقمشة وبعض الحلي تحمل في صرة (بقشة). ويتضمن جهاز العروس المحمول إلى بيت أهل العروس صندوقاً خاصاً بملابس العريس الخاصة والهدية (الصباحة) التي سيقدمها إلى عروسه صبيحة

يوم زفافه. وكذلك بعض اللب (الحب) والمكسرات، على أن ينقل الصندوق إلى بيت العرس حين انتهاء مراسم الزفاف. وجرت العادة بأن يستأجر العريس من يحمل تلك الأشياء إلى بيت عروسه، فإن لم يجد من يحملها، حملتها والدته وقريباته.

ومن أشهر أنواع الحلي في مناسبا ت الزاوج:

القبقب والحَلَق والهلال و»الشقايق» وقصة السعد والتحافيظ والريشة والهامة والسروج والتلول و»الجتب و»الظفاير» والخزامة والزمام والفردة والمعرّ والزماط والقرادلة والرشراش والشميلات والبناجر و»التراتشي «(الأقراط) وحب الهيل والخواتم والحجول والأفتاخ والثريا والقطان والخلخال والحزام والمرتعشة والخويصات والسبحة والقلادة والبقنة والمزنط والذبّال والزنود والربيعة.

وكان الأثرياء غالباً ما يشترون الحلّي الثمينة ويتفاخرون باقتنائها، أما غير القادرين فيشترون الحلّي الفضيّة، وكان غنى الزوج ومكانته الاجتماعية غالباً ما يحددان كمية الذهب والفضة في الحلّي، حيث أن الأهل يقومون بشراء حلّي لابنتهم من مهرها. وكانت العادة أن يشتري أهل العروس لابنتهم من مهرها صندوقاً خشبياً من السيسم مزخرفاً بزخارف نحاسية مموهة بألوان ذهبية زاهية، وهو مما يستورد من الهند، ويمتاز بصلابته وبقفله الكبير المحكم. وداخل الصندوق قسم خاص بحفظ المقتنيات الذهبية، مقسم إلى أجزاء صغيرة لحفظ الحلي، كل على حدة ويطلق عليها «بوقة» وبعد الانتقال إلى بيت الزوجية يتحول الصندوق إلى مكان أمين لحفظ المجوهرات وحلّي الزوجة والعطور على مختلف أنواعها[1].

أما الملابس الخاصة التي ترتديها النساء، سواء العرائس أو غيرهن، فهي كثيرة ومتنوعة وسبق ذكرها.

٣ – العانيّة: بعد تحديد موعد الزفاف يبادر أقارب العريس وأصدقاؤه بتقديم

١- المرجع السابق.

مساعدات عينية، سواء كانت نقوداً أم خرافاً أم أكياس أرز أوسكر أو هيل أو بناً. أما بالنسبة لهدايا العروس فإنها تأتي من قريباتها وصديقاتها، وتكون إما حلياً أو جنيهات ذهبية أو أقمشة غير مخيطة، وتقديمها يكون بعد زفاف العروس.

٤ – يوم الغسول (حمّام العريس): يقوم والد العريس بدعوة أقارب العريس وأصدقائه لمرافقته صبيحة يوم الزفاف، إلى إحدى عيون المياه المشهورة ليقضوا مع العريس يوماً كاملاً من الاستحمام والنزهة والفرح، تعد لهم فيه وجبة غداء كبيرة، وقد تقام خلالها جلسات طرب وغناء خاصة من النوع المعروف محلياً بـ «المجيلسي» ويعودون إلى المدينة أو القرية مساء بعد أن يرتدي العريس ملابس جديدة ويشد على وسطه خنجراً ويتقلد سيفاً ويمتطي صهوة جواد مسرج، يحف به صحبه منشدين أغاني مناسبة لدقات الطبول والدفوف التي يحملونها[1]. وكان العريس يسمّى محلياً «المعرس».

٥ – ليلة الطّيب: يتوافد المدعوون من الأقارب والأصدقاء وسكان الحي إلى منزل العريس، بعد صلاة المغرب مباشرة من ليلة الزفاف، التي تسمى ليلة الطّيب، ومن العادة أن يحضر المدعو معه فانوساً أو (إتريكا) يحمله معه في تلك الليلة، لإنارة الطريق وإضفاء البهجة على الحفل، وكان بعض الموسرين يستأجرون من يحمل لهم الفانوس، وكان المدعوون في حالة عدم ملكيتهم لفانوس يستعيرونه من الأقارب والمعارف. كما يحرصون على ارتداء المشلح. ومن لا يملكه يستعيره. وبعد تناول القهوة العربية وتقديم البخور (العود الصنفي) ورش العطور بالمرشّ يصاحب المدعوون العريس ووالده في موكب سيراً على الأقدام، يتقدمه العريس وأمامه حملة مباخر العود وفوانيس الإضاءة إلى بيت والد العروس وأقربائه ويرحب بهم وتقدم القهوة ويدار البخور وترش العطور وبعدها يبدأ المدعوون بالانصراف متمنين للعروسين التوفيق والهناء مرددين عبارة «مِنْكْ المالْ ومِنها العيال» ولا يبقى مع العريس إلا والده

١- المرجع السابق.

وإخوانه وأصدقاؤه المقربون، وفي تلك الأثناء تكون العروس قد هيأت استعداداً لنقلها إلى غرفة الزفاف في بيت والدها، وقد تستعار بيوت الجيران والأقارب. إذا كان المترل صغيراً. كما يستعار السجاد والبسط ودلال القهوة وأباريق الشاي والحلّي والمجوهرات وحتى العبي والملابس من الأقارب والجيران[1].

٦ – الدَّزَّة: حين يُبلَّغ العريس باكتمال تهيئة عروسه ينتقل إلى غرفة الدخلة، فيخترق فناء المترل المكتظ بالنساء المدعوات المرتديات أجمل ملابسهن وحليهن وزينتهن وتقوم « الطقّاقات» بدق سريع على الدفوف وترديد الأغاني الخفيفة والسريعة الخاصة بالمناسبة. وبعد أن يستقر العريس في الغرفة الأولية يتم إحضارالعروس (وأحياناً تنقل في زولية) إلى دار داخل الغرفة، ثم ينتقل العريس، بدوره إليها هناك.

٧ – الزفاف: جرت العادة قديماً أن تزف العروس إلى عريسها محمولة في زنبيل كبير (مرحلة) ثم تطور الأمر فيما بعد، إلى حملها في سجادة، وأن تزين العروس بفرق رأسها ووضع «مشخط» في مفرق الرأس تماماً. ويجدل الشعر في ضفائر تنسدل على ظهرها وتضمخ بالروائح العطرية كماء الورد والزعفران ودهن العود. وكانت العائلات الغنية تحرص على أن تتحلى العروس بخمار واسع وتتخدر بخدور من حرير أخضر مطرز أحياناً بخيوط من الزري، كما تحرص العروس على خضاب قدميها بـــ «المداسيّة»، حيث تخط على قدميها، كما تنقش على كفيها بخيوط من الخضاب الأسود (السّمَرْ). وفي هذه المناسبة تحرص العروس على تكحيل عينيها وتزجج الحواجب التي تبدو كهلال جميل. وكان يصاحب عملية زف العروس دق سريع للدفوف والغناء. ومن أشهر ما كانت تنشده المغنيات في ذلك:

إسروا سرينا على بازيـــن	كنّ «فلانة» هلالية
يا لها من قصة ســــمرا	حشـــــوها زعفرانية

١- المرجع السابق.

يالها في الحشا نهــــرين	ومن تــين الوزيّــــة

وتردد المغنيات أيضاً:

إسمعوا مــديحـــي وقيلـــي	يا عنبر في موازينـــــي
وأنا أسألك يا عظيم الشانــــي	يا خالق الإنــس والجـان
وأعيذهم بالأسماء والرحمان	عن عين شيطان وعيّانـــي

وترافق العروس في زفافها امرأة خبيرة تعرف بــ «الرِّقيدة» التي يبدأ عملها صباح يوم الزفاف، فتقوم بغسل العروس بالسدر والكركم وخضب يديها ونقشهما بالحناء وتنظيف فمها وأسنانها بالديرم ووضع الريحان على رأسها. وقبل زفافها مباشرة، تقوم الرقيدة بمساعدة العروس في الاستحمام وفرك جسمها بليفة محشوة بالشنان والسدر الذي يعطي الجسم رائحة طيبة، وكان من العادات المتبعة أن تدهن العروس يومين متتاليين بالكركم وزيت السمسم (السيرج) وزيت جوز الهند. وفي يوم الزفاف تدهن بالهرد ليكسب بشرتها لمعاناً وبريقاً، ثم تقوم بتكحيل عينيها، وتبدأ الرقيدة في رش العطر عليها، خاصة على الرقبة والآذان وتهتم بوضع الزباد والمسك على شعرها الذي يفرق من النصف تماماً ويضفر في «جدايل»،وبجانب الرقيدة تكون هناك سيدات متخصصات في القيام بتمشيط شعر العروس ودهنه بدهن الودك الذي يضفي على الشعر والجسد لمعاناً ورقة.

ويوكل إلى الرقيدة مفتاح غرفة العرس الخارجي في حين يقفل العريس الباب من الداخل. وتوصى العروس، التي لا تلبس شيئاً من حليها الذهبية أوالفضية ليلة الزفاف، بعدم الاستسلام لعريسها بسهولة، حيث تلبس سروالاً سميكاً محزوماً بخيط سميك معقود من الخلف، لتصعيب الوصول إلى العروس، مما يعمد معه بعض العرسان إلى اصطحاب سكين صغيرة أو مقص، للتغلّب على هذه الصعوبة، خاصة وأنه يحرص من قبل الأهل، ومن العرف السائد بأن «يثبت رجولته» ليلة الدخلة، فياله

من موقف متناقض عصيب، هو للاغتصاب منه أقرب إلى بدء علاقة زوجية سعيدة، وخاصة أن الفتاه تقاوم بكل ما أوتيت من قوة. بعد وصول العريس إلى غرفة الزفاف تغادر النساء من قريبات العريس ولا يبقى معها سوى الرقيدة، وكان من الطريف أن تتمسك العروس برقيدها وتتشبث بها وهي مغطية وجهها فيما يحاول العريس تخليص عروسه من الرقيدة، مما يمكنها من مغادرة الغرفة، وعادة تقاوم العروس إمساك العريس بها وتفر منه وتصرخ وترجف الباب المغلق من الداخل والخارج، لكن صراخها ورجف الباب يتم تجاهله بقرع الدفوف والغناء من قبل» الطقاقات». ومن العادات المتبعة أن يقوم العريس، بعد اختلائه بعروسه، بصلاة ركعتين، ثم يبدأ بمحاولة النظر إلى وجه عروسه التي تتمسك بتغطيته، ومن أشهر الأغاني التي تغنى في مناسبة الزفاف آنذالك[1]:

يالله طلبتك طلبة ترفعـــــــــه	ما يعرضها دون عرشك حجـــاب
تسلم لنا «فلان وفلانة» معــه	وتنجيه من كل ســـوء وعـــذاب
ذي بنت من كان الصخا منبعه	بدر تجـــلى فـــوق عاليات السحاب

ومن العادات القديمة جداً والطريفة أن يدق في أحد جدران غرفة الزفاف الداخلية وتد خشبي وتوصى العروس بأن تتمسك به، مما يسهل على العريس حمل عروسه. وفي حوالي منتصف الليل تقوم الرقيدة بقرع باب الغرفة من الخارج. عندها يخرج العريس من غرفة الزفاف الأولية، حيث تحضر الرقيدة القهوة والشاي. ويبادر العريس بإعطاء الرقيدة في تلك اللحظة مكافأة خاصة. ويتلقى العريس تهاني والديه وقريباته اللاتي يدخلن عليه حينذاك. ثم يتوجه العريس إلى المجلس الرئيسي، حيث ينتظره أهله وأقاربه الذين يبادرون إلى تهنئته والمباركة له، ولا يقتصر ذلك على الرجال، بل إن قريباته يحضرن للتهنئة وينثرن عليه ورداً ولباً. وفي الوقت نفسه تقوم والدة العروس وقريباتها بالدخول عليها والتحدث معها. وبعد صلاة الفجر يعود

١- المرجع السابق

العريس إلى غرفة زفافه. و أثناء خروجه تنشد بعض المغنيات بعض الأغاني الخاصة، ومنها:

ياذي المنازل لا خلا مِنْكْ أهليكْ　　　يِسلم لك «فلان» عِزّكْ وحاميك

وكان على العريس أن يغادر غرفة الزفاف ويلتحق بالمنتظرين في غرفة الجلوس بعد شروق الشمس، أما العروس فتأخذها الرقيدة إلى الحمام للاستحمام كما تقوم الرقّيدة بغسل ملاءة السرير وأغطيته وإعادة ترتيبها، وفي الضحى الكبير يعد للعريس ومن معه وجبة إفطار رئيسية. وكان من المتبع أن يعود العروسان إلى غرفة زفافهما بعد صلاة الظهر مباشرة.

٨ – الطـّـرَارَة: وهي أن تقوم المغنيات وضاربات الدفوف خلال أدائهم في مناسبة الزفاف، بتقديم الدف أمام وجه العريس أثناء خروجه في منتصف الليل من غرفة زفافه، ليضع فيه ما تجود به أريحتيه من نقود، وتسمّى تلك العادة «الطّرَارَة» زيادة على أجرهن وما يحصلن عليه من «نقوط» من بعض الحاضرات.

٩ – الصـــبّاحة: وهي الهدية التي يهديها العريس إلى عروسه صباح ليلة الزفاف وتكون نقداً أو حلية ذهبية. كما يقوم بتقبيل رأس أمّ عروسه، التي تصبح الآن بمثابة عمته، وتقوم والدة العروس بتقديم «الملتوت» (فطائر) إلى عريس ابنتها، كما أن من المستحب أن تهدي والدة العريس للعروس هدية خاصة.

١٠ – الأيام الثلاثة للزواج: تستمر حفلات الزواج وولائمه الرئيسية ثلاثة أيام متتالية تختلف كل منها عن الأخرى، من حيث المحتفلين ونوعية الطعام ووقته. وكانت مواعيد الولائم الرئيسية لا تخلو إما من غداء يقدم بعد الظهر مباشرة، أو عشاء يقدم بعد المغرب مباشرة، وللدعوة يُستأجر شخص معروف من أهل الحي، يبدأ قبل موعد الوليمة بيوم بطرق الأبواب منذ وقت الضحى حتى صلاة العصر، ويبلغ من يرد عليه بأن «فلاناً» يدعوكم لتناول القهوة، ويحدد حينها الوقت والمقصود

بالقهوة «الطعام». وعادة ما يقوم بالطواف على المنازل الأشخاص المتخصصون في القيام بإعداد قهوة العرس وتقديمها للمدعوين. أما بالنسبة لدعوة النساء فهي عامة، وإن كانت هناك سيدات متخصصات لمثل هذه المهمة. وفي حالة إن وجهت دعوات خاصة أم لا، فإن ثمة سيدات يحضرن متخفيات في عباءاتهن وخُمرهن يتفرجن على حفل الزفاف وقوفاً إما في فناء المنزل أو يطللن عليه من فوق السطوح، ويعرفن بـ «المغاتير». وكان حضور النساء في تلك الأيام كثيفاً. إذ كان من المستهجن التغيب عن حضور تلك المناسبات الاجتماعية المهمة، خاصة وأن صغر الأحساء وتقاربها وقلة الوافدين الغرباء عززت روابط الناس ببعضهم وحتمت عليهم ضرورة مراعاة الأعراف والتقاليد. وكانت الوجبات الرئيسية التي تعد في أيام الزواج الثلاثة كالتالي:

في اليوم الأول أرز مع الخراف المذبوحة، وفي اليوم الثاني هريس بأجزاء خاصة من أفخاذ لحم البقر، وفي اليوم الثالث «مفلّق» أو أرز حساوي بالربيان والبيض المسلوق والدهن البقري. وكانت العادة أن يعد في اليوم الأول للزفاف وجبتان واحدة خاصة بالأقارب والثانية عشاء رئيسية عامة.

١١ – يوم الفَـرّة: وهو اليوم التالي للزفاف، حيث تجلس العروسة أمام النساء لفرّ وجهها: أي كشفه في حضور حافل للنساء تحت صيوان منصوب في «الحوي» ويبدأ ذلك الاحتفال بعد صلاة الظهر مباشرة، وهنا ترتدي النساء أجمل حللهن. كما يحضر بعض «المغاتير» من خارج عائلة العروسين وتحضر المدعوات معهن دلالاً مليئة بالقهوة وأباريق مترعة بالحليب الممزوج بالزعفران وقوارير العطر[١].

وتجلس العروس هنا مرتدية، لأول مرة كامل زينتها وحليها وعباءتها الجوخ (هيلة) ومتزينة بالحناء والديرم، وتجلس بجانبها قريباتها، وتغطي أسفل وجهها بمنديل و تنظر وباستمرار إلى أسفل في حياء وخفر ثم تقوم إحدى النساء المتغطيات بنزع المنديل عن وجه العروس في حين تكون رِقّيدتها تروّح عنها بـ «مهفة» في يدها وتباشرها

١- المرجع السابق

بالماء البارد، ثم تقوم الرقيدة بخلع عباءة العروس لترى الحاضرات كامل وجهها وشعرها وحليها. وتعود العروس للبس العباءة، وتقوم الرقيدة بخلعها عنها كلما دخل وتجمع عدد من المغاتير[1].

وبمجرد جلوس العروس بين الحاضرات تأخذ المغنيات بضرب الدفوف والغناء وتبدأ النساء في الرقص، ومن الأغاني الخاصة بتلك المناسبة قولهن:

ما حْلا الجوخ فوق اللي تْزِينِه	ما حْلا مَشْيَها وِسـْط المدينـة
والخِيلْ قِيِّـدَتْ للصـقور	يا بو عـلي خـيّال جِسـور
لا مـن تِبيَّنْ وِانتِخـى	وحُـوله رجـال سْـخِيّـة
تظهر «فلانـة» بينهمـو	لا شـتت الله شِـملْهـم

وقـولهـنّ:

من ذي بنيَّته يا منى نجمةْ سهيل	يا عنود «الريم» ياشـبْه القمـر
من ذي بْنَيتـه للحاكميـن	زِيْنْها عدّا على كل البشـر
يوم طرَّش الحاكم على بنت الكِحيل	يوم عَّدوا له مهرها ما قِـدر
الله مالـ «فلانة» في مقاعِدْهم مِثِيل	كُودْ ظبي يرعـى في السَّحـر
جابو لبوها مـن المشـخص شليل	ومن بنات الخيـل أربع مع عشـر
شـافها التـاجر عيّا لا يسـير	وشافها راعـي السفينة ما عبـر

وأهم ما يميز يوم الفرّة «النقوط» وهو النقود التي ترميها معظم النساء الحاضرات بالتوالي على الطقاقات والمغنيات. وبإخراج النقوط تبدأ وصلات غنائية راقصة يُمدح فيها أقارب دافعة النقوط من أبناء أو زوج أو أخوة، وترقص دافعة

١- المرجع السابق.

النقود أو بناها أو قريباها أثناء تلك الوصلة. وتعلن المغنيات وقارعات الدفوف عن بدء كل وصلة بعد استلام النقود بقولهن:

شوباش يامِن ذا نقوطه   نقوط فلان بن فلان لا حالت

ولا مالت عليه، والسّامعين يقولون آمين

ويعقبها زغرودة «لولشة»، ثم يبدأ الرقص والغناء. ويزداد حماس المغنيات واختيار أفضل ما يحفظن كلما زاد مقدار النقود. و أثناء الرقص تغطي الفتيات نصف الوجه بطرف الثوب الرقيق، مما يساعد على ضم الثوب نفسه ليعزز تلك الحركة الإيقاعية للأقدام والجسد، ومن العادات أن تقوم إحدى الحاضرات المعجبات بإحدى الراقصات، إما لجمالها أو لحسن رقصتها أو لمركزها الاجتماعي بشق ثوبها أو عباءتها فوق رأس الراقصة، وفي تلك الحالة يجب مكافأتها من قِبل من شقت لباسها عليها، بإهدائها بديلاً جديداً لما شقّ.

وكانت عملية النقوط من الأمور المهمة، التي تحرص المدعوات على دفعها، دليلاً على تقديرهن لأصحاب الحفل. ولذلك فإن دفعها يتم حتى لو لم تتمكن المدعوة من الحضور شخصياً، وذلك بإرسال المبلغ مع إحدى الحاضرات.

١٢ – يوم الطّلعة: يتميز اليوم الثالث بأنه مغلق لا دعوات فيه ويسمى «يوم الطلعة» وفيه يخرج العريس منذ الصباح إلى السوق، لشراء الحلوى والمكسرات واللبّ وأثناء خروجه تغني المغنيات بصوت رخيم هادئ مقبول من الأنغام التي تشبه الخْماري أغاني عديدة، من أشهرها ما مطلعه:

وين رايح جعل دربِكْ سْـــــعود   كُفِّيت شرّ النّوايب يا عريب الجدود

ما تطالع في «فلانة» كلّ أغبر حسود   أم جهود سرايح فوق الأمتان سود

ومنها أيضاً

أبكي حزني على المحبوب ما من صديق يسلّيني

وأطوي على عنقها المسلوب ومن طعم ريقها يغذيني

(١٣)- الانتقال إلى بيت الزوجية: كان المتبع أن يبقى العريس في بيت أهل عروسه أسبوعاً، ثم يغادر بعدها مع عروسه إلى مترله. وتقوم العروس بزيارة خاطفة لأهلها، تسمى «البوقة»(الاختلاس، باعتبارها تتم خفية) وتتم ليلاً.

وترد والدة العروس وقريباها وصديقاها بزيارها ليلة «الخمستعش» (الخامسة عشر)، بعد انتقالها إلى بيت الزوجية. وفي هذه المناسبة يهدوها لباً ومكسرات وأقمشة وذهباً، كل حسب قدرته. وكان من العادات المتبعة أن تجمع والدة الزوج اللبّ والمكسرات وتخلطها وتوزعها على جميع أفراد عائلتها ومعارفها.

وتسمى أول زيارة من الزوجة لأهلها، التي تتم خلال الشهرين الأولين، من بعد خروجها منه «الزورة» وحينها تبادر والدها بدعوة نساء العائلة كافة إلى حفلة غداء كبرى وقضاء كامل اليوم سوياً. وتعتبر تلك المناسبة حدثاً عائلياً هاماً. وتحرص قريبات المرأة وصديقاها على دعوها واحدة بعد الأخرى. وكانت تلك الدعوات والزيارات تتم عادة في المساء.

وفيما عدا تلك الزيارات فإن خروج المرأة من بيت زوجها كان نادراً، إلا للضرورة، كالمرض أو العزاء في أحد أقاربها، فقد كان سائداً أن يتفاخر السكان بأن المرأة، بعد زواجها لا تخرج إلا للقبر.

ومن العادات الطريفة أن الزوج كان لايرى وجه زوجته خارج غرفة النوم حتى قدوم المولود الأول، كما كان شائعاً ألاّ يناديها ولا تناديه بالاسم الصريح، وفي حديثها إلى الآخرين عنه، تذكره بصيغة المفرد الغائب «هو» ولا تنطق اسمه على لساها أبداً(ويمكن أن تكنيه بنسبته إلى أكبر أبنائه) فتقول: بو فلان[1].

١- المرجع السابق

تقديم القهوة العربية:

كان من العادات السائدة في مجتمع المنطقة الشرقية ومنها الأحساء،مثلها مثل بقية مجتمعات الجزيرة العربية، اعتبار القهوة العربية المشروب الوحيد المفضل،ويرمز تقديمه مع التمر إلى الضيافة والحفاوة، ولايخلو بيت في الحاضرة أو البادية منها، إذ يعتبر فقدانها نقصاً يجب العمل على تلافيه، وكان الإدمان على شربها شائعاً، مما أدى إلى انتشار عادة حمل المتزاورين كميات قليلة منها حيثما ذهبوا، يدفعون بها إلى مضيفهم لتمكينه من صنع مقدار كبير منها لتشفي كيفهم.

وكان للقهوة آدابها وعاداتها فيما يتعلق بطريقة إعدادها وتقديمها وشربها، فقد تفنن الناس بعملها وقول الأشعار فيها. وكان من عادة أصحاب الحاجات المهمة رفض شرب قهوة مضيفهم قبل الوعد القاطع بالموافقة على قضاء حاجتهم التي قصدوه من أجلها. كما جرت العادة، خاصة في مجتمع المنطقة، أن يدعوالرجل صديقه أو من يقابله من معارفه، بعد غيبة طويلة، بقوله: تفضل على القهوة، وحدد له وقتاً معيناً. والمقصود بالقهوة، في أغلب الأحيان وجبة غذائية أو فاكهة، علاوة على القهوة نفسها. وإذا اقتصر الأمر على الفاكهة وحدها (مع القهوة)، فإنها تسمى» فوالة»وبعد دخول الهيل والزعفران والقرنفل إلى المنطقة أصبحت القهوة الممزوجة بتلك التوابل مشروب السكان المفضل دون منازع. وكان التفاخر باقتناء أكبر عدد من دلال القهوة النحاسية الصفراء، وضخامة أحجام بعضها، وصفها في صفوف متتالية بعضها خلف بعض، فوق «الميز» الخشبي المتدرج، في نهاية» الوجاق» في المجلس الرسمي، أمراً شائعاً ومحبباً. وكانت ربات البيوت يعتنين بجلاء تلك الدلال وتلميعها بالقصدير أو الرماد(أو البولش «باليس») فيما بعد، لا سيما في الأعياد والمناسبات الخاصة. فيبدو المجلس مع ضخامته وجمال بنيانه وصفوف الدلال الصفراء الصقيلة والأباريق الكبيرة ذا أبهة ملفتة.

والدلال على ثلاثة أنواع رئيسية هي:

«المزلّ»: وهي التي تزل فيها القهوة بعد غليها وتقدم للضيوف. و»اللقمة» وهي التي تطبخ فيها القهوة، والثالثة هي « الخمرة»: التي تكون مجمعاً لبقايا القهوة وتسمى حثالة القهوة» السريب».

أدوات القهوة العربية:

أ – المحماس: وهو مقلاة تحميص القهوة، وله يد طويلة ذات رأس هلالي الشكل، تربط، عادة، بسلسلة بنهاية المحماس نفسه، الذي يوضع عادة في تجويف مبنى في الجدار من الجص على هيئته.

ب – النّجر (الهاوَن)، الذي كان فيما مضى، ينحت من الخشب ويسمى»الميقعة»، ثم انتشر النوع النحاسي أو المصنوع من الصفر، وله يد من نفس معدنه، ويستخدم لدق القهوة والهيل. وهناك من يتفنن في دق الهاون بطريقة إيقاعية محببة، وخاصة في مجالس النخيل، حيث الهدوء وسريان الصوت إلى مسافات بعيدة، بقصد أن يسمعها جيران النخيل، فيعلمون عن وجود صاحب النخيل، فيأتون لزيارته. «والموجاة» التي تصنع من الخشب وتزخرف وتلوّن بألوان زاهية، وتستخدم خصيصاً لسحق الهيل، باستخدام يد خاصة بها منحوتة من الحجر.

ج – السَّـــرود: وهو صحن مسطح مصنوع من جريد النخل وسعفه بألوان وزخارف جميلة، وذلك لكبّ القهوة المحمصة فيه وفرشها، لكي تبرد قبل دقها.

د – المِنفاخ: الذي يصنع من الجلد والخشب، للنفخ على النار، وهو أداة على شكل ورقة التوت، مع أنبوب بارز، يُعتنى بصناعتها وزخرفتها بالألوان والنجوم النحاسية والمرايا الصغيرة الدائرية المرصعة.

هـ – المراتشي: (المراكي) وهي قضيبان مسطحان من الحديد يعرضان فوق الوجاق لوضع الدلة أو الأبريق عليها فوق النار. وقد وردت لاحقاً «الماكينة» النافخة وهي ابتكار هام، يتكون من جرم يحتوي على مروحة مع ترس ويد وأنبوب طويل،

وتدار باليد، لتوليد تيار هوائي شديد يخرج من تحت صحن حديدي مخرم مثبت فوق فوهة من قلب الوجاق، لإشعال وتعزيز النار، وقد اعتبر حينها ثورة في عالم المواقد، وخاصة عند استعماله مع الفحم، وهو يشبه «الكير» المعدني الذي استمر استخدامه في دكاكين الصفارين والحدادين وصاغة الذهب كما وردت إلى المنطقة «التشولة» وهي موقد يعمل بالجاز، وورد معه نوع آخر كبير، للتدفئة.

و – المطحنة: وهي آلة معدنية ذات ترس حلزوني وفوهة ويد وصندوق صغير، لطحن القهوة. وهي على نوعين: صغيرة بيد طويلة وتركب في مكان خاص بها في الجدار. وكبيرة ذات عجلتين، يثبت المقبض في إحداهما وتثبت على كرسي خشبي، وهي أسرع أداء وأكثر نعومة في طحن القهوة والهيل والبهارات الأخرى، ولفوهتها غطاء متحرك.

ز – فناجين القهوة: التي كانت في الماضي تصنع من الطين الفخاري إلى أن انتشرت فناجين الزجاج الصيني.

ح – الشـــتّ: وهو وعاء نحاسي أسطواني مطلي باللون الأصفر وله غطاء موصول بسلسلة تربطه بجسم الشت، ويستخدم هذا الوعاء البدو والمتنقلون عموماً، لحفظ فناجين القهوة وحمايتها من الكسر. وعموماً تسمى تلك الأدوات بـــ «المعاميل».

عادة استقبال رمضان:

كان من أشهر عادات سكان المنطقة قيامهم قبل قدوم شهر رمضان بيوم برحلات خاصة إلى البساتين وقضاء كامل يومهم بين المياه والنخيل والأشجار المختلفة، متمتعين بعبير الأزهار، وأكل ما يتوفر من الثمار في هناء وسرور، احتفاء بقدوم الشهر المبارك.

وكان الأطفال يتشوقون لِمقدم الشهر الكريم، إذ يجدون في لياليه المقمرة

فرصاً للعب والجري خارج المترل، آمنين واثقين، خاصة باعتقادهم كما يخبرهم أهاليهم بأن الشياطين والجن تربط في رمضان فلا تظهر، فيملأون أجواء المدينة بصياحهم وضجيجهم ومرحهم، وكان العامة يقسمون رمضان إلى ثلاثة أقسام[1].

أ – الأيام العشرة الأولى، وتعرف باسم « عشرة الجزار»، وليس معنى هذه التسمية أهم لا يأكلون إلا اللحم، لكنهم يصنعون معظم أطعمتهم من اللحم.

ب – العشرة الثانية: وتعرف بـــ « عشرة البزّاز»[2]. إذ يبدؤون في شراء الأقمشة والثياب استعداداً للعيد.

ج – أما العشرة أيام الأخيرة فتعرف بـــ « عشرة الخياط» إذ لا يكاد يوجد خيّاط إلا وهو مشغول لكثرة ما لديه من طلبات الخياطة، مما يضطر الخياطين إلى مواصلة العمل في دكاكينهم حتى صلاة العيد أو إلى ما بعد ذلك.

د – عادة القرقيعان:

من أجمل العادات الاجتماعية السائدة في مجتمع المنطقة قديماً (ولا تزال على نطاق ضيق جداً)، عادة القرقيعان، ويسمى في البحرين «القرقاعون». وهي عبارة عن احتفال بهيج خاص بالأطفال، يتم في منتصف شهر رمضان المبارك.

لذا يعرف في القطيف بـ «الناصفة»، ويرتدي الأطفال في صباحه أبهى ملابسهم. وفيهم البنات المرتديات البخانق المرصعة برسمات الزري الأصفراللامع، يحملون أكياساً من قماش السواحل معلقة حول رقابهم، يطوفون في جماعات على منازل «الفريج»، التي استعدت في أفنيتها النساء بكميات من المكسرات واللب والحلويات من الحب والحمص والجوز والبيذان والملبّس «والبرميت» والسّبال، في

١- المرجع السابق.

٢- البزّ باللهجة المحلية معناه القماش، والبزاز بائع الأقمشة.

قفف (جمع قفة) أو أكياس خيش مملوءة، فيغرفون لهم منها بطاسة صغيرة ويكبونها في أكياسهم، وعند قدوم كل مجموعة من الأطفال «المقرقعين» إلى الدار أو طرقهم الباب، يرددون في صوت واحد مرتفع أنشودة خاصة بالمناسبة تقول أبياتها:

قِرقِعْ قِرقِعْ قِرقِيعان

إم قْصيّر ورْميضان[1]

عَطُونا الله يعطيكم

بيت مكة يوديكم

يوديكم لأهاليكم

ويلحّفكم بالجاعد

عن المطر والرّاعد

سِلّو سْليلة الذهبْ

والعِيش عِيش القارة

طارت به السمّارة

هذا النّبي في حضرته

فارش لِهم سِجادِتِه

جات الغزالة ورادِته

عامْ عامْ يا صيّامْ

جعِلكُم تْصومونه[2]

١- المقصود بالقصير شهر شعبان.

٢- جعِلكم أي جَعَلكم الله.

كِلّه كِلّه بالتّمام

الله يِعّز الإمام

اللي عطانا خوخ ورمّان

عطونا عيدكم عادت عليكم

إما ثواب ولاّ جواب

ولاّ نْتيفة مِنِ الباب

سِحبوا الكيسْ على الكيسْ

شِسِمْ أو ليدكُم ؟[1]

فيُسمّي أهل المترل ولدهم. سواء كان ولداً أو بنتاً. وبعد تسميته لهم، يتابعون أهزوجتهم مرددين:

لُولا «فلان» ما جينا

ياربي تخلّيه لامّه

جعِلْ البَقْعة ما تْخِمّه

يكبر ويعطينا

قاعدْ على التينة

يزرع بِساتينه

قاعد على الخوخة

يْنَشّر الجوخة[2]

١- ما اسم ولدكم الصغير؟

٢- المرجع السابق

وبعد سماع الأُهزوجة الجميلة. يوزع أهل الدار القرقيعان عليهم، فيواصلون تجوالهم.

وإذا لم يفتح لهم الباب أو اعتذر أهل البيت بعدم وجود قرقيعان لديهم، ردد الأطفال أهزوجة مملوءة بالغضب والتنديد تقول:

قرقع قرقع قرقيعان

أمّ قصيّر وِرميضان

عشاكم راسْ حْماره

مْقطّع في عُظارة

عشاكم راس جربوع

مقطع في زِبيلٍ مرقوع

يستمر الاحتفال والتجوال منذ الصباح وحتى الظهر ويتنافس الأطفال في جمع أكبر كمية من اللب والمكسرات. وكان بعض السكان يهدي قروشاً بدلاً من المكسرات والحلوى. ويشارك الكبار صغارهم فرحتهم، فيتذوقون معهم بعد الإفطار بعض ما جمعوه. وتعتبر تلك المناسبة موسماً جيداً لبائعي اللب والمكسرات والحلويات التي يكون معظمها من إنتاج المنطقة.

هـ - العادات في الأعياد:

كانت مناسبات الأعياد (ولا تزال إلى حد ما) من أهم المناسبات الاجتماعية، لما يسبقها ويصاحبها من نشاط روحي للكبار ومن تشوّق وترقّب من قبل الصغار. وقد كان عيد الفطر أوفر بهجة وفرحة، لكون الصائم قد استشعر الإنجاز الشخصي الذي وفقه الله إليه. كما كان عيد الفطر مناسبة للحصول على ملابس جديدة لأفراد الأسرة، خصوصاً الأطفال.

كان السكان يعبرون عن فرحتهم وابتهاجهم بقدوم الأعياد، بصور شتى، تتمثل في تهيئة الملابس الجديدة وتنظيف المنازل والأثاث. وكان على النساء أن يقمن في اليومين الأخيرين من رمضان بكنس المنازل والسطوح، وإزالة السخام من جدران المطبخ والمجلس بسعف النخيل، ورش الأرض بالماء، ونفض الحصر والبسط والزلّ وغسل ما يمكن غسله منها وإصلاح وترميم الفرش والوسائد والمخدات والدواشق والمساند والتكايات وشراء الجديد منها، ويبادرون بجلي دلال القهوة وإزالة السواد منها ومن الأباريق وحمس كميات كافية من البن وإعدادها خصيصاً لمناسبة العيد. كما يحرص السكان على شراء كمية من البخور، وخاصة العود وماء الورد وبعض العطور.

وفي ليلة العيد يذهب الرجال والشباب إلى ينابيع المياه المتدفقة للاستحمام على ضوء «الأتاريك» بينما تحرص النساء على إعداد الحنّاء وتخضيب أيديهن وأرجلهن بنقشاته البديعة. وتزدحم حوانيت المزينين والحلاقين في أوقات العصر ومساء اليوم السابق لأول أيام العيد بالرجال والشباب والأطفال الراغبين في حلق شعورهم وتحسين لحاهم. ويكثر عرض وشراء المواد الغذائية أيضاً في الأسواق، وخاصة الخبز الحساوي والكعك والفطائر وأنواع الحلوى المختلفة الألوان والأشكال وتمتلئ الأسواق بالناس فتزدهر التجارة وتزداد ليلاً على ضوء الفوانيس والأتاريك، ويدب النشاط في الأسواق في الأيام الخمسة السابقة ليوم العيد، ويصل ازدحام المشترين وحركة البيع الذروة ليلة العيد، وتبقى إنارة الأسواق بالفوانيس والأتاريك حتى الفجر تضفي أنساً وبهجة على المدينة والحياة العامة.

ويخرج الرجال مع أطفالهم صبيحة يوم العيد وقد ارتدوا أبهى حللهم الجديدة، إلى مسجد العيد الوحيد في المدينة، وبعد قضائهم صلاة العيد يقوم وجهاء المدينة وأعيانها بزيارة أمير المدينة وتهنئته

بالعيد. أما الأسر فتبادر إلى التجمع في منزل كبيرها سنّاً أو وجاهة)

ويتبادلون التهاني بالعيد ثم يتناولون القهوة العربية وطعام الإفطار سوية. وبعد ذلك ينطلق الناس لتهنئة بعضهم بعضاً، فتمتلئ الطرقات

بالأطفال تزينهم ملابسهم الجديدة وقد بدوا في أتم فرحة وسرور. فعلاوة على بهجتهم بالحلل الجديدة تزداد فرحتهم بحصولهم على

«العيدية» وهي في الغالب نقود وفي حالات أقل مكسرات وحلويات. ويستمر التزاور بين الأقارب وبين الجيران وبين الناس حتى حلول صلاة الظهر، حيث تحرص العائلات والأقارب والأصدقاء على تناول طعام الغداء سوياً ثم يخلدون لقليل من النوم، لا سيما وأن أفراد العائلة قد سهروا ليلة العيد مثلهم مثل الآخرين.

وكان من عادات السكان اللطيفة في مناسبات الأعياد أن يتركوا أبواب منازلهم الرئيسية مفتوحة، دليلاً على وجودهم وترحيبهم بالزائرين حتى وإن كانوا لا يعرفونهم شخصياً. وتعد الأعياد فرصاً مثالية لتصافي القلوب وإنهاء الخصومات والأحقاد ولتلاقي كل أفراد الحي تقريباً في جو احتفالي بهيج. ويجني «أبو طبيلة» (المسحراتي) في أعياد الفطر إكراميات ثمرة لقيامه بإيقاظ الصائمين خلال رمضان مرة لطبخ السحور ومرة لإيقاظ الجميع لتناوله طيلة ليالي شهر رمضان، مردداً عبارات تحث على النهوض مثل:

قم باالله يا صائم

قم وحّد الدايم

ويحتفي بوطبيلة في العيد على طريقته الخاصة، فيقوم بالطواف على منازل الحيّ مردداً أهازيج خاصة.

ويكافؤه سكان الحي بعيدية مناسبة تكون في الغالب إما نقوداً أو أرزاً أو دقيقاً يحملها في أكياس على حماره أو على عربة «القاري».

ومن العادات الحسنة المتبعة في مناسبات الأعياد في منطقة الأحساء تقسيم زيارات العيد حسب الأحياء الرئيسية في المدينة، خاصة الكوت والرفعة والنعاثل والصالحية، في مدينة الهفوف وكذلك في مدينة المبرز، التي تتبادل الزيارات أيضاً بينها وبين مدينة الهفوف. فيقوم سكان كل حي في يوم مخصص من أيام العيد بزيارة أهل الحي الآخر، على أن يقوم أهل الحي المزار بردّ الزيارة في اليوم التالي. فقد جرى العرف على أن يقوم سكان جميع أحياء الأحساء بزيارة أهل حي الكوت في اليوم الثاني من أيام العيد. وفي اليوم التالي يردّ سكان الكوت زيارة الأحياء التي زارهم. ويخصص اليوم الرابع لزيارة سكان مدينة المبرز.[١]

وعادة ما تكون الزيارات محصورة في فترة الصباح وحتى حلول صلاة الظهر. أما فترة ما بعد العصر فتخصص للاحتفالات والعرضات الشعبية في الساحات وللنزهات.

وكانت عرضات الحرب والغوص والأعياد والمناسبات الخاصة من أهم معالم تعبير السكان عن فرحتهم وابتهاجهم. كما كان رقص الشباب «الزَّفِن»، في بعض المدن في حفلات الطرب الخاصة التي يستعمل فيها العود والطبل والطّار، عادة شائعة وكان لتأجير الحمير التي تنظف وتزيّن بالحناء والسرج والقلائد الجديدة المزركشة والبراشيم، في مناسبات الأعياد، سوق رائجة حيث يتفنن أصحابها في تزيينها، وذلك لجذب الشباب لاستئجارها للركوب والسباق بها لمسافات معيّنة نظير أجور معروفة. كما كان هناك أماكن خاصة لتأجير « السياكل» (الدراجات) للتسابق بها. وفي الوقت الحاضر شاعت عادة تأجير الخيل والعربات التي تجرها الخيل في الساحات العامة والمتنزهات.

١- يتزاور اهل المدن الأخرى كالعيون والقرى فيما بينهم كما يزور بعضهم الأمراء والأعيان والأصدقاء في المدن الرئيسية كما يقوم الفلاحون وهم الشركاء في النخيل بالعمل -المقيمين في القرى بزيارة شركائهم الملاّك في المدن (المؤلف).

ومن العادات المتبعة في مناسبات الأعياد والمناسبات الخاصة الحرص على تقديم البخور (العود) للضيوف قبل انصرافهم. وكان الاعتناء باختيار الأصناف الجيدة منه والمباهاة بها أمراً شائعاً. وكان من الطريف أن يحتفظ كبير الأسرة بكمية من العود في جيبه أو في بقشة خاصة يحملها في جيبه دائماً. أما النساء فيكرّمن بالبخور المصنع محلياً وكانت عادة تخضيب اليدين والرجلين بالحناء شائعة بين النساء في كل الأوقات. أما في المناسبات فيكون هناك نقش بديع على الكفين وسطح القدمين بالحناء أو السمر (الأسود). كما كان المسنون من الرجال والنساء يلجأون إلى صبغ شعورهم بالحناء لإخفاء الشيب[1].

و – ليلة الغرّوفة (النافلة):

من العادات القديمة الشائعة في مجتمع المنطقة، عادة الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج. وتسمى ليلتها بليلة الغرّوفة.

وفيها تجتمع الفتيات غير المتزوجات في بيت إحداهن ويكون التجمع مقصوراً على فتيات الأسرة الواحدة والجيران، وتحضر كل فتاة طبقاً من طعام أعدته خصيصاً لهذه المناسبة يكون من الأكلات الشعبية الرئيسية، وتتظاهر بأنه من إعدادها. وتعتبر هذه مناسبة جيدة للتعرف على الفتيات الجميلات ذات الأخلاق الطيبة حيث ينقل الفتيات إلى أسرهنّ وصفاً مفصلاً عن المشاركات في الحفلة.

ز– ليلة الحبوب:

كان من العادات القديمة ما يسمى ليلة الحبوب، التي يحتفل بها ليلة ٢١من محرم من كل عام. وهي خاصة بالعائلة داخل منزلها. وفيها يقوم رب الأسرة بشراء أنواع متعددة من اللحوم وكرش البقر والأغنام وطبخها مع الأرز الحساوي وأنواع الخضروات، وخاصة اللوبيا والباذنجان وغيرها. وتعتبر تلك الليلة من المناسبات

١ - المصدر السابق.

البهيجة، لخروجها عن روتين الطعام والعادات الاجتماعية السائدة الرتيبة.

ح- عادة الاستحمام في العيون:

كان من عادة سكان المنطقة الاستحمام خارج المنازل، وخاصة في العيون المتدفقة، لاسيما عند منابع العيون الكبيرة، التي هي أشبه ما تكون بالبحيرات الواسعة، يستحم ويمرح فيها الرجال والشباب والأطفال. أما النساء فقد خصصت لهن غرف مقفلة تجري الأنهار من تحتها عبر قنوات خاصة وتستأجرها العائلات باليوم. كما كان في عين « أم سبعة» الشهيرة، ذات المياه الحارة وفي عين» الحارة» المعروفة أيضاً في مدينة المبرز. كما كان السكان يؤمون أيضاً عين» أم الخيس»وعين « أم خريسان»، وكلها تتوفر بها حمامات خاصة للنساء. كذلك كان الحال في القطيف، حيث خصصت بعض العيون لاستحمام النساء، خاصة عين « القصاري» وعين «القصير»، وعين « أم الحمام».

وكان التجمع للاستحمام يوم الجمعة في أحواض العيون المتدفقة في المنطقة، يعد مناسبة اجتماعية مهمة، سواء للرجال أو النساء، من الطبقة الاجتماعية الفقيرة، حيث أنها تتيح فرصة لمن لاتسمح ظروفه الاقتصادية دعوة أصدقائه إلى منزله أو مقره في بستانه. وكان من المألوف رؤية مجموعات صغيرة من مرتادي العيون يتحادثون ويتناقشون في أمور العمل والأمور الاجتماعية، سواء قبل أو بعد الاستحمام. كما كان بعضهم يخرج في نزهات إلى ضفاف العيون يتخللها قيامهم بإعداد وجبات غذائية غنية. وكانت عين الحارة بالمبرز، تشتهر بكثرة مرتاديها في أيام الجمعة، حيث كانت هناك أماكن معزولة ومحجوبة لاستحمام النساء في الجهة الشرقية منها. كما كان البعض يفضلها لغسل ملابسه وحميره في الترع والجداول المائية المتدفقة منها بغزارة.

(ط)- الختمة: (الاحتفال بختم القرآن):

كانت عادة الاحتفال بختم القرآن وحفظه عن ظهر قلب للصبية الدارسين

في الكتاتيب المحلية، فرصة اجتماعية كبرى للابتهاج والفرح. فبعد التأكد من إجادة الصبي قراءة القرآن الكريم وحفظه بعد قراءته سبع مرات قراءة سليمة، وتسمى تلك العملية «التجريدة» يتم الاحتفال حيث يلبس جميع الدارسين في «المطوع» ملابسهم الجديدة ويتمنطقون بالسيوف والخناجر ويلبس القادرون منهم المشالح والعقل. ومن لايملك تلك الأشياء فإنه يحاول استعارتها من أقاربه ومعارفه. ويبدأ الموكب في التحرك من مدرسة «المطوع» يتقدمه خاتم القرآن ومعلمه (المطوع) ويطوفون على بيوت التجار الموسرين. وعند كل بيت يقومون بأداء رقصة العرضة وترديد التحميدة. وكان البعض يبالغ في حمل مباخر العود ومرشات العطور. ويحضر العرض والد خاتم القرآن ومعه شخص متخصص في حفظ وأداء الأناشيد والأهازيج الدينية، وخاصة التحميدة التي تردد طيلة طواف الموكب وأمام المنازل، لاسيما وأن خاتم القرآن وصحبه يتنقلون بين بيوت زملاء المحتفى به، حسب الدعوات الموجهة لهم مخترقين الأحياء والطرقات. والتحميدة سميت بذلك لأنها تبدأ بحمد الله. ومن أبياتها المشهورة في المنطقة:

الحمــد لله الذي هــدانــا   للدين والإسلام اجتبانا

سبحانه من خالق ســبحانا   بفضله علمنــا القرآنا

ي – ختمة القرآن:

يهتم كثير من الناس في الأحساء، خلال شهر رمضان المبارك، بتلاوة القرآن جهراً كاملاً، بنيّة الدعاء أن يكون ذلك في ميزان حسنات قريب متوفى، كأحد الوالدين أو قريب آخر. وعند إتمام الختمة، تقام مناسبة قراءة الدعاء من قبل الخاتم نفسه، في إحدى ليالي رمضان، بعد صلاة التراويح، يحضرها أفراد الأسرة ومن يدعى من الأقارب والجيران، وفي نهايتها تقدم بعض الأطعمة والفواكه والمشروبات الباردة، إضافة إلى القهوة والشاي.

ومن الطريف، أن بعض العائلات تكلف صبياً يدرس في «المطوع» أو في المدرسة، بقراءة الختمة وتلاوة دعائها في مترلهم، بحضور بعض الأقارب، ويقام نفس الاحتفاء والضيافة بذلك، ويكون الصبي نفسه هو موضع الحفاوة والتكريم بين أهل كبار وصبية آخرين، مما يدخل السرور والفخر على نفسه. إضافة إلى ما يحصل عليه من مكافأة نقدية.

ك – عودة الحجاج:

من العادات الجميلة في الأحساء، أنه قبيل وصول الحجاج ضواحي المدينة، يأتي من يبشر الناس بذلك، فيخرج الرجال والأولاد حين وصول أقاربهم من الحجاج، فيطمئنون على عودهم بالسلامة غانمين، ويتسارع الصبيان إلى البيوت ليبشروا أهلهم برؤيتهم لأقاربهم العائدين من الحج على ظهور الجمال.

ويقوم الأقارب بالتناوب بدعوة أقاربهم الحاجين لتناول المآدب الكبيرة مع بقية الأقارب والجيران، فيشارك الجميع في هذا الابتهاج بقضاء فريضة الحج سالمين،[1] ويجلب الحجاج عادة معهم «صوغة» الحج، المكونة من الحمّص و»الملبّس (حلويات) والخواتم و»المشاشل» (عقود معدنية) وماء زمزم (في حاويات معدنية) والمساويك وتْمر المدينة، فتتولى ربة البيت توزيع هذه الهدايا على الأطفال والأقارب والجيران، فيشعر الجميع بالفرحة، بهذه المناسبة السعيدة[2].

وكما يستقبل السكان الحجاج، كذلك يودعونهم فتخرج الجماعات مع الحجيج إلى خارج المدينة يساعدونهم في تحضير المؤن و»الزّهاب» اللازم للرحلة الطويلة التي تستغرق شهوراً على ظهور الإبل، وهم قلقون عليهم من السلب والنهب

١- المرجع السابق

٢- من المرجح أن الفرح بسلامة الحجاج العائدين ليس فقط هو نجاتهم من المخاطر الطبيعية للسفر في الصحارى المهلكة على الجمال، بل لنجاتهم من قطّاع الطرق في البادية الذين كثيراً ما يغيرون على قوافل الحجيج فيسلبونهم كل شيء وقد يقتلون من يقاوم- لمزيد من المعلومات حول ذلك يرجع إلى كتاب « الأمن الداخلي في الأحساء والقطيف وقطر أثناء الحكم العثماني الثاني . د. عبد الله بن ناصر السبيعي.

وأحياناً من الاعتداء على حياهم من قبل قطّاع الطرق قبل انضواء البلاد تحت الحكم السعودي، واستتباب الأمن في جميع البلاد، لذلك تعتبر عودة الحجاج سالمين من الأمور المفرحة إلى حد كبير.

ل – أعراف أخرى:

ومن الأعراف القديمة، خاصة في واحة الأحساء كون التدخين في الشارع والأسواق أمراً ممقوتاً، وأن مزاولة مهنة الحلاقة والحجامة والختان أمر غير محبب امتهانه. أما حمل اللحم والبيض والدجاج في الطرقات فهو أمر لا يليق. وإذا اشترى أحدهم دجاجة أو لحماً، فإنه يخفي ما يحمله تحت عباءته، أو ثوبه، إذ كان شائعاً أن يخرج يده من كم الثوب ويمسك باللحم أو الدجاج من تحت الثوب، ولعل تبرير ذلك هو المحافظة على المظهر واللياقة، أو خشية الإصابة بالعين أو الحسد (النظلة).

ومن العادات الاجتماعية المتبعة أن يصاحب الرجال نساءهم أثناء ذهاهن لزيارة الأقارب، وأن تكون زيارات النساء مساءً. وكان من المعيب أن تسير المرأة أمام الرجل المرافق لها أو بجانبه، ويعاب على المرأة أن تأكل مع زوجها وأولادها الكبار، أما الأطفال الذكور فبإمكاهم الأكل مع أمهاقم، لكن البنات إذا كبرن، فلا يأكلن إلا مع الأم وبقيّة النساء في المترل.

كما كان من العادات الثابتة ما يسمّى بـ «تمهيد» المولود. وهو عبارة عن لفه، من مستوى الأكتاف في لفائف من القماش القطني الأبيض الناعم، مع جمع يديه بإحكام، على صدره ولف رباط خاص منسوج من الصوف الناعم الملون يسمى «القماط»، مع ترك منطقة المؤخرة مفتوحة، بحيث يوضع تحتها لفائف محشوة بالقطن أو الخرق أو الرماد، لتجفيف بول الطفل وإخراجه. ويوضع في نطع مستدير من الجلد المنعم المصقول، ثم يوضع في «المترّ»، وهو سرير الوليد المصنوع بإتقان من أعواد الجريد الناعم، وهو مرتفع عن الأرض بـ ٤٠ سم وله تقويس كبير من الجريد

العريض فوقه بحيث يحمل الغشاء القطني الرقيق الأبيض الذي يغطى به الطفل ليقيه من « النامس» والذباب. ويتوقف على هذه الطريقة في الحفظ التي تتبع لحفظ هدوء الطفل ويديه من «خطف» عينه، أو مص أصابعه، بعد عِدة أشهر.

وفي مجتمع المنطقة الشرقية عموماً لعب المسجد دوراً اجتماعياً مهماً. فقد كان ملتقى سكان «الفريج». ففيه يتفقدون بعضهم البعض. فإذا افتقدوا أحداً منهم سألوا عنه. فإذا كان مريضاً أو محتاجاً ساعدوه. وإن كان مسافراً اهتموا بشؤون عائلته حتى عودته. وهم يتعازمون ويتواعدون، ويتعرفون على حالة المحتاج منهم فيه. ومن المعتاد طوال شهر رمضان أن يرسل الإمام وبعض الجيران المقتدرين أطباق إفطار يومية، قبيل المغرب، تشمل تمراً (أو رطباً في الصيف) وشورباء ولقيمات وثريداً، ليفطر عليها المؤذن وبعض المحتاجين من أهل «الفريج» وبعض العابرين، وغالباً ما يحضر معهم، من باب المشاركة الإمام وأولاده الذين كلفوا بإحضار الأطعمة. وتتوفّر على الدوام في المسجد «مصاخن» أو «حبوب» الماء، المبردة داخل الرواق، لتأمين ماء الشرب للمصلين وعابري الطريق.

ومن المعتاد أن تجلس بعض النساء المريضات ملتفات في عباءاتهنّ وخمرهن،عند باب المسجد وقت صلاة المغرب حتى إذا ما خرج الإمام الذي يكون معروفاً بقراءته القرآن على المرضى، قرأ بعض الآيات والأدعية عليهن ونفخ على رؤوسهن أو أطفالهن المرضى، داعياً لهم بالشفاء من الله سبحانه. كذلك يقف بعض الأطفال بعد صلاة المغرب بكأس به بعض الماء، حتى إذا ما خرج المصلون والإمام من المسجد نفخوا في الكأس مع طلب الشفاء للمريضى فيُسقى هذا الماء للمريض، طلباً للشفاء من الله سبحانه وقد يجتمع بعض طلاب العلم وبعض الأولاد الشباب من جيران المسجد من زملاء المدرسة في المسجد يذاكرون دروسهم أويقرأون القرآن فيما بين أوقات الصلاة.

وينام بعض المصلين بعد انتهاء الصلاة، في أوقات النهار في خلوة المسجد، طلباً

للراحة والهدوء، اللذين قد يفتقدونهما في بيوتهم.

وفي العادة يكون بجوار كل مسجد بيت للإمام وبيت للمؤذن. وبستان وميضأة (بلابيل) بها عين ماء، ونخل، وكلها أوقاف على المسجد. والبستان يروى من تصريف مياه الميضأة إليه ويحوي بعض النخيل التي يعتني بها ويستفيد من ثمارها المؤذن وعائلته، وهويجلب في وقت «بشرة» (أول) الرطب، بعضاً منه إلى منزل الإمام، وقد يتصدق ببعض الرطب والتمر منها. كما أن من النخل من تمر أو أرز من «ضاحية» عيش كمية سنوية محددة لإمام المسجد وللمؤذن. يصلى أيضاً على الجنازة صلاة الميت في المسجد. ويحرص جميع سكان فريج المسجد من الرجال والأولاد على صلاة الجنازة. ويحتفظ بالنعوش في غرفة جانبية خاصة في المسجد. فأثناء غسل الميت في منزله أوفي ميضأة المسجد أو في غرفة الغسيل في المقبرة، يحضر النعش ويوضع فيه، فإن كان رجلاً، يكتفى بتغطيته بالألحفة والأغطية المناسبة، أما إذا كانت امرأة فيضع المغسلون أو المختصون بالدفن، للنعش قبة عالية من سعف النخل الأخضر، على طول النعش، ثم تغطى بالأغطية المناسبة وتربط بالخوص الأخضر بحيث تضم الجثمان بداخلها. ولا يفتحها أثناء الدفن إلا الرجال المحارم عليها.

ومن الأعراف الأخرى جلوس الرجال من أهل «الفريج» الواحد، عند زوايا المنازل المطلة على الطرقات الرئيسية، وكان الجلوس في « العاير «(أو المشراق)، خاصة في فصل الشتاء، يطيب للسكان، لاسيما كبار السن والأطفال يلعبون حولهم. وفي «العواير» تحلو السواليف ورواية القصص ومعرفة أخبار الحي وتبادل الذكريات والمعلومات.

ومن العادات الحميدة المعتادة آنذالك قيام المقيمين (في المدن والقرى) برعاية أسر المسافرين لفترة طويلة. إذ يشعر كل مقيم بأنه مسؤول أدبياً عن أسرة جاره أو أخيه المسافر. ويتوجب عليه، أن يقوم، وفي أدب جم، بتحسس أحوالهم وجلب ما قد يحتاجون إليه. كما كان كل ساكن من الحي يعتبر نفسه بمثابة حارس يقظ لحيّه. حيث

كان لايمكن أن يسهل للغريب دخول الحي دون معرفة سبب ذلك.

وكانت إحدى سمات مجتمع المنطقة تجانس أفراده. حيث أن قدوم الأجانب والاختلاط بهم كان أمراً نادراً، مما قلل من فرص الزواج والتصاهر مع الأجانب. ولو حدث أن تزوج أحد أفراد المجتمع من امرأة أجنبية، لأصبح حديث مجالس الحي لفترة طويلة. وكانت ظاهرة زواج الرجل بأكثر من امرأة واحدة منتشرة، فتجد البيت يحوي اثنتين أو ثلاث ضرات بأولادهم وبناقم وبأعمار متفاوتة. وإذا ما كبر الأبناء وأنجبوا، سميت بنت الأخ لابن أخيه وابنة العمة لابن خالها، وبنت الخالة لولد خالتها، وهكذا، منذ الصغر حتى إذا ما بلغوا سن الزواج زوجهم أهلهم مبكراً.

ومما كان سائداً الزعم بظهور الجن للعيان، وكان بعض السكان يدَّعُون أهم شاهدوهم على هيئات وأشكال منها الحيوانات، خاصة في الطرق المظلمة ليلاً، وفي المقابر أو في الصحراء. ورووا قصصاً وحكايات خرافية عنها. وكان شائعاً بينهم الاعتقاد بأن الجن تخاف من الذئب. ونتيجة لذلك عمد بعضهم إلى عمل «تعويذة» (جامعة) وتغليفها بقطعة من جلد الذئب وربطها حول ذراعه، أو حول رقبته. وكان هناك اعتقاد بأن بعض الأماكن «مسكونة»، كالأماكن المهجورة وبعض الخرائب. ويطلق الناس على الجن اسم «سِكن»، أو أهل الأرض، وإذا جاء ذكر شيء من ذلك. قال الحاضرون «اللهم جاورنا وجاورهم بالإحسان». وكان الكثيرون، وخاصة النساء، وقت المغرب، يتفادين أن يغضبن أو تصدر منهن حركة عنيفة أو يرمين بشيء في حدة على الأرض خشية الإضرار « بأهل الأرض»، الذين قد ينتقمون بالدخول في جسم الفاعل، كما كنّ يتحاشين طرد أو نهر قط أسود، للاعتقاد بأنه «سِكْنّ» متلبس.

يتم ترتيب قراءات متكررة من أحد المشايخ المعروفين بقراءة القرآن على المرضى، بقصد طلب الشفاء من الله سبحانه. ويكتب الشيخ بماء الزعفران والريشة من القصب، آيات قرآنية في صحون بيضاء صغيرة من نوع الصب أو الخزف الصيني،

حيث يأخذها المريض إلى مترله ويصب عليها الماء تباعاً، على فترات، فتذوب، فيشربها بطلب الشفاء من الله تعالى، ويكتب الشيخ «جامعة» أو تعويذة. أو حرزاً، وهو عبارة عن ورقة صغيرة مكتوب عليها بعض الأدعية المأثورة، تؤخذ إلى الخراز الذي يصنع لها غلافاً من الجلد، ويعلقها المصاب في رقبته أو يربطها في عضده.

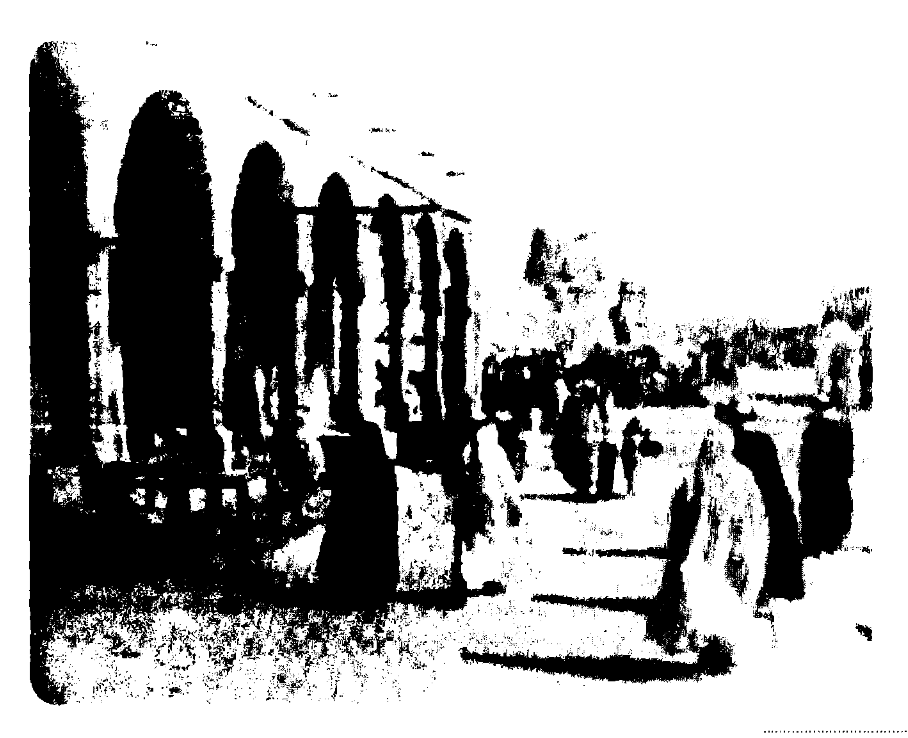
يطلب بعض الناس، وخاصة الأمهات، عمل الحرز لأطفالهن الصغار، خوفاً عليهم من العين أو «النظلة» وتكافح الإصابة بالعين عادة بأن تقوم إحدى النساء من قريبات المصاب بـــ «خم» الأثر أي جمع آثار أقدام من يعتقد أنه أصاب بالعين من أمام باب مترله، وإذا لم يكن هناك شخص محدد بعينه، يتم جمع حفنات من التراب من أمام عدد من بيوت الجوار، ممن يعتقد أهل المصاب، أنهم يشملون الشخص «الناظل» المحتمل، ويتم إحماء التراب المجموع في مقلاة ويصب عليه الماء، فينتج عن ذلك دخان حار كثيف، يبخر به الشخص المصاب بالعين، ويعتقد

أن هذه العادة لا تقتصر على منطقة الأحساء فقط، بل هي موجودة في كثير من المناطق الأخرى وفي البادية.

كما كانت هناك حالات الزار وحفلاته، وهي مقتصرة على فئات قليلة ومحدودة جداً من السكان. ولا تلاقي قبولاً واستحساناً من معظم الناس، على اختلاف طبقاتهم وتعليمهم. وكان المصاب بالزار في حفلات الزار التي تضرب فيها «الطيران» (الدفوف)، في بعض الأعراف، « يستترل» أي يترل الجن الذين فيه، فيقوم بحركات راقصة هيسترية هائجة غريبة، بادعاء أنها تتم بمعاونة الجن وكان سرد الحكايات الأسطورية والقصص الخرافية منتشراً بين السكان، بشكل كبير، مما أوجد فرصاً مواتية للمشعوذين والدجالين في تلك الفترة الذين ادّعوا القدرة على معالجة تلك الأمراض والشفاء منها.

كما راج بين السكان عادة النذر والإكثار منه، لاسيما في حالة مرض أحد

أفراد العائلة أو الأقرباء، أو الرغبة في أن تتحقق أمنية معينة. وكان الناذر يتم نذره في حالة تحقق ما يوجب قيامه بذلك، وبعضهم يُقيم وليمة بهذه المناسبة. وكانت الأمهات في الأحساء، يلجأن إلى تخويف أطفالهن في حالة عدم رضوخهم لأوامرهن بعدم الخروج من البيت بعد غروب الشمس، بأنهم سيصادفون «أم السعف والليف» و»البحوّة» و»أمّ المحامل» و»تشلبة (كلبة) القايلة «، وغير ذلك وهي مسميات بعضها مبتكرة وذات دلالة فعلية، فأم السعف والليف، هي في الواقع:النخلة وأم المحامل، هي الناقة، وكلبة القايلة، هي الشمس. وأمّا البوبح أو البحوة فهي كائنات خرافية، ولعل ذلك له الأثر السلبي على نفوس الأطفال الذين كبروا وكبر معهم الخوف الذي زرع في عقولهم ومشاعرهم منذ الصغر حتى بعد أن اكتشفوا وهميته.



العلاقات الاجتماعية في الأحساء:

(أ)_العلاقات الأسرية:

تمتاز المجتمعات الحضرية المستقرة، ومنها مجتمع الأحساء، بقوة التلاحم بين أفراد العائلة الواحدة وبين أفرادها وأفراد الأسرة الكبيرة الشاملة، التي تضم الأعمام والعمات والأخوال والخالات والجدات وأبناءهم وأحفادهم. وثمة أسر تتكون من عشرات البيوت، وأسر يبلغ أفرادها المئات.

وفي العائلات تكون السيادة الكاملة في المترل للأب أو الجد ومن بعدهم أكبر الأبناء، بحيث لايخرج عن طاعتهم أحد من العائلة، وللأم والجدة احترامهن الكبير من الأبناء والبنات والأحفاد. وتحنو الأمهات والجدات على الأبناء والبنات إزاء شدة الأب أو خشونته أو أحياناً قسوته.

ويدخل العامل الاقتصادي مؤثراً في مكانة الأب، فمثلما تزداد مكانته وهيبته الاجتماعية، كلما كان ذا غنى وصاحب أملاك أوتجارة أو مركز أو مكانة دينية أو غيرذلك، كذلك تترسخ مكانة وهيبة وقوة كلمته في عائلته وفي أسرته الكبيرة. لكن، بالتالي، تترتب عليه واجبات أكبر فيما يتعلق باهتمامه بأحوال أقاربه وجيرانه المحتاجين وممن يعملون في خدمته أو خدمة عائلته، كما يكون عليه تمثيل الأسرة أمام المجتمع والسلطان. وقد يكون في الأسرة الواحدة عدة أشخاص من ذوي الغنى والمكانة. وكما في مجتمعات عربية أخرى، تتخذ العلاقة بين الأم وزوجة ابنها، كما بين زوجات الرجل الواحد (الضرات) اللائي يعشن في نفس المترل، نمطاً متوتراً غير

مستقر ويعانين هن أنفسهن كما الزوج والأطفال من الآثار السلبية المترتبة على ذلك.

ومنذ الطفولة، وبطبيعة الحال، وكما في سائر المجتمعات الشرقية، تفضل العائلة أن ترزق بولد، لا بنت. وإذا بُشر الأب بمولود ذكر، فإنه يعطي «البشارة» لمن بشره بها. وحين تمرض الأم الوالد أو يجف ثديها أو تموت من تعسر الوضع، يدار بالوليد على سيدات الأسرة أو الجوار أو الحي ممن يرضعن مواليدهن ليرضعنه. وبذلك تصبح مرضعته، بتكرار رضاعته لعدة مرات (محددة في الشرع) أمه من الرضاعة، وأبناؤها أخوته في الرضاعة، وهذه الظاهرة كثيرة ومنتشرة حتى عهد قريب. وقد ساهم ذلك في انتشار العلاقات الحميمة بين الكثير من الناس. لكن، نظراً لعدم توفر الإرضاع الكافي والمنتظم في هذه الحالات، يصاب كثير منهم أو ينشأون نحفاء ضعفاء ذوي قابلية كبيرة للأمراض والعلل المزمنة، خاصة إذا كانوا من أسر ضعيفة الحال. وفي حالات فقد الأم، يعهد، في الغالب، بالوليد إلى سيدة تتولى تربيته، تسمى « الداية» مقابل أجر معلوم، يكون نقداً أو عيناً في شكل تمور أوحبوب أو مواد غذائية، وتصبح هذه الداية بمثابة الأم للطفل الذي يكبر في أحضانها وينشأ مع أطفالها الذين يصبحون بمثابة أخوته. وهذا أيضاً نوع آخر من علاقات الرحم ويحرص الرجل أوالمرأة المكفولة طوال عمرهم على البر والوفاء لمربيتهم هذه وعلى صلة الرحم لمن يعتبرونهم أخوتهم من أبنائها. وقد عرف مجتمع المنطقة الشرقية الحضري الرضاعة الصناعية من الحليب المسحوق المستورد والرضاعات الزجاجية، منذ ما قبل الخمسينات الميلادية، وكانت تلك الرضاعات تسمى في الأحساء»ديد اليتيم».

ويكتسب الطفل مدركاته ومعلوماته وتصوراته ومرئياته وخبراته وتعرفه الأول النامي على الحياة والوجود من حضن الأم وتعامل الأب والإخوة وباقي أفراد العائلة والأقارب والناس ومن الثقافة المحلية والحياة اليومية من معيشة وعبادة وتعاملات وعلاقات، كما من البيئة وعناصرها وآثارها ومن المشاهدات العامة المتوسعة بازدياد. وحين يبلغ الطفل السابعة، تبدأ تأكيدات أبويه وأهله على قيامه بفروض الصلاة،

متوضئاً في أوقاها ويبدأ بعض الآباء باصطحاب أولادهم حتى قبل بلوغهم السابعة إلى المسجد من أجل غرس قيمة هذه الشعرة في إحساسهم الصغير. وحينئذ، يدخل الأولاد «المطوع» (الكتاب)، لحفظ القرآن الكريم وتعلّم القراءة والكتابة (وعند البعض مبادىء الحساب)، لكن أولاد الكثيرين يحرمون من ذلك، إذاكان آباؤهم من المزارعين أو حتى إذا كانوا لا يملكون ما يدفعونه للمطوع.

وهكذا تبدأ معلومات وخبرات الولد تتوسع أكثر وشعوره الديني يترسخ وينمو بما يجد في القرآن الكريم من الإيمان والنبوّة والرسالات والمعجزات ومن آيات الله وخطابه لعباده، ومن القصص التي رواها القرآن الكريم عن الرسل والأقوام والملوك والأمم السابقة. أما الفتاة، فبحكم التقاليد الشديدة المحافظة، فهي تمنع من الخروج من البيت منذ بلوغها السابعة، وكبداية محددة مقررة لذلك، تقوم الأم بفت بعرة يابسة على رأس الطفلة، إيذاناً ببدء تحريم الخروج عليها. ومنذ ذلك الحين تعتبر»مفتاة»، أي أنها اعتبرت فتاة. فتنشأ وتكبر في محيط جدران البيت والعمل المنزلي اليومي الرتيب المتعدد الوجوه والثقيل، ويكبر معها الجهل والأميّة والسلبية والقلق وأنواع العصابات النفسية. وهي تُعلّم أعمال الطبخ وخدمات المنزل والزوج والأولاد منذ الصغر، وما إن تبلغ الثالثة عشرة حتى تزوج بدون علم مسبق أو استشارة منها، وفي حالات كثيرة تكون محجوزة لابن عمها أو ابن خالة لها، وفي حالات، ربما تزوج وهي أصغر من ذلك.

ويعوّد الأهل أبناءهم على حب واحترام أجدادهم وجداتهم وأقاربهم الكبار ويحرص الناس على ترك أبوابهم مفتوحة طيلة النهار، لاستقبال الأهل والأقارب طيلة الأوقات. كما أن الزيارات النسائية بين الجيران، هي عادة شبه يومية. أما الجيران الملاصقون فإن الاتصال بين النساء والبنات منهم يكون على مدى طيلة النهار وأول الليل.

ويحرص الآباء على اصطحاب أولادهم الصغار في زياراتهم العارضة والمنتظمة

وفي المناسبات لأقاربهم وكبار أسرهم من رجال وسيدات. وهناك تقليد عام للزيارات بعد صلاة الجمعة، حيث ينتشر الناس في حركة تزاور عامة كثيفة، تتخذ شكل الأعياد المصغرة، بين أفراد الأسرة وبين الأسر والأقارب والجيران والأصحاب والمعارف. كما يفتح أعيان الحي ووجهاؤه والعلماء والمشايخ وطلاب العلم أبوابهم ومجالسهم لهذه الزيارات وغيرها على مدار السنة بصورة دائمة وثابتة. وكانت بعض البيوت توجد لديهن عبدات، قبل إلغاء نظام الرق، حديثاً.

ومن هذه البيوت من يخصص بعضهن لخدمة الضيوف في مجالسهم المفتوحة بصورة دائمة لذبح الذبائح وطبخ الطعام لواجبات الضيافة، وثمة أشخاص مكلفون بعمل القهوة وتقديم الرطب أو التمر والفواكه واللبن إلى الضيوف والزوار. ولا يقتصر فتح المجالس على البيوت، بل هناك من يفتح مجالسه في النخيل للضيوف والزوار يومياً وعلى مدار السنة، مع توفير أعداد من الخراف للذبح والتقديم بصورة دائمة للزوار والأغراب والعابرين والمدعوين، وكانت هذه عادة معروفة من بعض الوجهاء ممن لهم نخيلهم ومجالسهم الواقعة على طريق الهفوف – العقير حيث حركة المسافرين المستمرة ذهاباً وإياباً.

ويدعو الناس الضيوف ب» الخِطّار». وعدا زيارات الجمعة والأعياد والدعوات والمناسبات، يشمل التواصل بين الأرحام والأهل والأقارب زيارات التهاني بالأعراس والمواليد والخروج من النفاس وبالسفر والحج والعودة منهما وعيادة المريض والشفاء من المرض وبناء أو شراء مترل جديد أونخل والانتقال إلى مترل آخر وختم القرآن وشراء بقرة والحصول على عمل والمواساة في الحوادث، حيث يقال لمن حدث لهم مكروه «خطاكم السوء» وغير ذلك من التواصلات الدائمة. كما تشمل الزيارات التعازي في الوفاة وإرسال وجبة غداء أو عشاء إلى بيت العزاء من الأقارب والجيران وتكون في العادة ذبيحة أو أكثر، موزعة على صحون كبيرة من الأرز. ويقضي الأقارب عدة أيام في بيت عزاء قريبهم مشاركة لأهلهم في الحزن ودعماً للمواساة.

وهناك تبادل إهداء الطعام والمأكولات والطبخات الخاصة الشائع بين بيوت الأقارب والجيران المتلاصقين، وتوزيع «صوغات» وهدايا العودة من الأسفار ومن الحج

ب-العلاقا ت الاجتماعية:

ينشأ من التلاحم الأسري تلاحم اجتماعي، أيضاً، بين الأسر والجيران والأصدقاء، والأصحاب والمعارف وأفراد الشلل والزملاء وفرقاء ومجموعات العمل، ومن تربطهم ببعض علاقة أعمال وخدمات، وعدا زيارات الجمعة والأعياد والمناسبات والحوادث والعزاء هناك الدعوات في جميع المناسبات السارة والدعوات المتبادلة و»الداريّات»، وهي الاجتماعات الدورية في منزل كل من أفراد شلة أومجموعة أصدقاء وبالتناوب. وهناك «السباعيّات» الليليّة التي تدور على مدار ليالي الأسبوع بالتناوب لدى أفراد الشلة، ودعوات ضيوف الأصدقاء وأعضاء الشلة من قبل بقية الأعضاء، وهناك» ثلوثية» مجموعات العلماء والمشايخ والأدباء التي غالباً ما تعقد في بساتين النخيل وحول عيون المياه والأنهار.

كما أن معظم الدعوات والمناسبات الخاصة تُقضى في النخيل وبين المياه وتتخذ شكل نزهات تقدم فيها الولائم والطبخات الشعبية الغنية وتخرج بذلك عن نمطية الحياة اليومية والطعام المعتاد في البيوت.

ويشمل التواصل الاجتماعي الصدقات والعطايا والهدايا والهبات، وخاصة للمحتاجين ولمن يعملون في خدمة المعطي من مزارعين أو خدم أو خادمات أو لمن يعملون في خدمة المساجد والأربطة. وتتخذ شكل نقود أو تمر أو فواكه أو حبوب أو ملابس أو أشياء عينية أخرى، كما تشمل الهدايا «صوغات» العودة من الأسفار ومن الحج.

ومن المعتاد أن يدور الفقراء من طالبي الطعام، يطرقون أبواب الحي وقت العشاء، مرددين عبارة « من مال الله» فتبادر ربة البيت بأخذ قسم صغير من طعام

العشاء، الذي قد يكون هو ذاته قليلاً على آكليه وإعطائه لطالبه الذي يفرغه في ماعون لديه داعياً لها بالخير والبركة ويسمى هذا العطاء»سْدادة السايل».

وتكثر الدعوات في المناسبات الخاصة بين النساء المتزوجات من الجيران والصديقات ويكون وقتها في الغالب عصراً أو مساءً وقد يبلغ العدد ثلاثين سيدة أو أكثر وقد يصحبهن أطفالهن. وتسمى مجالس النساء هذه «مواجب» ومفردها «موجب» وقد يقدم فيها بعض الفواكه إضافة إلى الرطب أو التمر أو القهوة أو الحليب المغلي بالهيل والزعفران وتختتم بالبخور الكثيف العابق.

وهناك نساء كثيرات، ممن تجاوزن عادة، وسط العمر يقدمن خدمات لبعض الأسر الأكثر يسراً، كغسل الأواني والملابس والفرشات ودق الحبوب وتنقية وخزن التمور والمساعدة في مناسبات الأعراس والأعياد والولادة والمآتم والمواسم، وبيع بعض الأشياء الزائدة عن حاجة البيت، كالتمور والحبوب والزبدة والقشدة والملابس، مقابل أجور تكون عادة من محاصيل التمور والحبوب في مواسمها وبعض زوائد الطعام والملابس وبعض الهدايا في الأعياد والمناسبات. وفيما بين المزارعين يسود التعاون، حيث تتطلب بعض الأعمال مجموعات أو عِدة أفراد لإنجازها دون مقابل، بل أن بعضهم يحضر معه ما يستطيع من الطعام مساهمة. وعندما يتوفى أحد من أهل الحي، يخرج جميع الرجال والأولاد الكبار من أسرته وأقاربهم وأرحامهم والجيران وأهل الحي قاطبة لتشييع جنازته، بعد الصلاة عليه في المسجد. وتحتشد المقبرة بجموع المشاركين الذين ما إن يوارى الجثمان الثرى، حتى يقبلوا على ذوي المتوفى، يقدمون لهم واجب العزاء والمواساة. يفتح منزل المتوفى، أو منزل أحد أقاربه أو جيرانه إذا كان أكبر أو أوسع. لإقامة العزاء لثلاثة أيام متوالية، ويغص بوفود المعزّين والمعزّيات. وتتوالى وجبات الغداء والعشاء التي تعد لأعداد كبيرة من أهل المتوفى والمعزّين من بيوت الأقارب والجيران، وعادة تتكون من ذبيحة أو أكثر موزعة على صحون كبيرة من الأرز، المعتنى بطهيه بصورة صحية.

وتقوم على طهي الطعام في الكثير من المناسبات، كالأعراس والدعوات الكبيرة والمآتم، حيث تذبح الخراف والأبقار، مجموعات صغيرة من الرجال المختصين والمعروفين بذلك. والذين يستدعون لمثل هذه المهمات والذين يجيد معظمهم نحر الذبائح وتجهيزها للطبخ، وهم في الغالب يكونون من أسرة واحدة.

ومن السمات الأصيلة في مجتمع المنطقة العطف على الأيتام وكفالتهم ورعايتهم واعتبار كافلهم لهم وكأنهم من أبنائه، كذلك يسود العطف على الفقراء والمرضى المحتاجين، وتقديم المساعدة الممكنة لهم، وفي حالات قليلة يعثر على وليد ملفوف في قماشة وموضوع بعناية عند عتبة باب المسجد عند صلاة الفجر، لابد أن يكون ثمرة علاقة تلحق العار بوالدته وأهلها، وليس هناك مجتمع يخلو من هذه الأخطاء. وفي حالات نادرة إذا حدث علاقة غير مشروعة بين شاب وفتاة، فإنه يلزم بالزواج منها، منعاً للعار، الذي يلحق بالفتاة وأهلها.

ولا يعدم من بين المصلين الخارجين من المسجد من يأخذ الوليد المتروك، إلى منزله فيتبناه هو وزوجته ليصبح واحداً من أبنائهم، ويلقى نفس المعاملة من العطف والرعاية.

• الآداب العامة:

من أهم مظاهر الآداب العامة في جميع المنطقة وحسب النمط القياسي العام ما يلي:

*ستر عورة الأطفال، حتى قبل أن يدركوا وعدم السماح بانكشافها، واعتبار ذلك من المحظورات، وخاصة بالنسبة للبنات. وإذا حدث أن لم تكن جلسة الطفل أو الولد معتدلة وثوبه ساتراً، سهواً، ينبه إلى ذلك بعبارة تحمل معنى مجازياً، وهو أن يقال له «يافلان: في حشمك عود»، فينتبه ويبادر إلى إضفاء ثوبه. وتؤثر حالة العائلة المالية في قدرتها على شراء ملابس داخلية لأطفالها، كان هناك القليل ممن يقدر على ذلك.

ومنذ أن تحجب الطفلة عندما تبلغ السابعة عن الخروج من البيت وحتى نهاية عمرها، يحرم أن يراها غير محارمها وبعد زواجها لا تنتقل أو تسافر أو تحج إلا مع محرم. وللحج على ظهور الإبل، تخصص الهوادج للنساء. وفي جنازة المرأة يصنع على نعشها قبة من سعف النخل من أجل إخفاء الجسد عن النظر. وتلبس الفتاة والمرأة البالغة وحتى المسنة في داخل منزلها الملابس الطويلة والضافية ذات الياقة المزررة حتى الرقبة والأكمام الطويلة، والملفع الذي يغطي جميع الشعر. وعند الخروج تلبس عباءة سميكة ضافية من أعلى الرأس حتى أسفل القدمين وغطاء الوجه السميك، الذي لا تكاد ترى طريقها من خلاله.

ويحرص البالغ والرجل على الاحتشام أيضاً، في اللبس. وفي داخل المنزل يرتدي الرجل إما الثوب أو الإزار مع المقطع الذي يشبه القميص والطاقية غالباً وعند الخروج الثوب والغترة وبالنسبة للغالبية فإن المشلح يعتبر ضرورة مكملة.

. حشمة الرجل: يحافظ الرجل على الاحتشام في لباسه داخل المنزل بارتداء ثوب أو الإزار مع «المقصّر»، ويستر رأسه بالطاقية في كل الأحوال، ويمكن للبعض أن يخرج قريباً من البيت بالثوب والطاقية، ويعد المظهر الكامل بما فيه المشلح أمراً ضرورياً للخروج أمام الناس. وفي المناسبات ناهيك عن الأعياد، وفي صلاة الجمعة،يرتدي الرجال أفضل ملابسهم وأحذيتهم، ويتناسب اكتمال الهندام وجودة عناصره طردياً، مع الوجاهة والمكانة والمستوى الاقتصادي للشخص،على أنه وحتى في المستويات المعيشية المتدنية، مع ثوب بال متسخ، يصر البعض على ارتداء مشلح فوقه مهما كان قديماً ومتآكلاً وقد يكون ورثه من والده. ويجلس بعض الرجال وخاصة من كبار السن في «العاير»(المشراق) كما يتجمع أولاد وشباب في البرايح للعب، لكن الجميع يتحاشون النظر إلى النساء المارات، ويحافظون على الآداب العامة.

– حشمة المرأة: أكثر من يخرج من النساء في الطرقات والأسواق هن من الطبقات الفقيرة العاملة ومن كبيرات السن اللائي يقدمن خدمات منزلية لبعض

البيوت، ويترددن على الأسواق لبيع أو شراء. ترتدي هؤلاء كامل الملابس، سوداء وحتى «الدرّاعة»، وفوقها العباءة، التي قد تكون من الصوف الثقيل، أومن قماش أخف، بحيث لا يرى منهن سوى أرجلهن الحافية المتربة، ولا يعفي الفقر الشديد أحداً من الحشمة فلا يعدم وجود نساء مسكينات، أو حتى كفيفات يسرن متلففات في عباءات تالفات حائلات اللون مرقعة، وهناك محافظة صارمة على التستر في كل الأحوال، ومراعاة شديدة عامة على التعفّف وغض البصر في كل ظرف وفي كل مكان.

– التحيّة: تعتبر التحية الإسلامية، أمراً واجباً تتم مراعاته بين الناس سواء داخل البيوت أو خارجها، ويحرص الصغار على تحية الكبار. وبين الأسر والأقارب، يحافظ الأصغر سناً على تقبيل رأس أو «خشم» أو يد الأكبر سناً، وتحظى النساء الكبيرات بلياقات الاحترام والتبجيل من أقاربهن من رجال ونساء وأطفال. ويعلّم كثير من الآباء أولادهم على تقديم فروض الترحيب والتكريم لذوي المكانة والوجاهة، وخاصة من المشايخ وطلاب العلم والأئمة، فتجد الصغار يبادرون بالتحية والإقبال باهتمام وتقبيل رأس أو يد الرجل، ولدى العامة يقال « قوّة» كتحية ويُرد عليها بـ « الله يقوّيك». ويخدم الصغار الكبار حيثما تدعو الحاجة حيث يصبون لهم القهوة، ويقدمون الضيافة للضيف ويصبون الماء على أيدي أهلهم من الرجال والضيوف بعد تناول الطعام، ويسعون في قضاء حاجة أهلهم وأقاربهم وجيرانهم. وإذا مر أحد بجماعة من العمال أوالمزارعين يعملون بادرهم بتحية، مثل «الله يقويهم « أو»الله يقويكم».

وإذا كانوا قريبين من بيته أو نخله، قد يبعث لهم بعض الطعام أو الشراب، ويحرص الشخص على بدء الآخر بالتحية في كل حالة، وإذا تجاوز شخص شخصاً آخر في الطريق يسلم عليه والراكب على الماشي، الواقف على الجالس وهكذا، ويعلم الوالدان أطفالهم بأن عليهم إذا ما نودوا أو وجه إليهم أمر أو نهوا عن شيء أن يجيبوا بنعم أوسمّ أو إن شاء الله،وإذا طلبوا من أحد أمراً أن يكون ذلك بأدب

وعبارات مهذبة مثل «ولا عليك كِلفة» أو»الله لا يهينك» وأن يشكروه بعبارات مثل «أحسنت» أو» الله يعافيك»، وإذا عطس أحد وحمد فليدعوا له بالرحمة، وأن يبدؤوا الكبير بالتحية، ومن التحية أن يقال للعائد من عمل «ما تعبت»أو»مساعدين» وللمريض «لابأس عليك»، وللمسافر «الله يردك بالسلامة»، ومن المعروف عبارات المناسبات مثل «حج مبرور» إلخ للحجاج و»مبارك في الأعياد، و»مباركين الشهر « لدخول رمضان، و»مبروك ما جاكم للولادة، و»مترل مبارك» المترل الجديد، و»منك المال ومنها العيال «للمعرس، و»يا حافظ عن التودد لأطفال الآخرين، أو «ما شاء الله «،و»اللهم صل على النبي «.وإذا أعطى أحد آخر شيئاً يقول «سم «أوتفضل»،فيرد هذا «الله يغنيك»، وفي المخاطبة يبدأ المتكلم بقول « الله يحييك»، وعند استقبال الضيوف يقول المضيف «حياكم الله هذي الساعة المباركة» ويحثهم على الأكل وتناول الطعام بصورة مستمرة، وعند انصرافهم يقول « حياكم الله البيت بيتكم»، « زرتوا ولا كلفتوا سامحونا على القصور». وإذا طلب أحد شيئاً من آخر يستطيعه فيرحب هذا بعبارة مثل « غالي والطلب رخيص». وإذا رد أحد شيئاً مستعاراً بالشكر قيل له « حلالك» وللمصلي يقال « تقبل الله» فيرد» منا ومنكم صالح الأعمال». يقال في العزاء « عظم الله أجركم وأحسن عزاءكم « و « الله يخلف عليكم» وعن الصغير» الله يقبله ويجعله شفيع لكم يوم القيامة»، وحين ينهض الضيوف الآكلون يقولون « أنعم الله عليكم» و»كثر الله خيركم». ويقال لمن لبس جديداً « تقطعه إن شاء الله بالعافية»، وإذا سقط شيء من أحد وانكسر قيل له « انكسر الشر»، الله يعوض عليك». يقال للعائد من السفر» سلامة الأسفار» ومن أقاربه « مِنْ طوّل الغيبات جاب الغنايم»، فيرد « بشروا بالخير». ويحفل تراث اللياقة الاجتماعية بحشد من الألفاظ والعبارات المحببة مثل «جعل الخير ملفاك» و» تفضلت وأفضلت» و» أشكر الله سبحانه»و « اقلط» و» تفضل» و» على هونك» و» كلفت حالك»و» ياحلو ها القبلة (من الإقبال) و « توّ الناس» و» حيّاكم الله من جا».

أدب التعامل: يسود مجتمع المنطقة، عموماً، مستوى متعارف عليه من آداب التعامل العامة،غير أن هذا المستوى، بطبيعة الحال، في أي مجتمع يخضع للتفاوت، بحسب الأوساط والمستويات الاجتماعية التي يمارس ضمن نطاقها، وفي حالتنا هذه، تزداد آداب التعامل ترسخاً وقوة ورقياً، كلما كان مستوى العائلة الاجتماعي والاقتصادي والثقافي أكبر، وتحاسب بعض العائلات أولادها بشدة، حين تظهر على لسانهم بعض الكلمات النابية أو المعيبة، التي قد يكون التقطها من صبية هم أقل حظاً في حسن التربية. كما تحرص العائلات ذات المستويات الأكثر حظاً من المكانة على حفظ أولادها في البيوت، خشية اختلاطهم برفقاء سوء، بحيث لا يخرج أحدهم بعيداً إلا مع والده أو أخوته أو أقاربه الكبار.

ويتحاشى الأدب العام استعمال بعض الألفاظ أو العبارات الأصلية لبعض الأمور. فيسمّى عضو الولد الصغير «حمامة» أو «خوّة» والمؤخرة « مقعدة» وما يتعلق بالمرأة: «الهنا» أو لفظة «مال» في كل الحالات. وعبارة «يطَيِّر الشراب» أو «يريح الماء» بدلاً من يتبول. وبيت الأدب، والمختلى بدلاً من «السنداس»، و «يدش» بدلاً من يقضي حاجته في المرحاض، ولا يقال للشخص إنك تكذب، « بل يقال «تَبْرِم»، ولا يدعى عليه أو يلعن مباشرة، بل يقال « الله يلعن إبليسك»، أو الله يغربل عدوك، مثلاً. ويقل تقدير الناس للشخص إذا كان يستعمل كلمات وألفاظاً تفتقر إلى الأدب واللياقة، وبالمقابل يزداد الاحترام له كلما كانت ألفاظه رقيقة مهذبة. وتزخر الآداب واللغة والشعر والتراث بالحث على الفضائل ومكارم الأخلاق وأدب السلوك، إلا أن القاموس الشعبي للألفاظ، كما لا يخلو أي مجتمع، له نصيبه من عبارات الذم والإهانة والتعيير وكلمات النيل من القدر والاحترام، ويشيع بين الناس خاصة كلما كان هناك عامل يقرب، كالقرابة والجوار والحي والمعرفة مناداة الأصغر للأكبر بلفظ « ياعم»و « ياخال» للرجل و» ياخالة» للمرأة حتى في التعامل العام المحض. ومن الكبير للأصغر « ياولدي» أو تواضعاً «ياأخ».

على أن التواضع والبساطة والنصح بالمعروف، هم من العادات الراسخة والعرف العام السائد، خاصة من أهل العلم وطلابه والمشايخ والأدباء وكبار القوم والوجهاء. ولم يكن الفقر ينظر إليه على أنه يقلل من مكانة الشخص، بل أن الفقير، إن لم يحظ أحياناً بالتبرع والهبة والصدقة، فهو دائماً موضع عطف، كذلك المريض والكفيف وصاحب العاهة. ويعلم الأطفال إذا رأوا صاحب عاهة أن يحمدوا الله في سرهم وأن يقولوا: «الله يعافيه» ولا يبلانا»، وكان إذا مر كبير بصغار توقفوا أمام صاحب عاهة أو «شخبطوا على جدار أو باب أحد، نهرهم وفرقهم، وتحدث بطبيعة الحال، نزاعات صغيرة بين أطفال الحي أو الجوار ويتفاوت الناس في طريقة تعاملهم معها، فبعض أهل الأطفال ينازع والبعض يسامح ويكف الشر، إلا أن العرف العام هو التسامح والتراضي ومراعاة حقوق الجيرة والآداب العامة.

ومن العادات العامة الحميدة، أنه إذا مر غريب يسأل عن بيت أحد، يبادر الرجل المسؤول الغريب إلى منزله، لإكرامه على أنه سيدله، بعد ذلك يدله على البيت المطلوب، إذا كان يعرفه وكان إذا اجتمع قوم أو جماعة في ضيافة أو مناسبة أو سفر، يتولى الأشخاص الأصغر سناً بينهم القيام بالخدمة والمساعدة، وفي الجنازات يتبارى القوم في حمل نعش الميت على أكتافهم في الطريق إلى المقبرة، وإذا حدثت مشادة أو ملاسنة بين اثنين في طريق أو سوق، سرعان ما تدخل أهل الخير لفض النزاع والمصالحة، يطلبون أن يعتذر المخطئ ويتسامح المخطأ عليه وإذا كان هناك مشكلة أو موقف بين اثنين من الأقارب أو الجيران، أو أهل الفريج، ونجح أحد في حلها، فإنه غالباً ما يدعوهم ويدعوا جمعاً معهم إلى وليمة، احتفاء بهذه المصالحة السارة.

يميل الناس إلى مناداة وتسلية بعضهم البعض بأسماء وتحويرات أكثر قبولاً ولطفاً من الأسماء مباشرة فبالنسبة للصغار، يصغّر الاسم، يقال عن محمد: حموده، أو حميد، وعن عبد الرحمن، دْحِيم أو دْحَيّم أو « دحّوم أو دحّومي» (بالنسبة لوالديه وإخوته)، ولعبد العزيز: عزوز أو عزيّز، ولعبد اللطيف: لطيّف، ولعبد الله: عبيّد أو

عبود. ولأحمد: وحيمد، ولعلي عليو، أو علاوي، ولخالد: خلودي أو خلود، ولجاسم: جويسم أو جسومي، ولراشد رويشد، ولحسن: حسون، ولمبارك: مبيرك (مبيريتش). بالنسبة لأسماء الإناث فهناك ريمة لمريم، وعيوش لعائشة، ولطوف للطيفة، ومنور لمنيرة، وفطوم لفاطمة، وأمّون ومّينة لآمنة، وجويهرة لجوهرة، ونويّر لنورة، وهكذا.

أما بالنسبة للكبار من الرجال، فيحسن الاسم بقلبه إلى « أبو كذا» فينادى عبد الرحمن مثلاً بأبي عوف، وعبد العزيز بأبي سعود، وعبد اللطيف بأبي شميس، ومحمد بأبي جاسم، وحسين بأبي علي. والعكس ويوسف بأبي يعقوب، وسليمان بأبي داود، وهكذا. كما تسود تسمية الرجل بنسبته إلى ابنه الأكبر، وكذلك الأم. وبطبيعة الحال كالمتبع في المجتمعات القبلية، يفضل النسبة إلى الابن لا إلى الابنة، ولكن إذا لم ترزق العائلة بذكر، فقد تنسب الأم إلى الابنة، وفي حالات أقل قد ينسب الأب إلى الابنة.

وفي مجال التبادلات، فحين يهدي بيت إلى آخر، هدية في مناسبة ما أو يبعث إليه بطبق من الطعام «نغصة»، أو يهدي أحد لأحد آخر شيئاً، فمن العرف أن يرد البيت الهدية بأحسن منها أو مثلها.

ولا يعيد الإناء فارغاً، بل مملوءاً بطعام أو فاكهة مناسبة، والشيء المهدى بمثله أو بأفضل منه. كما إذا مني أحد الأقارب أو الجيران بخسارة، فمن المعتاد أن يسارع أقاربه وجيرانه، بتعويضه، ببعض المال، كلّ حسب استطاعته، وكذلك في حالة الزواج، يعين بعض القادرين من الأقارب الخاطب ببعض المال أو الأشياء العينية وخاصة خلال احتفالات الزواج، يكثر بعث دلال الشاي والقهوة والحليب من الأقارب والجيران إلى بيت العرس المقام بينهم.

مكانة المـــرأة:

حتى ثمانينات القرن الهجري الماضي، لم يكن تعليم المرأة قد بدأ، حيث كانت

ترسخ في ظلام الجهل والأمية. فقد كانت، بالرغم من مكانتها الإنسانية التي أقرها لها الإسلام، ولكن بحكم الموروث الاجتماعي والثقافي، كائناً تابعاً مستضعفاً، متدني القيمة والمكانة، تحت تصرف الرجل وسلطته وتحكّمه ومصلحته، لا تملك من أمر نفسها شيئاً، مسخّرة لخدمة البيت والذكور وأداء الواجبات الزوجية.

لذا فقد كانت واقعة تحت طائلة الظلم والقهر والاستعباد والاستغلال، إلاّ فيما ندر. ومنذ الصغر، يحرم عليها الخروج من البيت، وتُزوّج في سن الطفولة، وقد تُزوّج لرجل في سن والدها. ومن غير الوارد، في مثل هذه الأحوال أن يكون هناك تكافؤ، أو تلاؤم، أو توافق، أو علاقة إنسانية، أو سوية متبادلة بين الزوجين.

بل تكون المرأة، في مثل هذا الارتباط القسري، مكرّسة لوظيفة الخدمة الزوجية والحمل والولادة والتربية والواجبات والفروض الاجتماعية، فاقدة الشعور بالذات والقيمة الشخصية والكرامة، واقعة تحت ضغوط هائلة من التسليم والطاعة والخضوع والكد والعمل، بلا نهاية ولا أمل.

ونتيجة لوضعها هذا، تتعرض المرأة، في حالات كثيرة لأمراض وآلام نفسية شديدة، وأنواع من العصابات المزمنة، دون توفر لعلاج طبي، سوى القراءات و»المحو» والتعاويذ والتبخير. أما إذا تطورت حالتها المرضية، فقد يعتقد بأن بها مسّاً أو قد دخلها الجانّ. فيلجأ أهلها، إلى من يدّعون القدرة على إخراج الجانّ من المريض، مما يزيد، نتيجة، ونتيجة لطقوس « العلاج» المخيفة، من حالتها سوءاً أو تفاقماً. وإذا كانت أمّاً، فإن أطفالها يعانون من حالتها وفقدهم لرعايتها وحدبها عليهم.

ومن الصعوبات الأخرى التي تعانيها المرأة، في هذا المجتمع، العيش السائد ضمن الأسرة الممتدة، في بيت واحد المكونة من الجدين والأبناء المتزوجين وزوجاتهم وأطفالهم، والبنات غير المتزوجات ومن المعتاد أن تزوّج الفتاة الصغيرة لابن عمها البالغ توّاً، في نفس البيت. ومن المسلّم به، في مثل هذه المعيشة المختلطة، أن تفقد المرأة استقلال وخصوصية حياتها الزوجية، والحد الأدنى من الحرية الشخصية في المترل.

هذا من ناحية، كما أن الزوجة، في مثل هذه الظروف، تعيش، دوماً في ظل علاقات احتكاك وخصام، وربما حقد وكراهية وتشاحن بين النساء، من ناحية أخرى.أمّا إذا كانت هي إحدى الزوجات لنفس الرجل، فإنها تعيش بالضرورة مع ضراهًا في بيت واحد، وستعاني المستضعفة منهن، من حرب ظالمة عليها، من ضراهًا، وممن بيدها الولاية أو السلطة منهن، وسيعاني أولادها من التمييز ضدهم، من غريماهًا الأقوياء، أو المحظوظات، ومن إخوهم الموتورين ضدهم، الفائزين بميزات، دونهم.

وتضطر كثير من النساء، من الأسر ذات الحاجة إلى العمل اليومي الخدمي للخدمة في بيوت أكثر يسراً، أو قضاء حاجات لهم، من بيع وشراء لأغراض وأطعمة وندب، مقابل حصص معلومة من غلال وأرزاق ومن هبات وإكراميات في الأعياد والمناسبات. وهنّ، وإن كنّ يحظين باحترام ولطف معاملة، سائدة عموماً من أهل البيت، إلاّ أهن، بلا شك لابدّ أن يعانين، وبالضرورة من الشعور، بفروق المكانة الاجتماعية، إزاء المخدومين.

مكانة الطفل:

حتى العقد السادس من القرن الهجري الماضي، لم يكن التعليم النظامي قد بدأ بعد في الأحساء. ففي مجتمع، تشيع فيه الأمية، لا يحظى فيه معظم الآباء الذكور البالغين، وكافة النساء، بنور العلم والمعرفة والثقافة، وأمام الوضع الأعزل، السالب، الفاقد للقدرة والحصانة، لقطاعي النساء والأطفال، فلابدّ من أن يكون المجال، مفتوحاً إذاً لسلطة الرجل المطلقة، على هذين القطاعين.

ومن هنا تنشأ وتدوم الأساليب الخاطئة في التربية، مكوّنة بنية ذهنية وأعرافاً وأساليب بعيدة عن المناهج الصحيحة، يقع الأطفال والقصّر تحت طائلتها. ومنها تدنّي قيمتهم وتحديمهم، وفرض واجبات الخضوع والطاعة، وعدم إبداء الرأي والمناقشة مع الكبار وتبجيل الكبار والهيبة منهم.

لذا، وفي ذلك الزمن، إذا أخذنا في الاعتبار العوامل الاقتصادية والثقافية

والتركيبة الاجتماعية للقوى العاملة، لظهر لنا أربعة أبعاد لوضع الطفولة، في هذا المجتمع.

١ – ففي بيئة أسرية، لا تؤسس فيها العلاقة الزوجية بين الأب والأمّ، في الغالب، على القبول المتبادل للرابطة، أو على التكافؤ النوعي والتوافق والانسجام، فإن هذه البيئة الحاضنة للأطفال، لن تكون بحال، قابلة للوفاء بالشروط الضرورية لحاجات الطفل التربوبة، الإنسانية والنفسية والعقلية والاجتماعيةمما قد يحرم الطفل من النمو النفسي والعقلي السوّي.

وإذا أخذنا في الاعتبار أن الأطفال، في هذا المجتمع يولدون ويعيشون، في الغالب، في أسر ممتدة، في بيت واحد مشترك، غير مقتصر على الأسرة النواةبل هو شامل لعدة عائلات هم الجدود والأبناء وزوجاتهم وأطفالهم، نجد أنهم يفتقرون إلى حياة البيئة المترلية الخاصة والمستقلة، مما قد يولّد لديهم شعوراً يمسّ باعتبارهم الشخصي كأفراد.

٢ – لم يكن الأولاد يجدون أمامهم في ضرورة التعليم سوى ما كان يعرف بـ «المطوّع»، وهي المدرسة الأهلية، التي تقوم على معلم فرد، يعرف القراءة والكتابة، يعلمهم فيها الأبجدية وقراءة القرآن الكريم والخط، وربما شيئاً من مبادىء الحساب. لذا ينشأون غير مهيأين لمواجهة الحياة بالمعرفة العلمية، أو مؤهلين للعمل المهني.

٣ – في مثل هذه البيئة من التأثيرات والتأثّرات السلبيّة، ينشأ الأطفال الذكور، غير مدركين، في اختلاطهم وعلاقتهم بالناس، لحدود العلاقات المعروفة والسليمة.

وحيث أنّ هذا المجتمع، كغيره من المجتمعات لايخلو بالضرورة، من وجود أفراد فيه، غير أسوياء من الناحية الخلقية، أو منحرفين، فإن بعض الأولاد، وتحت ضغوط شخصية، أو إغراءات مادية، بتأثير الحاجة والفقر، قد يقعون تحت استغلال من أولئك المنحرفين، كما أن الأطفال، أيضاً،

قـــد يتعرضـــون للاعتداء من أولئك الأفراد.

٤ – حيث أنّ مجتمع الأحساء، قبل اكتشاف النفط، يقوم على تشكيلة واسعة من الحرف والصناعات والأعمال اليدوية والمهن والعمالة المؤجرة، ومع انعدام النشاط الاقتصادي الحديث، القائم على الوظائف، ومع انتشار الأميّة، فقد كان النمط السائد لدى أصحاب الحرف والمهن، مع حاجتهم للأيدي العاملة المساعدة لهم، قليلة التكلفة أو معدومتها، كان تشغيل أولادهم الأطفال معهم في مشاغلهم وحوانيتهم وميادين عملهم، كالنجارين والحدادين والصاغة والمزارعين والتجار، وبذلك، فهم يكتسبون مهارة الحرفة أو المهنة ويساعدون آباءهم، ولكن دون أجر.

الفقـــــراء:

في مجتمع ما قبل النفط، يقوم قطاع الإنتاج فيه على الخدمات والحرف والمهن والعمالة، ورغم اكتفاء البلاد بالمنتج الزراعي المحلّي، إلاّ أن المزارعين المحليين، المستأجرين للخدمة الزراعية، مقابل جزء يسير من المحصول يعيشون منه على حد الكفاف، ومن هنا تتشكل القاعدة العريضة للسكان التي بالكاد تكاد تكسب موارد عيشها. أضف إلى ذلك الفئات المحرومة من العاطلين والعجزة والمعدمين وعوائل الأرامل والمطلقات، مما يؤلف المحيط الشعبي الفقير، الذي يلجأ بعض أفراده إلى امتهان الشحاذة والسؤوال وتلمس أي سبب للرزق بدفق ماء الوجه وتقبل الزكاة والصدقات والعطايا وممارسة مهن مذلة وتافهة.

يقابل ذلك فئات ميسورة من التجار وأخرى أقل يسراً، ولكن بتفاوت في مستويات أفرادها، من الملاك الزراعيين. وتشكل موارد الأوقاف من الغلال الزراعية، رفداً يسيراً لبعض الأفراد والعائلات.

• الأمراض التي كانت في المنطقة

• أمراض البشر:

أ – الأمراض العضوية:

ما كان لمنطقة زراعية تقليدية قديمة بمثل حجم الأحساء، غزيرة المياه، كثيرة التمور والحيوانات، قبل مجيء التغير الحضاري باكتشاف النفط، إلا أن تستوطن بها أمراض بيئية متعددة وتغزوها أوبئة وافدة، منها:

١ – الملاريا: التي ينقلها البعوض المتكاثر في المستنقعات والسبخات والمياه الراكدة وفي بساتين النخل، وكان ينتج عن الإصابة اصفرار اللون وتضخم الطحال، حتى أن البعض ممن زار المنطقة، قديماً اعتبر أن هذه إحدى صفات السكان، فقد نقل الثعالبي عن الجاحظ قوله:

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله.. ويغبط على ما في بطنه وهو جائع[١].

٢ – التراخوما: والرمد الصديدي: اللذان يصيبان العيون، وينقلهما الذباب بسبب التكاثر في حظائر الحيوانات والدواجن والطيور، التي لا يكاد يخلو منها منزل أو نخل، والمراحيض غير الصحية في المنازل والبساتين، وعلى التمور في مواسم الصرام، وكانت نسبة ملحوظة من السكان فاقدي البصر أو نصفه، أو مصابة بأمراض مزمنة في العيون.

١- اكتشاف النفط واثره على الحياة الاجتماعية في المنطقة الشرقية.، ط٢، د. عبدالله بن ناصر السبيعي.

ومن أمراض العيون المعتادة: «الشعرة» وهو الشعر الذي ينبت تحت الجفن مسبباً احمراراً وحكة ودموعاً دائماً، وتكثر نسبته لدى النساء. ومن النساء المتطببات من يعالج الشعر بالنزع بملقط خاص وحك مكانه بما يسمى «الفشية» وهي قطعة مستوية مكتملة لعظم نوع من السمك. كما تصيب العيون التهابات أخرى ومنها الجدري الذي يُذهب أحياناً البصر.

٣ – السل: نتيجة الأوضاع الصحية التقليدية وسوء التغذية لدى البعض، وعدم الحذر من العدوى، يكثر انتشار السل الرئوي الذي يفتك بالكبار وكثير من الصغار، ولا تكاد أي أسرة تخلو من فقد عدد من أطفالها وبالغيها، بسبب الأمراض، السارية، وكانت مشاهد الجنازات أمراً يومياً شبه مألوف.

٤ – فقر الدم: نتيجة وجود نسبة من السكان لا يحصلون على غذاء كافٍ متكامل، ينشأ فقر الدم ويتفاقم فيبدو لون المصاب أصفر مريضاً خاملاً قليل النشاط.

٥ – الحصبة: كثيراً ما تنتشر الحصبة بين الأطفال وتودي بأعداد كبيرة منهم.

٦ – التيفوئيد: ينتشر بين الصغار خاصة ويؤدي في حالات كثيرة إلى موتهم.

٧ – السعال الديكي: تزداد نسبة الإصابة به بين الأطفال وقد يتطور مع ضعف التغذية والمناعة.

٨ – الطاعون: يذكر أن الطاعون حين يصيب المناطق المجاورة، ينتقل بطبيعة الحال إلى المنطقة. فيفتك بأعداد كبيرة من الناس.

٩ – الجدري: هو من الأمراض الوبائية التي ترد من خارج المنطقة. وينتج عنه وفيات كثيرة وإصابات بالعمى وتشوهات في الوجه.

١٠ – الأنيميا المنجلية: التي مثل العديد غيرها من الأمراض المحلية لم تكن تشخص من قبل، ولكن اتضح، حديثاً أنها مألوفة في المنطقة الشرقية (الأحساء والقطيف)، لأسباب بيئية ووراثية.

١١ – الدوسنتاريا: المعروفة بالزحار، الذي يعتبر من الأمراض المصاحبة للظروف البيئية والصحية التي كانت تعيشها المنطقة.

١٢ – البلهارسيا: لا يعرف إذا كانت البلهارسيا موجودة في المنطقة أم لا. ولكن يذكر أن من أسبابها وجود المياه الراكدة ومجاريها الملوثة والديدان والحشرات.

١٣ – الدّود: تكثر حالات الدود في الأمعاء، خاصة لدى الأطفال، ومنها الدودة الشريطية، ربما بسبب سوء التغذية.

١٤ – الدمامل: تعتبر حالات الدمامل الجلدية مألوفة بين السكان. ولابد أنها كانت تنشأ بسبب سوء التغذية والأوضاع غير الصحية. ومنها «النقل» الذي يعاني المصاب به آلاماً مبرحة لعدة أيام، نتيجة امتلائه بالقيح والصديد.

١٥ – الثآليل: ومفردها ثالول. وهي بثور جلدية خشنة وقاسية يصاب بها بعض الصغار والشباب في ظاهر اليدين، غالباً، وأحياناً في القدمين، وتدوم مدة طويلة، وهناك تحذير شعبي من أن محاولة إحصاء النجوم في السماء ليلاً بالعين المجردة، يستجلب الإصابة بالثآليل، عقاباً. وربما يستقي هذا التحذير دلالته من تقوى إيمانية، باعتبار ذلك محاولة لإحصاء بعض من مخلوقات الله التي لا تعد، والتي لا يعلمها إلا هو سبحانه. وكانت سماء المنطقة قبل مجيء الكهرباء تتلألأ، ليلاً بتشكيلاتها الكاملة من النجوم والكواكب والمجرات والشهب التي تشق الفضاء ساطعة وهي تهوي إلى الأرض.

١٦ – التقرحات «القْراح»: وتظهر على الجلد لدى البعض، ربما نتيجة سوء

التغذية، أو التهابات تلوث لا تجد علاجاً شافياً.

١٧ - الحروق العمدية: «الديغان» ومفردها «داغ» يشيع بين الشباب والمراهقين الذكور اعتقاد بأن إحداث حروق فوق أسفل الذراع، يجعلها قوية ثابتة لتصويب البندقية وحمل دلة القهوة الملأى الثقيلة أثناء صبها للضيوف، دون أن ترتعش. فيعمدون إلى وضع قطعة قماش مطوية مشعلة من طرفها على ذراعهم، من الطرف الآخرالذي يخرج منه الدخان الحار، فيما يشبه شكل السيجارة، حتى تحدث حرقاً شديداً ساطياً، يكرر في عدة نقاط متجاورة في صف واحد، ويتبارون في الصبر على ألم النار. فتحدث فيهم حروقاً بليغة تترك بعد شفائها الطويل، بقعاً بيضاء مستديرة لامعة على طبقة الجلد السفلي، لا تبرأ مدى الحياة.

١٨ - القَمْل: الذي يصيب ويعيش في فروة الرأس لدى بعض الصغار، نتيجة قلة الرعاية الصحية. وهو ينتقل بالاختلاط، ويبيض «الصيبان» على جلد الرأس الذي يصعب التخلص منه حتى بالغسل، فيكبر ويتحول إلى قمل، ويلجأ الأهل إلى «فلي» رؤوس أطفالهم تحت ضوء الشمس. وعند ظهور الجاز «الكيروسين» صار يستعمل لتطهير الرأس من القمل.

العلاجـــــات:

ظل الناس في المنطقة يعتمدون على العلاجات الشعبية المحلية المتوارثة خبرتها ومهنتها، حتى ظهور الخدمات الطبية الحديثة. فكان الكي في حالات آلام العضلات والظهر والرقبة والرأس ومرض بعض أعضاء الجسم الداخلية، والحمية لبعض الأمراض الباطنية والأمعاء، والحجامة لتنشيط الجسم ليقاوم الأمراض. وكانت هناك أدوية شعبية كثيرة من الأعشاب وغيرها، مما تزخر به حوانيت «الحواجين»، (العطارين) الكثيرة، كالمرة والصبر والإهليلج والحلبة والشبّ والحلتيت والتشمة والرّشاد والسشّبّ والتوتيان «والعشرج»و»ذْو النَزَر» (دواء النَزَر - الذي هو الإصابة بمرض

من الجانّ) والخروع واللبان والقرمز. يتطبب بها من أمراض باطنية وجلدية عديدة، ويستعمل الكحل العربي للتجميل وجلو البصر، والحناء للتجميل وصبغ شعر الرأس واللحية وتبريد حرارة الأرجل ووقايتها من التشققات و «الفُطور». كما يستعمل دهن الودك لتطرية ظهر اليدين والقدمين من جفاف وتشققات وجروح «المشقْ» الناتج عن البرد الشديد في الشتاء. وهناك التجبير العربي للكسور، الذي تتوارث فيه بعض الأسر المعروفة.

كما تجيد بعض السيدات الكبيرات فصْد العيون، لاستخراج الرطوبة واللحميات الزائدة فيها، باستخدام آلة حادة تشبه المخِيَط، حيث يحتجب المفصود في غرفة مظلمة لأربعين يوماً. وكان الرمد واحمرار العيون يعالجان ببذور «التشمة» وتجنب العطور، ومما يذكر أن أسرة آل إسماعيل (الجعاقرة آل طيار) في حي الكوت بالهفوف، كانت تشتهر بتوزيع قطرة، خاصة لعلاج العيون، مجاناً، وذلك تنفيذاً لوصية إحدى نسائهم المشهورات، وهي السيدة رقية آل إسماعيل[1]. وأوقفت وقفاً للصرف عليه. وتنفيذاً لذلك، كان يتم توزيع مسحوق القرمز ومواد أخرى كانت تصرّ في قطع قماش بيضاء صغيرة، ويتم استخدامها بإضافة الماء إليها وقطرها في العيون الملتهبة. وكان مصابو العيون يسدون أنوفهم بأصرة صغيرة تحوي مادة الحلتيت لتقيهم من البخور والروائح العطرية. وكان الكيّ الذي يجيده ويشخص الأمراض المناسب لها، سيدات كبيرات متخصصات لِكَيّ النساء. ورجال متخصصون لِكَيّ الرجال. وكان يستخدم لآلام عضلات الجسم والظهر والرقبة وبعض الأمراض الباطنية كاليرقان الذي يكوى المصاب به في أصابع اليدين والقدمين، ويُشرب منقوع «العشرج» (السنامكي)، كمادة سهلة ولتطهير الأمعاء كمادة شائعة، ويعفى الأولاد يوم شربه من الذهاب للمطوّع أو المدرسة.

عند بداية قدوم الطب الحديث مارس بعض الأشخاص التطبّب كإعطاء

١- المرجع السابق.

الحقن وتضميد الجروح والالتهابات، ونفعوا مرضىً كثيرين وكان منهم الشناط والقَوّ، وعبد الله البراك، من الكوت بالهفوف. وقدمت «الصحية» أولى المرافق الصحية بالأحساء بواكير الخدمات الصحية للمنطقة في مقرها في بناية من طراز معماري محلي، كبير، بجوار قيصرية السوق، خدمات صحية أولية لجموع المرضى منذ الخمسينات الميلادية، وربما كان بها بعض الأطباء والممرضات من البلدان العربية الشقيقة، وبدأت الممرضات بتوليد النساء في بيوتهن منذ ذلك الوقت، كما بدأت بعض العيادات الخاصة ذات الطبيب الواحد في العمل. ومنها عيادة للعيون في حي الرقيقة، كان يعمل بها طبيب إيطالي. وقبل قدوم الطب الحديث كان المقتدرون يسافرون إلى البحرين لوجود البعثة الطبية التابعة للإرساليات الأمريكية هناك، وكان طبيب البعثة بول هاريسون قد زار الأحساء في سبتمبر من العام ١٩١٩ م وكتب عنها[1] واستأجر بيتاً وبدأ عمل البعثة فيه والتي ضمت أطباء وممرضات أمريكيات كانت تعالج أعداداً كبيرة من الناس مجاناً، واشتهر هاريسون بالأحساء وأصبح اسمه على كل لسان وكذلك زميله الدكتور ستورم. وكان الاسمان ينطقان محلياً هكذا على التوالي **Hareesan** و **Stooram**. وكذلك الدكتور «ديم» **Dame**.

ب – الأمراض النفسية:

١ – العين:

كان الاعتقاد في الإصابة بالعين وبالحسد، ولا يزال شائعاً، وكان أهل من يعتقدون أنه مصاب، يلجأون إلى ما يسمى بـ «خمّ الأثر» وهو جمع حفنات من التراب من عند فتحات بيوت السكة والجوار، الذي يحمى على النار في مقلاة، ثم يسكب عليه الماء تحت أقدام المصاب، فيتبخر به، ويصفّى بعض مائه ليشربه المريض، وهناك طريقة تسمى «سَبْع الحدايد» حيث تسخن سبع قطع صغيرة من الحديد على

١- الأستاذ صالح الذكير، جريدة اليوم ١٤١٩/٦/٢٢ هـ، العدد ٩٢٥٠.

النار وتوضع في التراب نفسه ويصبُّ عليها الماء، ثم يُصفّى ويُسقى للمريض.

٢ – المس بالجـــان:

كان من الشائع الاعتقاد بدخول الجانّ في جسم الإنسان وجلب الضرر والمرض له، وكان هناك أشخاص «يقرأون» على المصابين من رجال ونساء (وكان غالبية المرضى من النساء) في حضور أهاليهم الكبار (ويُمنع الصِغار من الحضور) خشية عليهم من الخوف، ويحضرون لهم بعض الأدوية من أعشاب وغيرها. وكان بعض القرّاء والمعالجين يجعلون «الجني» يتكلم من داخل المريض، وكان الحاضرون يقولون إنهم يسمعون أصوات الجن. كما كان بعض المعالجين يضربون المريض بالعصا، الذي يصيح عالياً من شِدة الضرب، اعتقاداً من المعالج أنه يضرب الجني ويطالبه بالخروج من جسم ضحيته.

وكانت بعض النساء ممن يتعرضن لصدمات خوف شديدة يصبن بشلل جسماني، مما يعتقد معه بأنه مسّ. ولكن، بعد جلسات علاج وقراءة متكررة، يشفين بحول الله وكان بعض أولئك المعالجين لا يتقاضون أجراً على جهودهم تلك.

٣ – السـحـر:

يعتقد البعض أنه إذا ما أصيب بتغير شديد مفاجئ في علاقاته أو نشاطه، دون سبب ظاهر بأنه ربما يكون قد تعرض لسحر من أحد، وكان هناك من يدعون القدرةعلى «فك» السحر. حيث يلجأ إليهم «المصابون» فيعطونهم تعليمات بأن يفعلوا كذا وكذا، كأن يذهب أحدهم ليجد صراراً من الزجاج والشعر وغيره، مدفوناً أو مُخَبأ في مكان ما، فيأخذه ويحرقه فيبطل السحر، وما أشبه ذلك.

٤ – العُصـاب:

الذي تصاب به كثير من النساء وخاصة من المتزوجات. ويعتقد أنه هو الذي

يسمّى محلياً «الغَلِقَة»: أي القلق مما يندرج في المعتقد الشعبي، مع الأمراض النفسية التي ليس لها أسباب مادية ظاهرة، بل تعزى إلى قوى غامضة، والأرجح أن هذه الحالات وما يشابهها هي نتيجة حتمية للضغوط النفسية الشديدة التي تتعرض لها النساء المتزوجات اللائي يعانين من الظلم والقهر على أيدي أزواجهن وأهلهن وأهل أزواجهن، ويلجأون إلى القرآن الكريم للشفاء، على أيدي الورعين من طلبة العلم والمشايخ الذين يتطوعون بالقراءة على المرضى لعدة مرات، لوجه الله تعالى، أمام المساجد أو عند مداخل بيوتهم. و مما يأتي عن طريق القراءة، كتابة الأدعية والآيات بماء الزعفران في بطن صحون بيضاء ناعمة نظيفة وطاهرة، بقلم من البوص، وتلف مطبوقة بالتقابل اثنين اثنين، في قماش أبيض نظيف طاهر، فيصب المريض ماء طاهراً على الكتابة ويشربها، وكذلك يعمل له ما يُدعى بـــ «الجامعة» وهي ورقة تخط عليها بعض الآيات الكريمة والأدعية وتخاط في جلد وتلبس معلقة في العنق أو مربوطة على الزند، ويراعي لابسها ألا يدخل بها المرافق الصحية أو أية أماكن غير طاهرة، كما يعمل مثل هذه الجوامع وتلبس للأطفال الرضع (في حالات قليلة) لتمنع عنهم بإذن الله العين والحسد.

٥ – النّزَر:

والمرجّح أنه عصاب (أيضاً) ناشئ عن صدمة عاطفية أو نفسية شديدة، ويكثر بين النساء، وخصوصاً المتزوجات منهن (أيضاً)، بسبب تعرضهن لحالات من القسر وإكراه على أيدي آبائهن أو أزواجهن أو الإهانة من أحد. والنّزَر في اعتقاد الشعب هو تأثر يصيب الشخص من «أهل الأرض» (الجِنّ)، نتيجة غضب شديد أصابه، ويتداوى منه بما يسمى دْوا النّزَر، وهو خلطة مخصصة من الأدوية، تباع لدى «الحواجين» يتبخر بها، لعدة مرات.

٦ – الــزّار:

مكان الزار يوجد لدى فئات قليلة ومحدودة جداً من السكان، بل ربما هي فئة صغيرة وحيدة، تنتشر بينها الأمية. وتكثر الحالة بين الرجال، حيث يعتقد أن «المريض» هو دائماً شخص طبيعي عادي سليم، مسكون بالجن، حين «يــترّل» أي يترّل الجن من داخله في شكل رقص هيستيري على قرع الطبول والطيران وعبق البخور في حفلات الأعراس أو المناسبات الأخرى. ويظل هذا يعتقد هو والآخرون كذلك، دون حاجة إلى علاج، ويدعي بعض من أولئك «المصابين» بأن خواتم ذات فصوص معينة تجلب الزار لمن يريد أن يستترل، ويشارك بالرقص الاستعراضي. ولا تزال بعض الفئات في المملكة والخليج وبعض الدول العربية تعتقد بالزار، رغم بطلان تفسيره الشعبي، من الناحية الطبية، كما كان يعتقد أن فصوص بعض الأحجار الكريمة تساعد على إيقاف نزيف الدم.

٧ – الضــّرر:

وكان يعتقد أنه إصابة بضرر من الجن، لأن الشخص المصاب، وأغلب المصابين من النساء، كان قد ألحق ضرراً بــ «أهل الأرض» بأن رمى بشيء على الأرض بقوة، وخاصة وقت المغرب، ولم يسم باسم الله، فيكون قد آذاهم أو تكون المرأة قد آذت قطاً أسود، ولم تسمّ الله أيضاً، فيكون هناك وهم بوجود ضرر، ويستعان على ذلك بقراءة القرآن الكريم والأدعية، فيخف بفضل الله الخوف والاحتباس الذي أصاب الشخص.

٨ – الصَّرع:

تظهر حالات الصرع لدى الرجال والشباب، وعند حدوث النوبة لدى المريض، يشعر أهله وخاصة الصغار بالخوف لغرابة الحالة من فقدان الوعي والتشنج وزبد الفم والتخشب وقد يُصاب من السقوط أو عض اللسان بإصابات بليغة. وبعد

أن ينقل المصاب إلى مكان مريح، يقوم الأب أو أحد الرجال الآخرين أو الأم، بتلاوة الآيات القرآنية والأدعية عليه، حتى يفيق من النوبة.

٩ – الخــوف الوهــمي:

يشيع الخوف من الجن بين كثير من الناس، بسبب الظلام والأماكن المهجورة الموحشة كالمباني القديمة الخالية والأطلال والخرائب والمقابر. وكان بعض الناس يدّعي أنه شاهد الجن في شكل أشباح أو حيوانات تظهر في أمكنة لا يمكن أن توجد فيها في الأحوال العادية، وكان هناك اعتقاد بوجود ما يعرف بـ «السّعْلوة» وجمعه «السعالوة»، وكان الشباب يراهنون فيما بينهم على دخول الأماكن المخيفة والموحشة كالمقابر، ويذكر أن أحدهم راهن على أن يأخذ وتداً ويدقه في داخل غرفة صنع اللبن في إحدى المقابر في ساعة متأخرة من الليل. فذهب وأثناء دقه العود دق معه من العجلة طرف ثوبه، فلما فرغ وأراد النهوض فوجئ بشد الثوب، فظن أن «أهل الأرض» أمسكوا به، ولما استبطأه صحبه، ذهبوا ليجدوه مغمىً عليه من الخوف.

وكان الأهل يخوّفون أطفالهم من الخروج في الظهيرة بـ «تشلبة» (كلبة القايلة[١]، وفي الليل حتى لا يخرجوا أو يطيلوا السهر بـ «أم المحامل»[٢]، و «أمّ السعف والليف»[٣]. وتفعل هذه المسميات الوهمية فعلها في نفوس الأطفال. ولربما كان لبيئة الخوف والتخويف هذه، التي ينشأ فيها الأجيال واحداً بعد آخر، آثار سلبية في بنيانهم النفسية.

١ - «تشلبة القايلة» هي الشمس.

٢- أمّ المحامل: الناقة.

٣- أم السعف والليف: النخلة.

صناعة البناء

تعتمد صناعة البناء على المواد المحلية المتوفرة كأساس مثل الحجر والتربة الصلصالية اللزجة، وحجر الكلس المعروف محلياً بالجصّ، وجذوع النخل والتبن وتصنع الأبواب والنوافذ من أخشاب الأشجار المحلية كالسدر والتوت وإلى حد ما الآثل. ويمكن تشييد بيت أو بناء شعبي كامل من هذه المواد حتى بدون مادة الجص والتبن.

أما البيوت الفخمة الوجيهة الكبيرة فتدخل في إنشائها أعواد الدنجل **addanchal** ورقائق (الباسجيل) **elbascheel** وأخشاب السيسم الصلبة والأصباغ الزيتية، والمسامير وحلق الأبواب ومزاليجها النحاسية الذهبية وأبواب الدواليب، وكلها تستورد من الخارج، ومعظمها إن لم يكن جميعها من الهند.

ولمهنة البناء خبراء مهندسون مصممون، منفذون يدعون «الستّادية» أي الأساتذة ومفردها «الستّاد» ولهم مساعدون خبراء أيضاً، ولكن دون مهارة معلميهم.

ومن المساعدين من يصل إلى مرتبة الستّادية بعد خبرة ومران طويلين.

فالأستاذ يقوم بتخطيط المنزل وتحديد الأبعاد ووضع تصميم مفصل له ولجميع أقسامه وأجزائه ومرافقه وجميع المساحات والأحجام وتصور للأشكال فيه حسب رغبة المالك مع رسم الواجهات وأنواع وأحجام الفتحات والنوافذ والأقواس والارتفاعات. ويحدد المواد وكمياتها التي يتفق صاحب المنزل مع متعهدين لتأمينها أو

يتولى الأستاذ تأمينها أو بعضها بمعرفته ويقوم بتأمين فرق العمل العاملة معه وتشمل:

(١) الحفـــارين:

الذين يحفرون خنادق الأساسات بواسطة الأهياب (قضبان حديدية ذات رؤوس مسطحة حادة)، وصخاخين صفائح حديدية ذات حواف سفلية حادة لنقض وإزالة التربة «والزبلان» الزنابيل الخوص لرفع الثرى.

(٢) ناقلي الثـــرى:

(٣) الطيانة أو المطينين:

الذين يخلطون الثرى بالماء ويصنعون الطين ومنهم من يحضر الماء من مصدره في تنك ودلاء معدنية (بوالدي) جمع بالدي.

(٤) مناولي الطين:

الذين يعبئون «اللياين» أوعية معدنية مقعرة لنقل الطين إلى حيث موضع البناء ومنهم من يقوم بمناولة البناء صحون الطين مباشرة، ومن الطين نوع أخضر يخلط بالتبن للياسة من داخل الغرف.

(٥) الحجـــارين:

الذين يقومون بتشذيب قطع الحجارة الكبيرة بواسطة الفرعات والقداديم (جمع قدوم) الصغيرة.

(٦) ناقلي الحجارة ومناوليها للبناء وناقلي الجذوع.

(٧) مقطعي الجذوع:

وهم المجموعة التي تتولى تقطيع جذوع النخل حسب السماكات والأطوال

المطلوبة وتشذيبها. وفي حالة استعمال الدنجل والبسجيل فهذه الأعواد والرقائق تأتي جاهزة ما عدا تقطيع الباسجيل حسب الأطوال المطلوبة بمناشير وسكاكين خاصة.

(٨) مناولي الجذوع والدنجل والباسجيل:

وهم الذين ينقلونها ويناولونها ويرفعونها للبناء.

(٩) الصـّـباغين:

الذين يقومون بخلط الأصباغ وتحضيرها، ثم يصبغون أسقف الغرف من الداخل المرفوعة بأعواد الدنجل ورقائق الباسجيل، وفوقها حصر «البواري» جمع بوري، وهو خصف نباتي صلب مستورد حسب تشكيل معين مرسوم سلفاً بمختلف الألوان المتناسبة بحيث يبدو السقف للناظر إليه من فوق الأرض كلوحة فنية تشكيلة هندسية زاهية لامعة رائعة. كذلك يصبغ الصباغون بالورنيش البني الشفاف الأبواب والنوافذ وأبواب الدواليب والخزانات الخشبية الجدارية، والمحلاة بالحفر والنقوش البديعة بعد تركيبها ووزنها من قبل الأستاذ.

(١٠) حارقي الصار:

وهم حارقوا الحجر الكلسي الذي يجمع في كومة كبيرة بحجم ٢٠ قدماً في ٢٠ قدماً وارتفاع خمسة أقدام وتحتها أكوام من قطع من جذوع النخيل كوقود وتستعمل كجمرٍ يحترق ببطء على مدى عِدة أيام حتى ينضج «الجص» وينقل قطعاً كبيرة.

(١١) دقاقي الجص

الذين يدقونه بالمفضّات وهي مدقات خشبية ثقيلة الرأس،حتى يتفتت إلى تراب.

(١٢) ناخلي الجص:

الذين يستعملون مناخل كبير واقفة مائلة لنخل الجص.

(١٣) عاجني الجص: الذين ينقلون الجص الناعم في الزنابيل أواللياين إلى حوض،يغرقون منه مقادير معينة ويخلطونها بالماء في «اللّيان».

(١٤) ناقلي الجص المخلوط:

وهم الذين يحملون ليايين الجص المخلوط المغطى بالماء إلى حيث يناولونها للأستاذ فوق السقالات المركبة من الجذوع والأعواد.

(١٥) مشكلي قوالب الجص

بالإضافة إلى استعمال الجص في تلييص الجدران مع صنع التشكيلات والنماذج الموضعية بها إلا أن لهذه المادة وظيفة تجميلية فائقة الأهمية وهي عمل الأقواس والعقود وتيجان الأعمدة وغيرها من الأشكال الهندسية التي تصب على الأرض، ثم تركب جافة في مواضعها وفي العادة إذا لم يتوفر عمال فنيون لهذه المهمة الماهرة الدقيقة، يتولى الأستاذ أو مساعدوه عمل ذلك ويتطلب رفعها وتركيبها حذراً كبيراً خشية كسرها أو انشقاقها.

(١٦) صانعي اللبن:

جمع لبنة حيث إذا لم يتوفر حجر البناء، يتم عمل لبن أو طوب من طين أحمر لزج، داخل قوالب خشبية صغيرة فهناك من يحضر الثرى والماء وهناك الخلاطون وهناك صبابو القوالب في صفوف طويلة، وهناك ناقلو اللبن الجاف إلى حيث موضع البناء. و»السّتاد» يقوم بأعمال البناء بنفسه في جميع مراحله من بناء «الساس» (الأساسات) إلى التلييص وتركيب النوافذ والطلاء. ومع إشرافه بنفسه على كل كبيرة وصغيرة. وقد اشتهر في الأحساء «أساتذة» بناؤون صمموا وشيدوا القصور

والمساجد والجوامع الضخمة التاريخية والقلاع الحصون العسكرية والبيوت الكبيرة الوجيهة، وكلها تنطق بالمقدرة الفنية والمهارة القائمة فقط على التعلم والتدريب الذاتي والخبرة والممارسة والطموح. ولاتزال أسماء هؤلاء وأسرهم تتردد على الأسماع كلما جاء ذكر العمارة التقليدية في منطقة الأحساء كما أن هناك أشخاصاً كثيرين غيرهم ممن أجادوا وبرعوا في مهنة وفنون العمارة التراثية في المنطقة ولكنهم أقل شهرة من أولئك البارزين المعدودين.

• تعمير الأسلحة

اشتهرت أسر في الأحساء بتعمير وصيانة الأسلحة من بنادق ومقمعات.

يتوارثها الأبناء عن الآباء. ومن الطبيعي أن تنشأ هذه الصناعة وتزدهر للحاجة الدائمة إلى الأسلحة في الحروب والمعارك التي تعتبر ظاهرة دائمة بين جماعات وفئات ومجتمعات ودول. حتى أن البارود كان يصنع وينتج هنا لاستمرار الطلب الشديد المستمر عليه. وكذلك طلقات «الصتم» التي تصنع من الرصاص بعد تذويبه بالنار وصبه في أوعية ذات ثقوب صغيرة في أسفلها يتكون من كريات الصتم الصغير.

ثم إن تلك الورش كانت تصنع الأجرام الخشبية للبنادق التي كثيراً ما تنكسر أو تحترق في المعارك. كما تصنع بعض الأجزاء المعدنية للبنادق القابلة للتلف. على أن هناك نشاط الصيد في البادية والحاضرة الذي يتطلب استعمال بنادق مع ما تتطلبه هذه من تعمير وصيانة وتنظيف وبارود. كما يتم تصنيع بعض الأجزاء من الطلقات.

• الجلالة:

(بتسكين الجيم) وهي جمع روث البهائم من الطرقات وبيعها مقايضة بمواد غذائية إن وجد من هو مستعد للمقايضة حيث يستعمل الروث الجاف وقوداً أو سماداً. وهي مهنة بائسة ومذمومة حتى أنها تعتبر سبة ومدعاة للإهانة[1].

١- مقالات في تراث الأحساء، م. عبد الله بن عبد المحسن الشايب.

• الرحالة:

وتعرف في بعض القرى بـــ « بالرحاحْلِة» وتعني جماعة أو الأشخاص الذين لا يجدون ما يمتهنونه ويتكسبون به سوى عرض خدماهم على أصحاب مزارع الأرز، حيث يقومون بجمع السنابل التي بقي فيها حبوب لم تسقط بعد الدرس وتسليمها لأصحاها مقابل حفنات من التمر من النخيل قبل موسم الجني[1].

• جرش الحبوب ودقها ونسفها وطحنها

الأرز:

تستخدم لجرشه مجارش حجرية كبيرة تشبه الرّحى. ويقوم بهذه العملية سيدات مقابل أجور معلومة نقدية أو عينية من تمور وحبوب وكسوة. وفي عملية الجرش يتم استخراج الحبوب من قشورها ثم تقوم سيدات أخر بنسف المجروش في مناسف كبيرة، فيتم بذلك تذرية القشور وعزلها. ثم تقوم سيدات أخر بتنظيف الأرز من الحصى والشّلْب والشوائب الأخرى وتستخدم القشور المعزولة التي تسمى «السفير: كوقود إضافي يحترق ببطء حول وفوق قدور طبخ الهريس والكبة. ثم ينخل ويعطى المنخول الدقيق للدجاج بعد خلطه بالماء والتمر ويسمى السبوس.

الحنطة:

تستخدم نفس الطريقة المتبعة مع الأرز لجرشها، ولكنها تحتاج مع ذلك إلى الدق في مهابيش بواسطة رجال متخصصين يحضرون إلى البيوت لهذه المهمة مقابل أجور نقدية أو عينية. وفي هذه العملية يتم «تصقيل» الحب أي صقله بالدق المتواصل بواسطة مضارب خشبية ثقيلة، على طريقة دق الحبوب في الهاون.

وخلال الدق ترش الحنطة بالماء، بين حين وآخر لتسهيل عملية الصقل. ثم

١- المصدر السابق.

يقوم رجال آخرون بعملية النسف في مناسف لتذرية القشور الرقيقة التي انفصلت عن الحبوب في عملية الدق. وفي هذه المرحلة يكون الحب جاهزاً لطبخه كهريس، أما إذا أريد أن تعد من الحنطة حبوب لطبخات الجريش المُفلّق فيتم جرشها على مرحلتين الأولى أصغر وطبخة المفلّق. وفي مرحلة ثالثة يطحن بالمطاحن لتحويله إلى دقيق للخبز والعصيد والأكلات الأخرى.

النـــقـــــل

تتوزع مهمة النقل على أوجه متعددة وتتطلب امتلاك حمار أو حمارمع «قاري»(عربة) ومن هذه الأوجه.

نقل السماد ويكون إما بواسطة «الخرج» (جمع) خرج» الليفية على ظهور الحمير أو في بطن القاري ونقل الرمل كذلك. ونقل الثرى للبناء، ونقل الجص، ونقل التبن، ونقل مواد البناء من حصى «في مناقل» وجذوع نخل وأخشاب وأبواب ونوافذ. ونقل البضائع داخل الأسواق وكذلك نقل الملح وتوريده. أما نقل البضائع من ميناء العقير إلى أسواق الأحساء ونجد، ونقل الصادرات من الأحساء إلى ميناء العقير ونقلها من الأحساء إلى مدن وقرى نجد، فيتم بواسطة الجمال غالباً على أنه يتم استخدام الحمير أيضاً في نقل بعض الواردات وبعض الصادرات بين الأحساء وميناء العقير، كذلك توريد الأسماك الطازجة بصورة يومية من العقير إلى الأحساء.

اللهجة الأحسائية

تجري على ألسنة أهالي الأحساء ألفاظ كثيرة قد تبدو غريبة على سمع أصحاب لهجات أخرى مغايرة، ولكنها تعود في أصولها وجذورها إلى اللغة الفصحى، قبل أن تخضع لتحوير وتشكيل على مر الزمن لتصبح أسهل نطقاً وأكثر تناغماً وانسجاماً مع طريقة النطق وإخراج الأصوات الشفوية التي هي بلا شك من نتاج وتأثيرات البيئة المحلية وعناصر تكوينها، مع الإبقاء على التقارب اللهجي مع المجتمعات المجاورة ذات البيئة المقاربة في خصائصها وثراث مجتمعها كبعض دول الخليج العربي.

وفي كتابه « الأصالة العربية في لهجات الخليج» وبعد أن يستعرض أمثلة في الحركات ومخارج الحروف في فصل «الانسجام بين الحركات المتجاورة في لهجات الخليج العربي تعود إلى أصولها الفصحى، يوضع الدكتور عبد العزيز مطر في الصحيفة ١٠٧ من الكتاب بقوله « ونستأنس لذلك بأن كثيراً من أهل المنطقة ينتمون إلى بني تميم، الذين عاشوا في شرق الجزيرة العربية.

أما الأستاذ محمد بن ابراهيم الملحم ففي كتابه « العامية الفصيحة في لهجة أهل الأحساء» أورد ٣١٩ كلمة أرجعها جميعها في بحث لغوي علمي إلى اللغة العربية الفصيحة، مع إشارته إلى أن المقاربة بين الكلمة العامية والفصيحة لم تتطابق ويشير إلى احتمال تطابقها أصلاً مع وجود تحريف عن هذا الأصل في العامية. وإن كان ورود ذلك في « هذا البحث قليلاً، فلم يتجاوز ٤٠ كلمة».

على أن ثمة كلمات دخلت في لهجة الأحساء من خارج المنطقة العربية بحكم

الاتصال التجاري. كما هو مع بلاد السند، مثلاً أو العلاقات السياسية، كما هو مع فارس وتركيا وخلال الفترات التي تعرضت فيها المنطقة إلى حكم هاتين الدولتين وفي الفترة الحديثة، بعد مجيء شركات البترول الأجنبية إلى المنطقة دخلت بفعل الاختلاط عدة كلمات من اللغة الانجليزية إلى الاستعمال اليومي في اللهجة، وأغلبها مسميات لأشياء مادية مستخدمة، وتشمل المفردات مئات من الأسماء والأفعال التي قد يتخذ بعضها طابعاً محلياً بالتحوير في لفظه الأصلي الفصيح.

فمن الأفعال، مثلاً، المضارع بصيغة المتكلّم «أبي»أي أريد، الذي يبدو أن أصله «أبغي» أي أطلب. ومنها أيضاً «يطمّ» بمعنى يسقف. والأصل في طمّ الماء علا وغمر. ويقال «إنطمّ»، أي اخرس. ومنها: «إنثبر» أي اسكت، وكفّ عن التدخّل أو المطالبة. وفي الأصل «ثبر»حبس وصرف.ويقال «لا تثوّله» أي لا تكدّر خاطره. وفي الأصل تثوّل عليه القوم، وانثالوا عليه بالشتم والضرب والقهر. ويقال فلان «أثول» أي لا يحسن التصرف. والأصل من الثول، وهو الجنون.

ومن الأسماء: «إللزاء» وهو حوض الماء في الساقية، الذي يتجمع فيه الماء ليصرف إلى المساقي. والأصل ألزأ أي أشبع، مما يعني مكان الري والإشباع بالماء. و»جْعَبُو» وهو النمل الضخم. وفي الأصل: الجعبي: ضرب من النمل.

ومن الصفات «أطرم» أي أخرس. والأصل الطرامة، الريق اليابس على الفم من العطش. وأطرم فوه، تغيّر. ويقال: «جرع» أي جريء. وهذا تحريف بإبدال الهمزة عيناً. ويقال الشيء «توّال» أي فاخر وممتاز، والأصل: التول: أي الداهية.

نماذج من مفردات محلية ومعانيها:

أ

انْباجْ : تمخض عن
إمبوش : دعوة الطفل ليشرب.
إرْيه : رئة والجمع أرايا
إفّادْ : فـؤاد
إلزَا : حوض الماء في الساقية
إحجَا : جدار السطح على الفناء
أثْوَلْ : عديم القدرة على التصرف الصحيح.
أكوْدْ : ربمـا
أهل الأرض : الجـن
أشْوا : هان الأمر
إجّه : نداء للبقرة.

ب

مْبَرطِخْ : ناضج كالبطيخة
متبحّل : متورط
يبحّرْ: يطالع الكتابة عن قرب شديد
بْوهَه : شبه في الوجه
يْبَنّد : يغلق المحل أي الدكان
متبرعصْ : يتقلب في الألم
مبتلِشْ : متورط أو مطالب
بادقِير : فتحة في السقف لجلب الهواء
بحّوهْ : مخلوق خرافي يخوف به الأطفال
بَهْنِسهْ : انشغال بأمور تافهة

ج

يجيب : يحـضر
يجَوّد : يمسك بـ
يجَذّر : يتضايق
جمْزْ : قضيب من قلب النخلة
جذبة : قلب النخلة
جْطله : رماه أرضاً
جخرْ : جحر
جحّه : البطيخة الحمراء
جخْ : جـحـر
جَعَاوْنِيّه : ضفدعة
جدو : ماهر في التصويب
جَازهْ : مواد العيش المخزونة
جغمْ : ملء الفم ماءً
جْعبوٌ : النمل الضخم
جفَسْ : جفل
جَفْسْ : خشن التعامل
جدّيوَا : نبات يؤكل
جَراجرْ : خصي
يْجدّيْ : يرشد الكفيف
جازِخْ : البلح لم ينضج

ح

يتحقرص : يتململ
حرْسون : سمك صغير في النهر
حَمامه : عضو الطفل
حزْبالي : حسبت
حَدر : ضرع البقرة وتعني أسفل
حَويْ : فناء الدار
حثْرابْ : الراسب في السائل
حَمُّوص : حشرة تسبح على سطح الماء
حاف : غير دسم
حْزاه : حكاية شعبية
يحِصّ : يوهن الحبل بالأسنان

حَبَمْبُوه : أول طلع النخل
حبّه : قُبله ، تقبيل
حَفيزْ : مكتب
يَحْبَطْ : يتضرر من كثر أكل التمر
يْحَاتِي : يحسب بقلق
يتحَلّطم : يؤنب دون توجيه الكلام
مْحتمشْ : غاضب
حتَنْ : حَزّة : وقت
حْجَاجْ : حاجب العين.

د

يْدُوْدي : الذباب يحوم فوق الطعام
دبونه : قليل الفهم
دَبّه : كرش منتفخة
يَدْبل : يقال دبَلْ كبده ضايقه بالطلب
يْدَلْقمْ : يعمل كريات
دَفشْ : خشن التصرف مع الغير
دَنْدَره : كثرة كلام
داغْ : حرق على الذراع بالعمد
يْدَرعِمْ : يدخل بهواجة
يْدَرْبي : يدحرج
يدش : يدخل، يذهب إلى المرحاض
دَعْله : مُلِحٌ في الطلب
دروْ : أهبل
دَرّوفه : الأرجوحة
يدندل: يدلّي الشيء
دريشة : نافذة
ديْدْ : ثدي
الداية :الأم بالتبني

ذ

ذيلي وذولي : هؤلاء
ذولاك : أولئك
يَذْلفْ : يذهب مطروداً
يْذبّلْ : يحصل على أقل شيء.
يتْمضْرَعْ: الأصل بالذال، يحرك ذراعيه في الكلام
ذَيُورْ : مردود : قليل
يْذُوِذيْ: الذباب يقترب من الطعام
يْذلَ: يتراجع عن الاتفاق
ذْلاَلْ : ظل
ذَرِبْ: حسن التصرف ، مؤدب
ظْكارَة : الأصل بالذال، ذكور
ظْرُوق : الأصل بالذال، جمع ذرق

ر

راهي : فائض عن القياس
رَبْرِبَهْ : كلام دون فائدة
رَزّه : التفخم بالمظهر
ربَا : حصى جيري
يَرْجدْ : يراكم
يربّ : يصقل النحاس بالحك
رِخاتيت : رواسب المرق
يْرنّ : يشبع ضرباً

ز

يزْهَمْ : ينادي . يهاتف
زَهِمْ: كريه الرائحة
زْنُوقِي : يغالط في الحساب
الزّام : دوام العمل
زْغَمْبُوط : صغير

يْزقَعْ : يصرخ . ينادي
مْزَبّرْ : طعام ملء الإناء زائد
يزِتّ :يدفع بيديه
يزِكْ : يشرب دون توقف
يْزَلْزِحْ : يحرك ثقلاً
يزَّهَلْ : يلتزم بشيء
مْزَهلق: مزين بالبهرجة
مْزَبْرَق: مزين باللوامع
زَكْرَة : شيء صغير
يزَتّتْ : يتعجل
يزَجْلب : يدحرج ثقلاً
يَزَلْفي: يصرف شخصاً
يزْنِط: يخنق

ز

زقبّي: عيّار
يَزْرِدْ: يغسل الثوب بشدة
يَزْنَتْ : يتنفس بصعوبة
يْزكَنْ : يُشْعِرُ مسبقاً
يَزْفِنْ: يرقص (الرجل)
يْزَغبِدْ : الطعام يضايق
مْزَنْدَخ: غاضب
زْمَاطْ: عقد ثقيل
زْقِرْتِي: متأنق
يَزْرِطْ :يبلع دون مضغ

س

سَبّاْجْ: حامل السقاء
سمَرْمَدي : سيئ الأخلاق
سَرُوْ: دودة كبيرة
سَرُوْد: صحن الجريد
سِنُونْ : غبار الدخان المتراكم
يسِفْ: ينسج الخوص
يْسَاسِيْ: يقعد الطفل على رجليه ليقضي حاجته
سلْتُوحْ : متبطل
سحّارة :صندوق خشبي
سْعَنوُنو : صغير جداً
سنْسون: مخاط
سْحَلة : إناء حفظ الطعام من النحاس
سرْبوت: سيئ الأخلاق
يسِف : يبلع دواء مسحوقاً
سِعْلو : من الجن
سفير: قشور الحبوب
يسَّلَبَتْ : ينسحب خفية
السّحاة: الوطواط
يْسّنعْ : يدبر
يساسر :يهمس
مِسْتَدْ : مكتف

ش

شلب: الحب بقشره
شِيْصْ : بلح فاسد النمو
شطِنْ : قسم من أرض النخل
شِطيبْ : قسم من النّخل
شكْوَه : سقاء صغير
شنْخْ: قسم
يَشقل: يحمل بخفة
يَشْمرْ: يتسلق الجدار بخفة
شبَا: نسيخ العنكبوت
شَشْمَاتْ: نظارة

مْشَيِّشْ: غاضب
يتشعوَطْ : يتناول من عل
شاخصْ: ألم
يْشْخترْ :البول ينساب لاصقاً
يْشَنْترْ : البول ينفر عالياً
يْشَعْثرْ: يبدد
شاخْ: فضة
مْشنغرْ: مكشوف (الجسم)
يْشَخْبطْ: يكتب بعبث
شدَخْ : سقط بصوت
يْتشاوَل : الحرق يزيد ألمه
يْشبِّحْ: ينظر بنهم
يْتْشَعْبَطْ: يتعلق
يَتْشَّبلْ : يشغف

ص

صْطَارْ: صفعة
مصْخَنه : جحلة الفخار
صار : محرق الجص
صْليحيْ : كرُوز الماء
صمَّطْ : جريدة
صُوَبه : كومة
صايهْ :جُبّة
صُوغَهْ: هدايا السفر
صاهيْ: سموم
الصِّمَرْقَعْ :العذاب
يْصَاغي : يُميلْ الإناء للنار
صخيْف : غير عريض
صَخَّينْ : محراثة
صَقيعْ : غبي
يَصْفطْ : يطوي الثياب
صرْصخْ: شديد الملوحة
صَمّيْ : حجر صلب
يْصَلْفطْ: يراكم
يصَاولْ : يصب ثم يعيد عدة مرات
يصَّلوَت : يهبط من فتحة ضيقة
صمخ : عدم السمع
يصَّعْفقْ: الماء يرتج
صَقْعَره : ضوضاء. أصوات
يَصْملْ: يثبت على اتفاق
يْصَاليْ : يشقى وهو يربي
يصَّاقَلونْ : يترافسون

ض

يْظَبّحْ :الأصل بالضاد، ينادي على مفقود
يْظوعكْ: الأصل بالضاد، يجر ثقلاً
يظبّْ : الأصل بالضاد، يتجمع (الناس)
يظَكْ : الأصل بالضاد، يضغط
الَظّعَويْ: الأصل بالضاد، عدم الشيء
ظيّان : الأصل بالضاد، أضواء، نيران

ط

يطمّ : يسقف
يطسّ: يذهب مغضوباً عليه
طبينَه : محرقة مخلفات الشجر
طبيلَة : مرآب السيارة
الَطّرما : مرقاب فوق الباب
يْطففْ: يغطي وعاء الرطب بالحشائش
طرّازْ : شحّاذ
طِرّاحة : لحاف محشو قطناً

طمْطمْ : صغير النعجة
يَطْملْ : يبلل بغزارة
طُروخْ : كمال زينة المرأة
يْطَشِّرْ : الماء يتطاير
طرَطنقي : متبطل
يطَّمَّشْ: يتفرج
مْطَحْبلْ : مليء البطن بسوائل
مْطَحْشَلْ : متضخم الكرش
يطِّنِّزْ :يسخر من
يطُوطِحْ : يدلي يديه
مْطَمْبلْ: الرأس ثقيلة
يْطَرِّشْ: يرسل
طْبَازه : عبث
طرَان : لوثة
طُنْطوَره: شريحة قماش
يَطْري : يذكر
طِبرَّزَحْ: عديم الفائدة
طرَابيزه: طاولة

ظ

مْظَعْرِطْ :هزيل

ع

عاذْ : كيف ؟ أجل؟
عوَاوي: كلاب
عفُوْ : جحش
عسُو : مكنسة قنو
عَسَقْ : جذوع العذوق
عَسَمْ : أيسر
يتْعَطْعَطْ : يترنج
يعرّ : يغادر غاضباً
ييْعَوِّرْ : يؤلم. يصيب
يْعَدِّف: يلقي الزائد
يعيْلْ : يعتدي
عنقيش: نوى الخوخ، مفردها عنقيشه.
عَطن : سماد
عُوَمْ : سمك صغير
عَصَاجيْلْ : أطراف هزيلة
علْبَا: عضلات الرقبة الخلفية
يْعَمِّدْ: الدخان يتصاعد
عَرَبانه: عربة
يْعَطْرزْ: الجحش يركض
عوعو: عظم بطن الطير
عَلْبْ: (التمر) قاس
يْعَنْقرْ: يخل بتوازنه
يتْعَلَّثْ: يأتي بعذر كاذب
العصْملِّيْ: العثماني
عَطيفه: حظيرة النخل
يْعرْفَطْ : يحدث ثنيات
عطْبَلِّيْ : طبخة فاخرة
يتْعُومَسْ : يضيع الرؤية ماشياً
يْعَسِجْ:يطأ شخصاً سهواً
عرُوْرُو: طويل الرقبة
يتْعَلْبَكْ: يتعقد
عَيَّا : رفض
مْعَنْطِزْ : رافض بعناد
متْمَغْنِقْ : متشبث بالشيء

ف

فطّيّة : نصف جذع النخلة طولياً

فداوي: أحد الخويا أوالحجّاب
فذ: الطعام المتبقي
فصم : أجزاء من التمر
يفهق: يفتح قليلاً
يفغص : يعصر لحم الحيوان
يفشّل: يخزي
يفوشح : يباعد بين رجليه
فح: خط
يفلفص : يقشر الحبوب
يفنقش : يموت
يتفخّر : يتشبع بالماء
يفرتك : يخرب خطة
فاهي : سارح الذهن
فوالة : ضيافة فواكه
يفاحص: ينفلت
فناتيق : روايات عجيبة
فنر : سراج
مفشوخ: عريض الوجه
مفدوغ: متساوي الوجه

ق

قتم : أخرس
يقصق: يمشي في طين مشبّع بالماء
يتقلقص : يحشر نفسه
قنادر : حذاء
يقافص : يكاد يغرق
يقططق : يقلي بسرعة
قش: متاع
يتقضّب : يتمسك
يقرمع : يجعله أصلعاً
يقرقع : يهز الباب
مقصمل : قصير الثياب
يقمز : ينهض بسرعة
يقص : يكذب يستغفل
يقس : يدنف
يتقحول : الثمر ينشف
قصمول : غصن يابس
مقلدم : غاضب
يقلط : الضيف يدخل
قيصرية : سوق القيصرية
قاري: عربة الحمار

ك

يكون YECHOON
يسوق شخصاً ضرباً.
يكوّت : يلون الثوب بالأزرق
يكرفس: يجمع جسم الشخص عنوة.
يكلفت : يراكم يجمّع
كرفاية : سرير خفيف
كيكلان CHAICHALAAN
كائنات مائية دقيقة
تشاتشيخ: متزين بأشياء ثقيلة
تشبمبخ: CHEBAMBAk
كبير وثقيل بزيادة
كفسي : عديم المروءة
تشاسبي :CHAASBI
صنف من الرطب.
كاروب: طلع في جذع النخلة
يتكلكد : المناسبة تفسد
يكبّخ YWCHABBE

يمشي في الطين بصوت
يكاسر : يساوم في الشراء.
يكمخ : يضرب على الرأس
كبت : دولاب
يكرد : يحك باستمرار
يتلعبط : الزواحف تناور بأذنابها
متكندر : مائل
كمر : قوس الفتحة
كندوج : مخزن للتمر
كندية : غرفة بين طابقين
يكعوش : يغضن وجهه
يكع : يحفر بيديه

ل

يلوب : يلحّ
يلوت : يلوي YELOOT
يلوّت : YELAWWET
يطـوي
يلدد : يسبب تأخيراً
يلشط : يضرب بالعصا بخفّة
يلملم : يجعل عجينة كريات
يلطّ : يشرب دفعة واحدة
يلتّه : يعذبه وعوداً
يلغص : القلب يدق حذراً
يلطس : يسدّ بالطين
يلس : ينيء بسرية
يلمخ : الأعمى يضرب
يلهد: الطعام القليل ينفذ
يتلعوز : يشقي عيشه

م

يمق : يلفظ الماء
مقاقة : تحمل
مصاخة : مزاح سخيف
يموص : يغسل باقتضاب
مدوّد : غزاه الدود
يمش: يمسح
مول : أبداً. الوقت متأخر.
يمك: يعجن المسحوق بالسائل
يماتع : يخدم طويلاً
يملّ : يضرب بشدة
ميوه: mayweh فواكه النخل.
مير : mair تقديم لحجة فاجة
مارج : البيض فاسد
مَنَـزْ : سرير الرضيع
ميز : منصة الدلال
مدي : حوض سقي البهائم
مجناز : صنف من الرطب
يتمحّت : يضغط عضلاته
موب ، مب : ليس

ن

نسو: مرحلة بدء الحمل
ينتخ : يبرز من ضيق
ينطل : يلقي بلا مبالاة
ينفت : القط ينفخ غضباً
ينفج : يشبع تقريعاً
ينطر: ينتظر، يقفز
نبّ : نبأ
ينح: يضرب بجمع يده على الظهر
ينغر : يطالب بالمثل

يتنعّز : يبتعد على مرتفع
ناطز : بارز بتشويه
ينتر : يقطع من طرف القماش بتخريب
ينكب yancheb يفرغ الطبيخ
ينهجل : يطـــرد
نصّاص : سهل التأثر
نبيّداك : كيف. ألا نعلم
ينكت : يفرغ
ناجل : متورم
ينذخ : يزجر
مْهَفْتَج : لا يتقن لتعجله
هريت ! : ألا تشبع!
يتهنقم : يلوم
متهتمل : رث الثياب

هـــ

هيب : أداة حفر
يهــدّ: يطلق
ينهدّ : ينطلق
هـــده : بعثره
هوّن : تراجع
يهذ : يتلو القرآن
يهمز : يكور لقيمات الأرز
هبابه: يكاد يكفي
هنتينُونِصّ : اثنتان ونصف من الهلل
هيس : سيئ السلوك
هافي : ناقص الوزن
هراة : رأس الجذبة، وهي قلب النخلة
يهاوش: يوبخ
هبشة : كثير
يهوبع : يمشي على غير هدى
هلالي : صنف من الرطب

و

وخر : ابتعد
وجر : حمل سماد على الحمار
ولايتي: بضاعة أصلية
وكرة: جانب من النهر
يوتّن : تطعيم صحي
وكيح : وقح
يورص : يؤلم
الوثر : شداد الحمار
يولّم : يجهّز
الوار : وحدة طول للقماش حوالي متر
يوذ : العصا تصدر صوتاً
يور : يوزع على الحضور
وفاية : زيارة
وذف : أنيق وخفيف
ودر : مشؤوم
ما يهجا : لا يشبع الرغبة
يهيّت : يترك بلا إعاشة
يع : شيء كريه
يحيه : نداء للضأن والماعز
ياهو : نوع من الطيور
يم : عند ، حول ، بجانب
يوه: للتعجب
ييزي : يكفي

تعبيرات خاصة: تكثر في اللهجة الأحسائية، المصطلحات والتعبيرات الخاصة، وبعضها يحمل عدة دلالات مثل:

إهـــا: للزجر والاستعجال، والحث والإقناع.

بـــسّ: وتعني الاكتفاء ووقف الموالاة واستمرار التقديم والعمل. كما يكون عند صب فناجين القهوة وتعني الأمر بالسكوت أو ترك كلام غير لائق. ويقال « بسّ وْ يبَسْ» كزجر ودعوة بالعقاب، وتعني سؤالاً يعبر عن استقلال الشيء أو الكمية المعطاة. فكأن السائل يقول: ألا ترى أن هذا قليل؟، وتعني التنبيه: فتقول: بسّ جاءتني فكرة. وتعني الزجر عن النزاع وتعني التعبير عن الزعل والتأثر من فعل أو كلام فتقول: بسّ. بسّ، ماقصرت (سخرية) وتعني «لكن»، كما في المثل « ما تْخزّ، بسّ منقوبة» وتعني «فقط»، كما في «عطني بسّ ريال» أو «عطني بسّ شويّ» وتعني المبالغة في الوصف. في مثل «بسّ موت» أي جميلة جداً. وتعني: هكذا صار. جواباً لا يحمل أي معنى. كأن يسأل المدرس التلميذ لماذا لم يعمل الواجب، فيجيبه «بسّ». إلى غير ذلك من الدلالات. وهي تضاف إلى ضمير المخاطب المتصل فيقال: بَسّك و»بَسْكُم.. ياالله».

بَعَـــدْ: وتعني: أيضاً وطلب الزيادة والتكرار وتعني التعجب فيقال: بَعَدْ ولا أنْتبْ متِّعِظ؟ أو: بَعَدْ وِتْسَوّيها. ماكفاك..؟ وتأتي بعد «ما» فتقول ما بعد ياصل (لم يصل بعد) مع أنها في الفصحى تدخل على الاسم فقط أما مع الفعل، فيسبقها منفياً. وتعني أن الطريق أو الوقت لم ينته. وفي المناجاة والتدليل: تقول الأم لطفلها: يابعد عمري. أو لإجابته حين يناديها تردّ: بعد عمري. إلى غير ذلك.

بعدين: تعني فيما بعد. وحين تسبقها الواو، فإنها تعبر عن نفاد الصبر والانتظار والاحتمال. وقد يكون الجواب القاضب « لا بعدين ولا قبلين».

تَوّ الناس: وتعني أن الوقت لا يزال مبكراً. وتعني «توّ» فقط الآن، في

مثل: توّ الفرحة تمت أو: تو ما عرفت أو وتو البيت تِبارِكْ اِبْكم (بِكُمْ). وتضاف للضمير المتصل، فيقال توّهْ رايح. وتعني منذ لحظات فقط.

وتوّكم جايين. وعكس توّ الناس « الناس مُول mool أي إنّ الوقت متأخر (ليلاً). وتعني ليس بعد في: توّ الرطب ما طاح.

يخلّي: بمعنى يجعل. مثل « يخلّي البيت نظيف» أو « خلّ الولد بيشيل الشنطة». وبمعنى « يترك «: في: خلّ عنك التطنّز أو خلّوه على راحته. وبمعنى يطيل العمر كما في الدعاء « الله يخليك».

يجوز: في الأصل تكون: ما يجوز: أي لا يجوز شرعاً. ولكن لها استعمالات أخرى كالنهي في مثل ما تجوز عن فعلك. أي ألا تنتهي. وتقول: جِزْ عن الولد: أي لا تتعرض له بشيء وتأتي بمعنى يناسب: وغالباً في النفي: يقال « ما جاز له» أي لم يناسبه.

أثر: بمعنى إذن: فتقول: أَثْرْ السالفة كذا؟ وبمعنى الاستنتاج فتقول: ما شفته من يومين، أَثْرَه مسافر. وبمعنى تحديد ظرف زمني في الماضي: فتقول. نِطَرْتَه أَثْرَه جِدْ وِصَل قبلي. وتعني الاستغراب: فنقول: أَثْرَكْ ما تعرف شيء. وأَثْرَه ما داخل أحد. (وهذا التعبير يعني أن الشخص غير متزن) وكما نرى، فهي تضاف للضمير المتصل. ومع أنّها تلفظ بكسر الثاء، إلا أن المعتقد أن الأصل هو بالفتح وأن هذه الاستعمالات وما يشابهها، قد جاءت من المعرفة اللاحقة لشيء حصل وترك أثره الذي دلّ عليه. وهناك المثل المعروف « جيت أبي الفايده أثْرْ الخسارة زايدة».

تمّ: بمعنى بقي، ظل، فتقول « تمّيت أحتريك لين العصر». « تموّ في النخل ما جاو». وبمعنى تُرك بضم التاء في: « تميت بروحي» أي تركوني لوحدي.

تــرى: بمعنى انتبه. فيقال شِفْ، ترى العفو ما عِسِمْ (أي أن الجحش لم يروَّض بعْد). وبمعنى التحذير فيقال: تراني بتأخر. وخِذْ الشتري تراها تمطر. وبمعنى

نفاد الصبر. فيقال تراك مصَّخْتها. ولابداء الاستعداد: فيقال إذا بغيت شيء تراني حاضر. وللتهوين. فيقال: لا تمتم ترى الموضوع بسيط.

إلا: تسبق عبارةً، لتكون جواباً مختزلاً مفهوماً عن سؤال أو استفهام صريح أو ضمني أو عن دهشة وتبلبل. فمثلاً يسأل شخص ليش الولد يصيح: فيكون الجواب: إلاّ يبي يطِقّ إخْتِه، ليش إنها كسْرَت نبّالته ما تدري (عفواً). وفي معنى الفجأة: حين يدخل رجل على النساء فيخشين أنه أجنبي فيقول من فوره. إلاّ خالكم. أي ما أنا إلاّ خالكم.

إنــزين: وهي مركّبة من إن وزين. وتعني، الاستجابة بما يعني الموافقة، أو الإفادة بأن النداء أو الطلب قد وصل وفُهم. وفي حالات يكون هذا الجواب في ضجر وتأفف بعد حث وإلحاح. ويعني أيضاً أنه إذا كان الأمر كذلك، فماذا بعد؟. وتعني أيضاً: حسناً ولكن ماذا؟.

سادْ، سادِهْ: تعني الموافقة بعد الاستشارة.

إنبــلا: مكوّنة من إن وبلا. وتعني جواب التأكيد، عند السؤال المنفي في مثل: ما شفت فلان،: فيكون الجواب إنبلا. وتعني نفي النّفي أي التوكيد. فيقال: أظنك نسيت الموضوع: فيقال: إنبلا في بالي ما نسيته.

نبيّداك: تبدو لفظتها غريبة. وربما هي مركبة من فعل الأمر نبيء، ويديك،ودمج الفعلان بحذف الهمزة وتحويل الياء الثانية إلى ألف ممدودة لتسهيل مخرج الصوت. والجملة تحمل معنى مجازياً مفاده « اعلم» واللفظ معناه « ألا تعلم».

موب: وهي مركَّبة من ما، هو، ب = ما هو + ب فتقول آنا موب رايح: لست بذاهب وتعني «ليس» في استعمال لا يقتضي فيه. وجود الباء في مثل: موب: هذا، ذاك. أي ليس المقصود هو هذا، بل ذاك. وتنطق بدون واو وإنما بمجرد ضم الميم. فيقال هذا مُبْ زين. أي أن هذا غير جيد. ويقال: فلان مُبْ هْنِه (فلان ليس هنا).

يـــوم: بالإضافة إلى استعمالها بمعناها الأصلي، فهي تستعمل بمعنى: عندما: فيقال: يوم وصل هناك طاح. وبمعنى إذا، فيقال: يومْ اِنّك ما تبيه كان chaan ما خَتّه (ما أخذته) (أي، إذا كنت أو ما دمت لا تريده، فكان يمكن ألاّ تأخذه.

بروحـــه: أي لوحده فيقال: جالس بروحه. وبريحته وبريحاته. ويقال: خلوني بروحي. أي اتركوني لوحدي.

أفـــا: يخاطب بها الشخص، للتأنيب والتعييب ومعناها، هذا عيب عليك. وإن ما قلته أو فعلته لا يليق، أو لا يليق بك.

أُصّ: يخاطب بها الشخص أو الجماعة، ليسكتوا إما توبيخاً عن قول سيئ، أو للإنصات، أو قطع الأصوات هيؤاً لسماع شيء.

إمْهْ: emh وتعني تعال: أو للحث على اللحاق أو لتسفيه الرأي أو الخبر. وللمؤنث «إمْهَيْ».

ما ولاّ: هي: إما وإلاّ. ومعناها الحرفي، احتمال حدوث الشيء يساوي نسبة احتمال عدم حدوثه. ولكن في اللهجة تعني الظن بضعف احتمال حدوثه فتقول: بتصير قيمة التمر زينه ها السنة. فقد يكون الجواب: ما وِلاّ.

الحروف في اللهجة الأحسائية:

الهمـــزة:

تبدل إلى ع في كلمات منها: جريء تنطق جَرْع، وجُرأة: جراعة. ويبدأ: يِبَدعْ. وبدأت: بْدَعَتْ. وقد تكون كلمة « متحسف» تحويراً لمتأسف، كذلك تبدل إلى خاء في مثل مؤمّل: مْخَمّلْ، ويضربُ آمالاً: يطق خِمّالْ. وتبدل واواً: أنيس: ونيس. بقلب الهمزة واواً. وياء: بئس: بيس. جئت: جيت.

وتلحق الهمزة بالاسم والفعل والظرف والضمير، ففي الاسم نجد: رطب:

إرطب، غتر: إغتر. إكُوَر: كرات كور، نخيل: إنخيل، غبار: إغبار، رشاء: إرشيء.

ولا تكاد الهمزة الأخيرة تظهر بل تكون حركة وصوت الشين هو أقرب شيء لما بين الفتحة والكسرة، أو ما يشبه صوت حرف e في اللغة الإنجليزية، مع إشارته الصوتية e. وشتاء: إشتيء. مْخَانقْ (خناق): إمخانق. مئة: إمْيه. وهج: أوهَجه. يدين (مثنى يد): إيدين. رئة: إرْيه. ماء: ميء. نجوم: إنجوم. ويلحق بالاسم عند التصغير: صبي: إصبَيّ. طير إطْوير. بيت: إبيّت. يوم أوييم. وبعض الأسماء: إمبارك، إسعيد.

وتلحق الهمزة بالفعل في حالات مثل: لَحقه: إلحقَه. أما في حالة الأمر: إلَحقْهُ فتلغى: لِحْقَهْ. يبَسَتْ: إيبِسَت، بطحه: إبِطْحَه. كُلْ: إكِلْ. خُذْ: إخِذْ.

يَخْسَأْ: إيخسَءْ e.

وفي حالة أن يكون الفعل مسبوقاً بباء الاستقبال عوضاً عن السين فيقال: أبرَوح: أباكل. أبَنَامْ. وفي فعل الدعوة: جِعَلَك. أجْعَلَكْ.

وفي أفعال بالمدة مثل آذاني: تحول المدة إلى همزة مع تشديد الحرف التالي. فيقال أذّاني. ويحدث العكس مع كلمة أبوك: فيقال: آبوك، لابو بوك، حين الشتم.

وفي آخر الأفعال جاؤوا: جاو: جيتم جيتوْ. جاء الشيخ جَشّيْخْ ja shshaikh ومن آخر الأسماء: ضوء: ضَوْ (نار)، نَوْءْ: نَوّ. وتبدل إلى واو، أكيد: وكاذْ، أنيس: ونيس،.

وتلحق الهمزة بأسماء الاستفهام مثل متى؟ إمّته ummeteh ومع تفخيم وتشديد الميم. وكم المسبوقة بحرف الجر الباء فيقال: إبْكَمْ. والكاف هنا تنطق بصوت هو مزيج من التاء والشين. ويمكن الرمز إليه بصوت ch في اللغة الإنجليزية. وتلحق بالدعاء بالسوء المسبوق بالواو. فيقال أوْ وِجع، وتلحق الهمزة بالدعاء أُوْ طير، أُوْ هَفّه. وتكون منطوقة بصوت (oo). وتلحق الهمزة بالظرف. ففي هناك، يقال إهناك وهُنا: إهْنه.

وتلحق الهمزة بالضمائر فتكون هُوَ: إْهوَهْ. هُمْ: إِهُمْ مع ملاحظة أن صوت الهمزة هنا يقع بين الضمة والكسرة (ue) نحنُ: إحنيء. هِيَ: إِهِي، إِهْيه.

وتلحق بالضمير المسبوق بالباء: بك: إِبِكْ. بِهْ: إِبِهْ.

وتحذف الهمزة في حالات:

في بعض صفات الألوان: أحمر: حَمَرْ. أخضر: خَضَرْ. وتحذف من بعض الأعداد: اثنتان: ثنتين وهنتين. اثنين: ثنين. وتحذف في الصفات الجسمانية أو العقلية المعيقة: أعمى: عَمِيْ. أعور: عَوَرْ. أعرج: عَرَجْ. أحول: حَوَلْ أعوج: عَوَج. أحدب: حَدَبْ. وتحذف في الحروف: مثل:

إلى من إنه: (لَمِنّه جيء) (عندما يأتي). إلى أن: إلين **elain** وألين **aleen** (حتى). إلى أين: لوين **lawain**. وبدل إلى مدخلةً على الفعل: لا هبّ الهوا وإن الشَّرطيَة. وإن: وِنْ.

تحول الهمزة إلى وصل في يا ألله: يالله. وتحذف بعد النداء بياء. ياأمي: يِمّهْ **yemmah**. يا أختي: يختيه **yakhtyeh**. يا أبي: يِبَهْ.

وتحذف في لئلا التي تبقى منها اللام فقط كما في المثل « إبعد اللحم عن اللحم لَيْخِيس». (لئلا يخيس).

وتحذف في اسم إبراهيم ليبدأ بالباء الساكنة وإسماعيل يبدأ بسين ساكنة وغيرهما. وتحذف من أبو: فيقال: بو محمد، بو عبد الرحمن. وفي أسماء الأسر مثل: باالشويخ باالطوير. وفي كلمة أسبوع: فتنطق بالسين ساكنة سبوع. وفي كلمة أستاذ (بالدال) فتنطق ستاد. وفي كلمة امرأة: فيقال «مره». وفي كلمة إبليس: فيقال «بليس» بسكون الباء. وفي كلمة أُمّ المسبوقة بلام الجر «لِمّ ترجيك» لِأُمّ ترجوك.

وتحذف الهمزة في كل ما يرد في اللهجة العامية بديلاً عن اسم الاستفهام

«أي»، السابق لكلمة شيء، التي تختصر إلى حرف الشين، أينما وردت. أي شيء لونك: **shloanak** أي كيف حالك ؟

أي شيء تريد: شْتَبي ؟ **shtabi** شْتَبْغِي.

أي شيء عملت: شسويت ؟ **shsawwait**.

أيُّ شيء بِكَ: شْبكْ، شعلامك ؟

أي شيء فيك: شفيك ؟ **shfeek**.

لأي شيء: ليش ؟ **laish**.

بأي شيء: بيش ؟ **baish**.

أي شيء أخرك: شَخّرك ؟ شَخَلّي ؟ ماذا أُخَلّي (أترك).

وتكون بديلة عن: ماذا: ماذا تريد: شْتَبِي.

وعن أين المسبوقة بـ من: من أين: منين ؟ **mnain**.

وتحذف من أوائل الأفعال: أكلت: كلت **kalt**. ما أقدر: مقدر **magdar**

وآخرها: يطأ: ياطا.

وتحذف الهمزة من أول الاسم المسبوق بـ كل: كل أبيكم:كلّبوكم **kellebookem**. ومن وسط الاسم عباءة: عباة. رداءة: رداة، ومن أول الاسم أحدكم: حداكم. وبعد لام التأكيد: والله لأريك: والله لَوَرّيك **lawarreek**. ومن حرف الشرط إن المسبوق بالواو، وإن جئت: وِنْ جيت **wenjeet**. وبعد ما التعجب. ما أخف دمه: ما خِفّ دمّه ما أزينه ؟ شزينه؟

وبعد ما الاستفهامية ما أطوله شْطُوله ؟ وإذا سبقتها واو العطف، داخلةً على فعل وألوي: وَلْوِي. وعلى إياك: وإياك. وِيّاك مع كسر الواو ومن حرف الجر: إلى»

هذا الحين: لها الحين. من هنا إلى هناك لهناك إلى هذا الحد: لها الحد.

الألف:

سواء الممدودة أم المقصورة، تخضع لتغير في اللهجة الأحسائية يتبع سهولة النطق كما في بعض لهجات الخليج التي تقصر الممدود وتخفف الهمزة. كما أنها تزاد في مواضع وتحذف في أخرى وتحول إلى ياء أو واو في مواضع ثالثة. فمن مواضع قصرها: ماء: ميء (مع تخفيف الهمزة) وسماء: سميء. جاء: جيء. مَشَى: مشيء حاشا: حَشِيء. علماً بأن حركة الألف هنا، هي صوت بين الفتحة والكسرة. كما يشير إليه صوت (e) في اللغة الإنجليزية.

ماي: ماء.

والألف تزاد في حالات منها:

رُقَيّ: رِقاي. سقي: سِقَايْ segai. محقن: محقان. طَبْخ: طِبَاخ. يعني: يِعاني، بالعدل: بالعدال. بِدَلْ: بِدَالْ.

وتحول إلى ياء في حالات منها:

واسع: وسيع. يتفاخر: يتفيخِر yetfaikhar. يتماوت: يِتْميوَت yetmaywat. يداور: يِديْور ydaywer. لعل: يَعَلّ.

وتحول إلى واو من مثل: يلاحق: يلوحق. ستادية: ستودّيَة. يباعد: يبوعد. يصادد: يصودد.

وتحذف الألف في مثل:

ما حاجة: محاجه. عافيه: عَفْيه. إيماءة: وَمْيه. يا أخي: يَخُوي. يا أمي: يِمّه. إلى من: لمن (جيء je فلان) بمعنى عندما يأتي.

الباء:

يدخل حرف الباء على الفعل المضارع ليجعله في صيغة استقبال عوضاً عن السين مثل: سأذهب: بروح (أو أبروح) سآتي: بَجِيْ **baji** (أو أبجي) سأمشي: بمشي سآكل: باكل **bakel** (مع حذف الهمزة) سأنيخ الناقة: بَنَوِّخْ الناقة (القاف هنا هي بنطق حرف **g** في **get** في الإنجليزية. وأحياناً يسبق الباء همزة. كما ورد، وفي أَبَشْرَب، أبسافر، وغيرها. وللغائب. سيمشي: بْيَمْشي (**byamshi**) أو إِبْيَمْشِي (**ebyamshi**). بْتِطْلَعْ. بْتِقْرُون **btegroon** ؟ بتِّمِّهْنِه ؟ في الاستفهام: هل ستظل هنا؟

وتدخل الباء على الفعل، أيضاً ليعني العادة، أو الطبع: فيقال بخاف من الظلام، وبحب العصافير، بموت عليه.

وتدخل الباء على ليا: بَليّا: زعل: أي بدون زعل. وَبَليّا صحّة: وبروح بَلَيّا غِتْرهْ.

وتدخل على كاف المخاطب المسبوقة بلام: بلاك ما حفظت الدرس ؟ وبلاكْ مستغرب ؟ أو: بلاْ والله ما تدري.

وتأتي بدلاً من بعض الحروف: في مخنق: بخنق **bekhnag** ومرطبان في برطمان. وهنا حالة قلب أو إبدال.

التاء:

من سمات التاء في اللهجة المحلية أنها دائماً تنطق هاء في حالة السكون عليها. في مثل حياه وصلاه وعباه ومجباه وغيرها.

وهي تأتي بديلاً لحرف الثاء لأنها أخف منه ومخرجها قريب من مخرجه اللساني. فيقال: ألتغ بدلاً من ألثغ وَبديلة للطاء: فيقال ترثوث (طرثوث).

وهي تحذف أو تدغم في الطاء في الأعداد من ١٣ إلى ١٩ فيقال ثلاطعش، مع تشديد الطاء. وتسعطعش مع حذف الراء الأخيرة.

وهي تدغم في كثير من الأحرف. فيقال إنْجّرب en jjarreb أي أنت تجرب. ولا جِّيبْ شي، أي لا تجيء بشيء (لا تحضر شيئاً). وتدغم التاءان المتجاورتان مع التشديد في مثل لا تِّرسِه latterseh لا تَتْرسْهُ: أي لا تملأه.

الثاء:

تأتي بديلاً لحرف التاء في كلمة توت ولحرف الفاء في فوم وحرف الفاء في فم وتغير إلى هاء في اثنتين (هنتين) وكان هناك وحدة من القروش هي اثنتان ونصف (هنتين) فكانت تذكر هنتينو نص hentainooness. وهي تحذف في ١٣ فيقال ثلاطّعَش. وتقلب طاء في لثام: فيقال لطُومه وإلى سين في ديُّوث. وإلى ذال في بَثّ. فيقال بَذْ الحب أي بثه ونثره. رغم أن الصفة في الكلمة تمر بذّ، لا تعني أكثر من كونه جافاً لا يلزق بعضه ببعض[١].

الجيم:

تأتي بديلاً للقاف. فيقال ثجيل، وجِبْلِه: قبله. وباجي: باقي. ويجسم yjassem وهي تقلب إلى قاف في كلمة قِزاز أي زجاج (بالقلب) فيقال قِزاز بالقاف الكافية (المنسوبة إلى الكاف) أو الجيم القاهرية، كما يذكر في بعض كتب اللهجات[٢]. وهي على العموم ما يمكن أن يرمز إليه بحرف g اللثوي كما في لفظ get أينما ورد لإيضاح نطق الحرف الذي يقابله في اللهجة المحلية الأحسائية. كما يقال أيضاً دزاز (زجاج). وهي تقلب إلى ياء في بعض الأماكن في الأحساء مثل عَوَيْ: أعوج، ويمعه: جمعة. ولكن في المدن مثلاً، فهل على العكس، تحلّ محلّ الياء في الكلمة

١- لسان العرب: مادة بذذ.

٢- الأصالة العربية في لهجات الخليج، د. عبد العزيز مطر، المقصود هنا الجيم القاهرية فقط.

الأصلية الأجنبية الواردة. وهي السراي أو السرايا فقد عرف قصر الحكم منذ فترة الحكم العثماني للأحساء باسم السّراج، كذلك وهي ترد بديلاً عن الياء في «يافوخ» فيقال جافوخ. وتحلّ محلّ القاف في «قدوم». فيقال جَدّوم. وفي يَدْقِم مع التشديد فيقال: يْدَجّم ydajjem «ظروسك» أي يكسّرها. وفي استبدالها بالقاف مع تأْ تكون جيماً مشددة فيقال مَجابْلِين mejjebleen: متقابلين. كما تقلب قافاً في زجر. مع استعمال «على» فيقال زِقر zegar عليه.

الحاء:

يدخل في ألفاظ التصويت والنداء لبعض الحيوانات مثل حاه: لإيقاف الحمار. ويَحِيهْ لنداء الضأن والماعز. وإيشّحَوْ: لإثارة الكلب وللتنبيه للدخول على أهل البيت: مع الهمزة والياء: فيقال إحِه.. إحِه. وللتأفف من حرارة النار وتنبيه الصغير، مع الهمزة والتشديد فيقال: أَحّ. وفي حالة التأفف من شدة البرد فيقال: وَحّ.. وَحّ. أو وَحّيكْ.. وَحّيكْ. وتأتي كما يبدو بديلاً للهمزة في متأسف: فيقال متحسف وحسافة: أسف. رغم أن كلمة حسافة من فصيح اللغة.

الدال:

يقلب إلى جيم في كلمة كردية، فيقال كِرْجِيّه، وهي المرأة التي تجلب من كردستان.

الذال:

يقلب إلى ظاء في بعض الكلمات، ظِكَر: ذكر. والجمع ظْكَارَه. وظِكَرْت: تذكرت. وظْرق: ذرق (وظْراع: ذراع). وتحل محلها الزاي في مثل بَزِر بذر: أي طفل صغير وجمعها بْزور وبزران ومَبْزَرَة.

وتحذف من الاسم الموصول: الذي. فيقال اللي مع كسر الهمزة تشدد وتسكن وتستخدم الهمزة بدلاً من المدّ في مثل أَذّيتَكْ: آذيتك aththaytak وتدغم في

التاء مع التشديد مع حذف الهمزة في مثل خَتْهُم khatthum مع تخفيض ضمة الهاء إلى ما يقرب من صوت الكسرة.

الراء:

تحذف في الأعداد من ١١ إلى ١٩ فيقال حْدَعش مع حذف الهمزة وتسكين الحاء وتشدد في كلمة يُري: فيقال يُوَرّي yewarri وَرَّه. وفي مريت marrait بالياء، بدلاً من مررت، وفي شرّيت: اشتريت عدة أشياء (الياء هنا في العامية هي صوت بين الفتحة والسكون، كما يمكن الرمز لها بصوت حَرْفَي ai.

الــزاي:

يحل محل الذال في بذر. فيقال بَزِر bazer أي ولد صغير وبَزْرَة: طفلة صغيرة. والجمع بْزور bzoor. وتقلب إلى جيم: فيقال باجِلاّ (بازلاء) مع حذف الهمزة وتنطق bajella بدون مد أخير وتأتي بدلاً من الصاد في تصغير صغير فيقال زْغَيِّر ولكن الزاي ممزوجة بطرف من الصاد، وزْغَنُّون zghannoon وزغمبوطو وسْغنّونو.. إلى آخره. وتأتي بدلاً من السين في « حسب بالي» أو حسب ما بدا لي فيقال: حِزْ بالي، وحزبته: حسبته أي ظننته. وتدغم في مثل يتزيّن: يزّيّن يزييء yezzaibe (يتفاخر) يِزِّقْرَتْ yezzagrat يصير «زقرتي» مِزّاعلين: متزاعلون: غاضب بعضهم من بعض.

الســـين:

تحل محل الصاد في مثل صدر: سد وسديري، صخله مع تفخيم اللام مفصخ: مفسخ (عار) صخونة: سخونة، بصاط، مصخنه: مسخنة (جرة الماء) صروال، الصكة، صوط. صطح. صطر (سطر). صنطوانه: أسطوانة (مع القلب).

الشين:

هي البديلة، بعد دمجها مع حرف التاء قبلها، لحرف الكاف لعدد كبير من الكلمات في اللهجة الأحسائية ويسمى هذا الصوت بالكشكشة، وهي ظاهرة فونولوجية (عائدة إلى علم الصوتيات)[1]. ويمكن الرمز لهذا الصوت بحرف ch وسنورد عدة كلمات كمثال:

سمك semach كابي chabi. باكر bacher. يبكي yabchi. كفل chefel. كِسْوهْ chesweh. كيس cheece. كبه chebbeh – كبة). كبريت chebreet. يتحكى yethachche (يتكلم). كمل chammal (نفد). يكيل yecheel (يكيل). يكوي yachwi. يكذب yachtheb.

ويأتي حرف الشين اختصاراً لكلمة «شيء» في مثل شلونك: أيّ شيء لونك والمقصود: كيف حالك. شعندك: ماذا عندك. شتقول؟ shtegool شسويت shsawwait. شخانته ؟ shkhaneteh: أيّ أيُّ شيء فائدته ؟ (ما الفائدة منه ؟). شها الزين ؟ sh azzain ما هذا الشيء الجميل؟ وشحلوه ؟ ما أحلاه؟ شحالته (للتحسر) شكثره shkethrah: ما أكثره للتعجب، أو ما مقداره للسؤال. ليش laish لأي شيء، لماذا ؟ بيش baish، بأي شيء. ويش waish؟ أي شيء ؟ ما منش: ما من شيء (نفد). بلاش: (مجاناً). إشّفْتْ eshsheft ماذا رأيت؟

ويدغم الشين في التاء في مثل مِشّرغد «متشرغد»: مستلق على ظهره.

الصـــاد:

يحل محل كثير من حروف السين في الكلمات كما ورد في حرف السين. وإذا وردت بعده لام فتكون في حالات مفخمة أو غليظة مثل صلطه: سلطة. يصلخ: يسلخ. ويدغم مع السين. فيقال «نِصّاعه» فيكون صوتاً واحداً طرفه الأول صاد وطرفه الثاني سين: (نصف ساعة). ويدغم مع التاء في مثل يِصّرقَعْ (يتصرقع) ويِصّطَرْ:

---

[1] - الكشكشة وردت في كتاب الأصالة في لهجات الخليج: د. عبد العزيز مطر.

يتسطر (ينذر نفسه لشيء أو مسؤولية) يِصيمَخْ yesaimakh يدعي الصمخ: عدم السمع.

الضاد:

في الغالب تخفض إلى ظ: فيقال الظابط، حظر (حضر)، يرظع، يتمظمظ، يظمك. ظَوّ (نار) ضوء. يتوظى. يظلع. « ظاعت الطاسة» ظروس. بيظ. ظرير. ظيجة: ظيوف.

وفي حالات يحدث العكس فتقلب الظاء ضاداً في مثل حضار: السياج وهي في الأصل من الثلاثي حظر، حفاضه الضهر (وقت الظهر). ضِمي: ظمأ.

وبعض الناس يقرأ « ولا الظالين» بالظاء. وتقلب إلى نون في أنا منطر أي مضطر.

الطـــاء:

تدمج مع حرف التاء وتشدد في مثل يِطّابَخْ: يتطابخ. يِطّمَشْ: «يتطمش» يتفرج على. وهي من الكلمات الأجنبية المستعملة محلياً التي يرد فيها حرف t تكون بديلاً عنه مثل pants بنطلون. potatos بطاطس. tomatos طماطم.

الظاء:

تحل في حالات محل الضاد، كما سبق إيضاحه في حرف الضاد. وتحل في حالات محل الذال كما ورد في حرف الذال.

العـــين:

تحل محل الهمزة في بعض الكلمات كما ورد في حرف الهمزة. وهي حرف مركزي يشتمل على كثير من الكلمات.

ويبدو أنه حرف يؤدي دلالة نفسية وإيحائية خاصة عند استعمال مفردات لمثل هذه الأغراض من مثل. يعّ. بمعنى شيء كريه يثير التقزز، و وَعْ، و وعُّوه (سبع وَرْبَع) للسخرية من شخص، وفعل. يكعّ: أي يطبق يديه بقوة مفردتي الأصابع محدثاً صوتاً قوياً، ثم يرفعها مثنيتي الأصابع في وجه الشخص المستهزأ به، مع قول: « وَعُّوه.. سَبِعْ وَرْبَعْ». ويقال: يلوّع الكبد».

الغـــين:

العامة تحولها إلى قاف، فتقول: قنم: غنم وقير: غير. وأقاني: أغاني.

تحل محل القاف في بعض الكلمات من مثل غازوق. (القاف g) أو الجيم القاهرية. والقازوق ربما هي أصلاً الخازوق، وهو الوتد في الحائط. ومثل الغانون: القانون. غولنج: قولنج (مغص في البطن) غلقه **glegah** اللام هنا مفخمة: قلق (اكتئاب) مْغُونن: مُقَنَّنْ. ياغوت: ياقوت. وبعض العامة ينطقون قرآن غوران. والمقاول: مغاول.

الفاء:

تقلب إلى ثاء في فم وفوم. وتُضعّف في «إفّاد» أي فؤاد. أو الفؤاد. التي هي أصلاً فيها قلب أو تبديل. وهي الحرف المميز للفظ «أفا» الوحيد في اللهجة الذي يستعمل للتأنيب عن عمل غير لائق. فيقال: «أفا عليك»: من العيب عليك. وهي كذلك في اللفظ المناسب للتعبير عن التأفف، والشوق. ومنه المثل « ما ينفع الأوف، ما ينفع إلا جُوفٍ (joaf) على جُوف».

القـــاف:

تقلب في الغالب إلى صوت الجيم اللهائية الخفيفة أو الجيم القاهرية. أو ما يقرب من حرف الكاف أو ما يمكن الإشارة إليه، أينما ورد هنا، بحرف **g** ومن هذه الكلمات: يِقُول **yegool**: قَبِلْ **gabel** (اللاّم هنا مفخمة) قبل. بقرة **bgarah**

بقره. قارورة (g) قراية «graayeh » قراءة قَرْشْ garsh قرش.قَطْوة gatwah مقص megas: مقص. قبقاب gebgaab. قِمَرْ gemar: قمر. يقطع yegtaa. قِصير geseer قصير. وهكذا في معظم الألفاظ وفي حالات نادرة تنطق القاف كافاً مكشكشة. كما في كلمة قد: كد ched وكمثال على استعمالها نقول «ما وصلت (أنا) إلا كد راحو وفي عبارة الله يِكْبَحْكْ yechbahk، أو يْكَبّحكْ ychabbhek أي يقبحك وفي فعل: يكتِل yachtel يقتل. ويقال: يكّاتلَون yechchatloan: يتقاتلون. وهي تقلب كافاً صريحة في كلمات: وقح، وقاحة، فيقال وكيح مع مد الكسرة إلى ياء، ووكاحة مع نطق الواو بصوت بين الفتحة والكسرة وتقلب القاف جيماً مشبعة. في كلمات من مثل: جدِر: قدر. ثجيل: ثقيل. جياسه: قياسه (وحدة وزن) والجبله: القِبلة (قِبلة المسلمين) ويجسم: يقسم: يوزع. صِجّ مع تشديد الجيم: صدق. وجْلادِة: قلادة. وتقلب غيناً في مثل غانون: قانون. مغاول: مقاول. وبعض العامة يقولون: غد غامت الصلاة.

الكاف:

غالباً ما تقلب إلى كاف مكشكشة أو ch وخاصة في كاف المخاطبة. فيقال مكان mechaan: مكان وكنه: chennah: كأنه. باكر bacher باكر (غداً) كبير chebeer كبير. حكايه hchaayeh: حكاية. كيسه cheeseh كيسه. شلونك ؟ للأنثى shluanach. علامك alaamach. وفي اسم الإشارة للمفرد المؤنث: ذيك. وفي قد يقال كد ched. وفي دكتور تتحول الكاف إلى خ: دْخَتَرْ وتستعمل الكاف المكشكشة بدلاً من الشين في بعض الكلمات مثل مَشَع. فيقال مِكَعْ mechaa.

الـــلام:

ترد أحياناً مفخمة. مثل ما في لفظ الجلالة «الله» وفي قله gallah (عبوة التمر

في ظرف من الحوض) هي أصغر من «المحصن». صلطة: سلطة الصلاة **esalaah**: الصلاة. وهناك حالة تنطق فيها اللام في لفظ الجلالة خفيفة، مع خفض الألف الممدودة إلى ما يقرب من الكسرة. وهي عندما يدعى شخص حاضر إلى المشاركة في طعام حاضر بدئ في تناوله: فيقال له: «بسم الله» **besmelleh**. وهي تحل محل الذال في الاسم الموصول: الذي، فيقال اللي **elly**. وهي تغني عن جميع أسماء الوصل. كما أن اللفظ يستعمل للطلب والرجاء. فيقال:

وِ لّيْ يِسَلّمِكْ عطني كذا. مع واو القسم. والمقصود طبعاً القسم بالله.

ولا النافية لا تستعمل خالصة، بل ترتبط بأي الممدودة «أيا» فيقال مثلاً «بليّا لعب»، حيث حذفت الألف من لا النافية. كذلك يكتفى باللام في إلى: مع أن التي تتحول فيها الهمزة إلى ياء: فيقال مثلاً «لين **lain** أجي»: إلى أن آتي. وتستخدم مع ألف ممدودة تسبق «أبو» مضافة لكاف المخاطب، وذلك للزجر والشتم. فيقال: آبوك لابو بوك. وتستخدم مع من، بتشديد الميم في «لَمّنْ» إذا، عندما.

وتحل محل الدال في فعل يدغدغ. فيقال يدلدغ وهي تخلي مكانها لحرف النون في فعل: تدلدل (تدلى). فيقال تدندل (**tedandal**). كما يحل محلها أيضاً حرف الراء: فيقال قُريتزي **grainzi**: أي إنجليزي. وقد كانت مسبة.

الميم:

تحل محلها الواو ضمير الجماعة. فيقال: إنْتَوْ: أنتم: كَلْتَوْ **kaltaw**: أكلتم. كما تحل محلها الباء في: مخنق: فيقال: بخنق. وتأتي اختصاراً لـــ «ما» الاستفهامية إذا جاءت هذه بعد الشين التي تمثل اختصاراً لـــ «شين» فيقال شِمْسوَيّ **shemsawwi**: ما الذي أنت فاعل. أو كيف أمورك. شْماَكل ؟ ما الذي أكلت؟ شِمْقَعْدَكْ هْنَيّهْ لماذا أنت جالس هنا؟

وتحذف منها الألف. فيقال محاجه **mahajeh**: ما حاجة – لا داعي. وتأتي

بعد الباء، بعد تشديدها ومدها وتضخيمها في « بم bemmm « لتعني وصف سقوط أو انفجار شيء.

النـــون:

تحذف في كلمات في مثل زبيل zebeel: زنبيل وهي كنون وقاية، تستخدم في مواضع غير جائزة في الفصحى: «إياني وإياك»، وشمدراني shemdarraani: ما يدريني. ويكتفى بها في ضمير أنا الموصول: فيقال ما نيب جاهز: ما أنا بجاهز وتدخل على «ثم» فلا تُنوّنها فيقال ثمّن نزَلْ المطر». وتستخدم ممدودة وعالية بعد الطاء لتشبيه صوت الرنين طِنّ.

الـــواو:

تحل محل ميم الجماعة، كما ورد سابقاً فيقال مثلاً « إنتَو أهلْنِيء: أنتم أهلنا و «تغديتو؟» في السؤال بدون استخدام حرف أو أداة للاستفهام، وهي تحل محل الهمزة في مثل جزء: جزو jez`ew. إلف: ولف. أدّاه: ودّاه. إيماءة: وَمْية

وتستخدم سابقة كلمة من الأذى مسبوقة بهمزة للدعاء ضد شخص. فيقال أُو وَجْعِه. أُو طير، أُو عمى ويقال « عين وعين» للاختلاف أي عين سليمة وعين مصابة (في الوجه). و « خدٌّ وخَدّ» أي خدّين بلونين وللترجي، فيقال ولّلي يسلّمك، وللذمّ فيقال عن الشخص المذموم: وِلْكوُبة، وللمقارنة، فيقال: وشجاب هذا لْهذا. وفي المثل، عْصِبْة اليُوم ولا شحمة باكر.

الهـــاء:

تلحق الهاء بياء الملكية، لدى كثير من العامة فيقال عمتيه (عمتي) وخالتيه (خالتي) لعبتيه (لعبتي) وليه (لي، ملكي) وتسمى هاء السكت. وهي ليست غريبة

على اللغة العربية، بل أنها من لغة القرآن الكريم فقد قال تعالى: (فأما من أوتي كتابه بيمينه، فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه. إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه)[1] و (وما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه»[2] وتختفي من «له» فيقال ما لَحَدّ: ماله حدّ ما لَخَاتمه»: ماله خاتمة، ما لخانة: عديم الفائدة. ضعيف. رديء كما تختفي من «أشهر» جمعاً فيقال ثلاتْشّرْ thalatashsher. ثلاثة أشهر. وتلحق بكلمة هنا بعد حذف ألف المد فيقال هْنهْ hneh أو هنيه للتلطيف. أو إهنه. وتحل محلها الخاء في «هكري» فيقال: خكري: أي، سيء التصرف. وتحذف عند إضافة «أخت» إلى الهاء: فيقال: ختّا وختّم (أختها وأختهم).

اليـــاء:

وهي تخضع لثلاث حالات: حذف وتحويل وإضافة.

ففي الحذف يكون لَقِيَتْ (وهي وجدت) لِقَتْ legat.

في آذانهم: فذاهم.

ثمانية عشر: ثمانطعش.

في التحويل يكون:

يسخو: يصخي (بالخاء)، يرجو: يرجي.

ينجو: ينجى (بالألف المقصورة) في ولدي: فولدي.

يكبو: يكبي (yakbi).

يحبو: يحبي (الياءان ساكنتان والحاء مفتوحة) والياء تعكس واواً في خصية: فهي خصوة (والمقصود عضو الذكر).

١- سورة الحاقة ٩ - ٢٠

٢- سورة الحاقة: ٢٩

في الإضافة: وأنت، للمؤنث: إنتي entay بكسر الهمزة وفتح التاء وتسكين الياي.

جَلَسْتِ: جلستي jalastay.

أخذته: خذيته khathaitah.

دعبلته: دَعْبَلَيْتَه daabalaitah.

الحروف الخاصة:

مثل بعض دول الخليج العربي الأخرى، ففي اللهجة الأحسائية حروف خاصة، أو بالأحرى نطق خاص لبعض الحروف في الفصحى: فهناك القاف اللهائية التي تنطق كالجيم القاهرية وكما ينطق حرف (g) في الانجليزية في كلمة get. وهذا هو الصوت الذي غالباً ما ينطق محل القاف الفصحى ـــــ في اللهجة. في مثال قال gaal وهناك الصوت الذي يسمى الشين المكشكشة ch الذي غالباً ما ينطق به حرف الكاف، في اللهجة. وهو في الواقع صوت يحدث عند إدغام حرف التاء بحرف الشين وهو الذي غالباً ما ينطق به حرف الكاف. في مثال يبكي yabchi.

الحركات:

كما في كثير غيرها، تميل اللهجة الأحسائية إلى تعديل وتحويل أصوات ومخارج بعض الحروف، من أجل توافق الحركات وتوازن الأصوات في الكلمة.

وسنورد أمثلة هنا على كل من الحركات: الفتحة والكسرة والضمة والسكون.

الفتحة:

تتبع اللهجة اللغة الفصحى ما أمكن. غير أنه عند اقتضاء الأمر ووجود سبب موجب للتغيير كتسهيل المخارج والتوازن الصوتي، فإن اللهجة تتبع قانونها الشفهي المتوارث.

فعندما نأخذ الفعل الماضي «قَرَأَ» بحركاته الثلاث المفتوحة المتجاورة – ولكن بحرف حلقي أخير، وهو الهمزة وهي حركات ذات أصوات متماثلة. نجد اللهجة تساير ذلك الانسجام، ملاحظين أن الحرف الأول: القاف، قريب في مخرجه من حروف الحلق، وأن اللهجة تنطقه كالجيم القاهرية (g) – فتنطق الحركتين الأوليتين، كما هما ثم تهمل الهمزة وهي حرف حلقي، أو تحولها إلى فتحة ممدودة من فتحة الراء. طالما أن دلالة الكلمة قد تحققت[1] فيكون النطق «قَراَ» **gara** و «برا» **bara** و«طرا».

الكسرة:

عندما نأتي للمضارع: «يَقْرَأُ» نجد أن اللهجة تستثقل نطق حرف مخرجه قريب من الحلق هو هنا حرف القاف، ساكناً بعد ياء مفتوحة واسعة المخرج، عندئذ تكسر الياء لتخفيض الجهد العضلي في جهاز النطق ولسهولة الانتقال منها مكسورة إلى ساكن. أما الفتحة على الحرف الثالث الراء فتبقى، كما هي، لأنه يسهل الانتقال بعد ذلك إلى حرف صامت مفتوح ثم تهمل الهمزة الأخيرة مع التعويض عنها بمدٍ قليل من فتحة الراء. فيكون النطق «يِقْرِا» (١). **Yagra**.

وعندما ننتقل إلى فعل الأمر: «إقْرَأْ « البادئ بالهمزة المكسورة، يليها القاف الساكنة، ثم الراء المفتوحة، تتلوها الهمزة الساكنة، نجد أن الوضع، بالرغم من أنه يتفق من حيث توافق الحركات مع اللهجة في سهولة الانتقال من كسر إلى سكون، إلا أن اللهجة تجد عقبة جديدة في مجاراة ذلك. فالهمزة هنا حرف حلقي مكسور، وما بعده ساكن. إذن فمن الأسهل والأقصد في الجهد العضلي كسر الحرف التالي المجاور له لتوافق الانتقال من كسر إلى كسر وحيث أن الأمر بعد ذلك يتطلب الانتقال من كسر إلى فتح، مما يتعارض مع قاعدة التوافق فكان لابد من تسكين الحرف التالي، وهو الراء، وإهمال الهمزة طالما أن المعنى قد تحقق. فيكون النطق «إقِرْ» **eger**.

١- المصدر السابق.

الضمـــة:

حين نبدأ بالفعل الماضي « كَتَبَ» نجد أن إخراج الكاف، وهو صوت احتكاكي يخرج من آخر اللهاة، ثم يجهر بصوت يتطلب كمية كبيرة من الهواء الدافع من الحلق إذا نطق بفتح. لذا، يكون من الأسهل والأهون كسره لخفض جهده وضوضائه، وسيكون الانتقال منه (من كسره) إلى فتحة حرف التاء ميسراً وخفيفاً. ولا يتعارض ذلك مع سهولة الانتقال، بعد ذلك، من الفتح إلى سكون، في حرف الباء، حيث أن اللهجة تسكن، دائماً آخر الكلمة. فيكون كِتَبْ ketab وحين نأتي إلى المضارع «يَكْتُبُ»، فاللهجة تجد صعوبة في نطق التاء مضمومة بعد الكاف، ثم مدها على طول مجرى الفم، ثم تجميع الشفتين وإطباق الفم بقوة، مع الضغط عليها لإخراج صوب الباء. لذا، يكون من الأيسر والأقصد كسر التاء، حيث تأتي بعدها ساكنة، سلسة خفيفة. فتكون «يكتِب yakteb أما في فعل الأمر: « أُكْتُبْ» فمرة أخرى، نجد اللهجة تكسر الهمزة، لأنها حرف حلقي، بعده حرف ساكن، ثم تكسر التاء، لأن الانتقال من سكون إلى كسر أسهل من الانتقال منه إلى ضمة. وفي صيغة «فعيل» تميل اللهجة إلى كسر الفاء لتتقارب مع العين المكسورة في مثل سِريع ورِهيف وفِطيس. وفي صيغة مفعل تكسر الحرف الأول ليكون الانتقال إلى الحرف الساكن الثاني أسهل كما في: مِفّلس ومِحْرز.[1]

السـكون:

بالرغم من وجود قاعدة تعلل ميل اللهجات المماثلة للهجة الأحسائية، لتسكين الحرف الأول في الكلمة التي يكون الحرف الثاني فيها من حروف الحلق، كما في « سعيد»، طحين، صغير، إلا أن اللهجة الأحسائية، وربما مثلما يفعل القريب منها، تتوسع في تسكين أوائل الكلمات، أفعالاً كانت أو أسماء أو صفات. فمن الأفعال: نجد أمثلة في «كْلَهْ» (كُلْهُ)، و «خْذُوه» (خُذُوُهُ) ومن الأسماء بْليس، حميد ومن الصفات

١- المصدر السابق.

صْغَيِّر بلفظ التصغير، نْدَيِّر (نادر بلفظ التصغير).

الإمـــالة:

وهي من خصائص اللهجات - عموماً - وينطق العامة في بعض المناطق والأوساط في الأحساء بعض الحروف بإمالة قليلة لتوافق مخرجها مع الحرف التالي: مثل إمالة الألف الممدودة قليلاً إلى ما يقرب من صوت الواو. في مثل بلاليط **balawleet**، وصراويل **sarawweel**.

الشـــدة:

يحدث في اللهجة أن يقترب حرفان ذوا مخرج متقارب: مثل التاء والطاء، أو التاء والصاد. فيتم إدغامهما (بتشديد أو تضعيف الثاني، في مثل مطّاقّين) متضاربون»، ونلاحظ أن القافين في اللفظ الفصيح (متطاققون)، وقد دمجا في قاف واحدة مشددة و «مصّالْحين» وجِريتّليْوُم (**jerettelyawm** (جريدة اليوم مثلاً). ويقال بينّا (بيننا).

المـــدّ:

تحاول اللهجة الأحسائية تفادي نطق المد على الألف في أول الكلمة. ففي الفعل الماضي «آذاني» تنطق أذّاني بهمزة مفتوحة وتشديد الذال. وفي «الآذان» نجد المد يتحول إلى همزة «أذان». أما «مآذن» حيث المد في وسط الكلمة فلتفادي المدة، هنا، نجدها تحول إلى واو فيقال مواذن.

التنوين:

نلاحظ في اللهجة تنوين بعض الحروف مثل ثم. فيقال ثمن **themmen**. وإلا: ففي عبارة « وِلاّنْ كانك» **wellanchanak**. نجد أن الأصل في وِلاّ هُوَ «وإلا إن». ولكن الدمج هنا بدا وكأنه تنوين. كذلك نجد تنويناً في عبارة «لما تكبر

(لَمَّنْ تكبر – لما تكبر). وفي إما: قد يقال: إمّانْ لك ولاّ لْغيرك.

الحركات الخاصـــة:

تخضع الأصوات في الفصحى لتوصيف الحركات المعروفة. لكننا نجد في اللهجة الأحسائية أصواتاً خاصة لا تخضع لوصفها أو تحديدها أو تعيينها بالحركات المعروفة ورموز التشكيل. ولوصفها، لا بد من الاستعانة بتوصيفات ورموز أخرى ونجد أن أفضل وسيلة لذلك هي استعمال الحروف المتحركة في اللهجة تنطق بشكل مختلف لا يمكن وصفه. في حدود الفصحى، وأن أقرب وأوضح طريقة لذلك هي استخدام الحروف المقابلة لتلك، في الانغليزية وفي العموم سنضطر إلى استعمال كل ما يمكن من حروف وتركيبات ورموز وإشارات لازمة، من تلك اللغة، وربما أيضاً سيتم مزجها بالحروف العربية الفصحى، التي لا يوجد لها مقابل في الإنجليزية، كالهمزة والحاء والخاء والثاء تمييزاً لها عن الالتباس مع صوت **th**، الذي ربما ينطق ذالاً، والصاد والضاد والطاء والظاء والعين والغين والقاف. وذلك عند الاضطرار إلى إيضاح نطق كلمة أو عدة مقاطع متجاورة.

إن الصعوبة تكمن في وصف مخارج الأصوات، الخاصة في اللهجة لأنها بطبيعتها شفوية سماعية ولا بد أن ندرسها أو نتعرف عليها في سمعها وسينطقها الكثير إذا اكتفى بقراءة وصف لها.

وأول هاته الأصوات هو ذلك الذي يبدو بين الفتحة والكسرة في مثل كلمة «سِمِيْ» **seme** (سماء) وهو حركة حرف الميم الممدودة والتي يظن السامع أنها تنتهي بهمزة ساكنة خفيفة.

« إدوىء « **edwe'e** (دواء) «حفرة» والمقصود هنا صوت الحاء و « إخذ **ekheth** حرف الألف من أخذ. و «بنت « **bent** بنت و سِنِهْ **seneh** (سنة).

وصوت الياء الساكنة، بعد حرف مفتوح. مثلما في «بيْتْ « و «لِيْتْ «،

فاللهجة تنطقهما bait و lait، وصوت الواو، ساكنة، أو مضمومة، بعد حرف مفتوح، أو مضموم، كما في «لوح» loah، و « خوخ» و « جُوْخ « joakh، « لولاك» loalak، لو لاك.

النحـــو:

مثل كثير من اللهجات، لا تتقيد اللهجة في الأحساء بقواعد النحو. فنجد أن المثنّى ليس له صيغة في تصريف الأفعال، بل يعامل كالجمع في مثل «اثنينهم راحو». ولا قيمة لوجود ألف الجماعة طالما أن اللهجة شفوية، غير كتابية، كما أن ميم الجماعة في الاسم أو الضمير تقلب إلى واو. إنْتوَ جِيتَوْ (أنتم أتيتم). وهناك قلب بعض الحروف إلى حروف أخرى. والسكوت على آخر الكلمات وعدم التقيد بالحركات. وإلغاء بعض الحروف أو إدماجها أو إلحاقها واستعمال بعض صيغ التصريف بطريقة مختلفة. فمثلاً صيغة يفعل (للمجهول) تستخدم بها صيغة ينفعل فيقال: ما يِنْوكل (لا يوكل) ولا يِنْطرا (لا يُذكر) وما يِنْبَغَى بالألف المقصورة أي لا يُراد. ويقال بيع في صيغة الأمر فلا تحذف الياء ولا يوجد اسم الشرط «إذا» في اللهجة. وينوب عنه «لا» وهو اختصار إلى أن: بمعنى إذا. وكذلك لَمنَّ ولِيْنْ. أو ألين. وتنكر (من التنكير) اللهجةُ الاسم الموصوف بصفة معرفة في مثل شعب الحي، حبّ لْحَمَر (الحب الأحمر)، فرخة الصفرا.

ويمكن تعريف المضاف بعد اسم إشارة مثل «ذاك thak القشر البّيضة» (ذاك قشر البيضة الصغيرة). وفي صيغة «طافىء» (فاعل) يقصد بها مطفأ، (مُفْعَلْ) أو طافي (مِنْفعِلْ): مِنْطِفي. ويمكن أن يكون هناك فاعلان للفعل الواحد في مثل: شتركو ثنين وفي اللهجة تسري صيغة فعل الجمع المذكر على الجمع المؤنث وتعدي اللهجة فعل «مشى» فتقول « مَشّ حالِك».

الضمائر:

تتعرض الضمائر إلى تغيير كبير في اللهجة الأحسائية فمنها ما يزاد ومنها ما ينقص ومنها ما يحور ومنها تغيّر بعض حركاته ومنها ما يقوم مقام صيغ أخرى. كذلك فهي لا تخضع لقواعد النحو والإعراب. وسنورد هنا، ثبتاً بها في اللهجة يقابله الفصيح. مع الاستعانة باستعمال الحروف الانجليزية مع العربية، ضمنها، بالإضافة إلى التشكيل من أجل إيضاح أدق لبعض الحركات والحروف والمخارج التي لا توجد في الفصحى.

الضمائر المنفصلة:

آنا aane: أنا — إنْتْ: أَنْتَ

إهِوْ، إهْوَه: هو — إهِيْ، إهْيَهْ: هي

إهم ehum: هـم للمذكر والمؤنث والمثنى.

إنتي entay: أَنْتِ — إنتو: أنتم للمذكر والمؤنث.

إحنى: ehne: نحن

الضمائر المتصلة:

١ – ضمائر الفاعل:

في الفعل الماضي أكل، مع حذف همزته حسب اللهجة.

كلت ؟ kalt: أكلت: ضمير المتكلم المفرد.

كلت ؟ kalt: أكلت ؟ ضمير المفرد المذكر المخاطب في صيغة الاستفهام بدون أداة.

كَلْتَيْ kalta`y: أكلتِ ضمير المفرد المؤنث المخاطب – استفهام.

كَلَوْ kala`w: أكلوا ضمير الغائب الجمع والمثنى المذكر والمؤنث.

كَلْنِىء **kalne**: أكلنا ضمير المتكلمين.

كَلْتَوْ ؟ **kalta`w**: أكلتم ضمير المخاطب الجمع والمثنى المذكر والمؤنث – استفهام.

٢ – ضمائر المفعول بـــه:

في فعل الأمر «أعط»، حسب اللهجة

عَطْنِيه **atanyeh**، عطني **atni**: أعطني. ضمير المتكلم المفرد.

عَطْنِى **atne** أعطنا ضمير المتكلم الجمع.

عَطَهْ **atah** أعطه ضمير المفرد المذكر والغائب.

عَطْهَى **at`ha** أعطها ضمير المفرد المؤنث الغائب.

عَطْهُمْ **at`hum** أعطهم ضمير الجمع والمثنى والغائب، المذكر والمؤنث.

٣ – ضمائر المفعول به في فعل أعطى الماضي:

عَطَانى. عَطَانْيِهْ: أعطاني.

عَطَاكْ: أعطاك.

عَطَاكْ **ataach**: أعطاك للمفرد المخاطب المؤنث.

عطاني **ataane**: أعطانا.

عَطَاكُمْ **ataakum** أعطاكم للمثنى والجمع المذكر والمؤنث.

عَطاهُمْ **ataahum**: أعطاهم للمثنى والجمع المذكر والمؤنث.

عَطَاهَى **ataaha**: أعطاها.

أسماء الإشارة:

تتعرض أسماء الإشارة لبعض التغييرات في الحروف والحركات والمخارج والنقص والزيارة.

ذ هـــــ ، هاذي **haathie** هذا. **haathe**

ذي **thi** هاذي: هذه.

ذَاكْ: ذلك ذَيَّاك للتصغير.

ذِيْكْ **zeech**: تلك.

ذول **thoal** ذولى **hthoali** ذيلي **thayli** هاذول **haathoal** هاذولي **haathoahi**: هــؤلاء.

هاذِيلِيْ **haathayli** للمثنى والجمع المذكر والمؤنث.

ذَيُّولِيْ: **thayyawli** هؤلاء للمثنى والجمع المذكر والمؤنث ولكن بتحديد أكثر وتحبب.

ذِيْلِيْكْ **thayleech** أولئك للمثنى والجمع المذكر والمؤنث.

التأنيث:

تميل اللهجة إلى تأنيث بعض الأسماء مثل «ثورة» لوصف الفتاة ضعيفة الفهم.

و «حِبّه»: قبلة. و «سِبّه»: سبب، و «طِيْره» أنثى الطير. ودِبْره: (من التدبير) و «البُوْرَة» (البوار) و «تَعْلُومَه (تعلم شيء واحد)، «دهِنه» (دهن قليل) و «تَرْسَة» (مَلْءْ). «الشُّونة»: (الشؤون). و «رْفَاقَه» (**rfagah**) (رفاق) و «قِرْنه»: (**gerneh**)، (قرن) وهي ركن أو زاوية الغرفة. «إمّيْهه» **emmayheh** (كمية قليلة من الماء) و «لِبْينة» (كمية قليلة من اللبن) و حوله (حْوِلْه) و «عْرجِه» (عرج).

إبِّهات (جمع أب).

التذكير:

هو من النادر من مثل «فود» (foad) (فائدة) و « حِزْءْ « hze (جمع حزاه hzaah) (وهي الحكاية التراثية) على جمع مذكر، مّاشيء (مماشاة) و «محامر» (محامرة). نزاع، وقد تكون هذه مشتقة من تَقَاتُلِ الحمير و «مْكَاسَرْ» (مكاسرة) أي مساومة لتخفيض السعر. وهذه الصيغة من « مُفَاعَلْ» بفتح العين كلها من صيغ تذكير «المفاعلة» كالمصاحبة والمنافسة وغيرها.

التصغيـــر:

يُصَغَّر الاسم أو الصفة لعدة أغراض:

(١)أولها التلطيف والتدليل والتحبب:

هذا عائد كما يبدو، إلى طبيعة التعامل الاجتماعي، سواء الأسري أو العام فيما بين أفراد المجتمع في منطقة الأحساء. حيث يسود التسامح واللطف والوداعة، ورقة المشاعر. بسبب صلات الرحم والنسب والقرابة والجوار والتعامل المباشر. وأكثر ما يكون تصغيراً أسماء الأعلام في البنات والنساء. فهناك مّينيةْ mmaineh (آمنة) جويهرة (جوهرة)، حصيصَة (حصة)، رْقَيْو (rgaiw) عْويشهْ (عائشة). فْطيمه، فطُّوم، فَطَمْطَمْ (فاطمة)، لْوِيْلُو (لولوه) لْطَيِّفْ (ltayyef)، لَطُّوُفْ (لطيفة)، رْيِيْمِة ryaymeh (مريم).

ولدى الأولاد بْرِيْه. بِرْهُوم (إبراهيم)، وْحِيْمِدْ (أحمد)، جْوِيْسِم وحَسُّونْ (حسين)، سَعِيْد said (سعد وسعيد)، وصْويلح وحْميد وحَمّود (محمد)، وعْبيْد وعَبُّود (عبد الله)، علِيوْ، عْلَيَّانْ (علي) ويويسف (ywaysef) (يوسف).

أما في تصغير الأسماء فهناك الكثير نورد سْوِيعِة (ساعة). ثْوِيْبْ (ثوب).دْرِيْرعة

(دريريعة). عْصَيه (عصا)، قْرِيْص (grais)، صْحِيْن، خْوِيتم، هْرَيْسة (هرسة) عْصَيده. جْدِيْر (قدر) بْطَيْنْ، رْوِيْس (رأس). صْكَيْكَة skaycheh سكة بْرَيِّجْ brayyej (إبريق) غْدَيّ (غداء) فْلِيْساتْ، طْوِيْسَات سْمِيْكات smaychaat لقيمات قْطِيوات. وْرِيْنَبات (أرانب) مّيهه mmayheh (ماء).

أما في تصغير الصفات: فهناك حليوْ (حلو)، مّيلْح mmayleh (مالح)، «صْغَيِّرْ ونْدَيِّرْ قْصَيِّرْ. قْرَيِّبْ. وْحَيِّدْ. خْفَيّفْ، طْوَيِّلْ. ثْقَيِّلْ، حْبيْبه: قْلَيِّلْ، ضْعَيِّفْ وْسيْودْ wsaywed (أسود) نْشَيِّطْ، طْفَيِّحْ (قليل العمق). هْبَيِّطْ (هابط) بْيضا (بويضاء) طْرِيما (خرساء). ثْرِيْما لْتِيغا (لثغاء) مْتَيِّنه، سْمَيِّنه، مْفِيْديغه mfaydeegah (فتاة ذات وجه متساو) مْجِيْنيه. وحتى في أسماء الإشارة نجد ذَيِّه، ذَيَّاكْ، ذَيُّوْلي ذيِّيْك thayyeech (تلك). وفي الحقيقة يمكن القول إن معظم الأسماء في الحياة اليومية تخضع للتصغير عندما تستخدم في مجال التحبب والتلطيف والتقريب. وحتى الأماكن تصغر لهذه الأغراض فيقال مثلاً للكبير: «تعال مِنَيِّه و» سْترِحْ في ها المكيِّنْ الدِّوْيفي وْحِطّ عْصَيِّتكْ مِنَيَّاكْ يمّ الْمِقيعِدْ واتَّكا على الْمْسَينِدْ جَنْبْ الجَدَّيْر».

(٢) التواضــع:

تصغر أسماء الأشياء وصفاتها عندما تقدم أو تُهدَى، من باب التواضع والتقليل من قيمة الهدية أو التَّقْدمهْ. فيقال مثلاً: «هاذي غْرِيْشةْ طِيْب» وهاذي مْرِيْحْلَةْ (مرحلة- زنبيل كبير) تَمرْ. وهاذا الثْوِيْبْ مغسول. وهذا قفيص رطيبات ومْخَيْرِف (مخرف. إناء جني الرطب) خْوِيْخات. وِقْفِيْفَة، رميمينات (رمان) وِطْوِيْسَهْ لبِيَنه (طاسة لبن).

(٣) التهوين والتخفيف:

فيقال جرِيْح، شْمِيْخْ فْلِيعه تْعِيْبِن مْرَيِّضْ مصيخيْنْ. طْوِيِّبْ (طيب) مْسيْكيْنْ. ما هوب صْحَيِّحْ عْنيِّد شْوِيْطيْنْ، مْلِيْقيفْ. الدْرِيْهِمْات. مْصيِّلِحة. يقال «من فضلك

إِقِرْ لي ها الخَطِيطْ».

(٤)التقليل من القيمة أو الاعتبار وللتوبيخ:

في هذه الحالة عند ذكر اسم الشخص بلهجة غضب أو عدم رضا فالمقصود هو هذا الغرض. فيذكر اسمه بصيغة التصغير.

(٥) التعظيم:

سمعت الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله العمير، الشاعر والقاضي،رحمه الله يذكر البيت التالي: عندما جاء ذكر التصغير في اللغة، في حديث أحد المجالس:

ما قلتُ يا حُبَيِّبي للتحقير ... فقد يعظم الأمر بالتصغيرِ

ويقال أيضاً: إلى جا وُ يِيْمِه (تصغير يوم) أي إذا جاء أجله. ورَدَّتْ له رويحته: تصغير روحه.

الجمـــــوع:

للهجة أسلوبها في تحويل المفرد إلى جمع. ففي جمع دائرة ولتفادي الهمزة تجمع على دواوير، مع مدّ كسرة الواو الثانية، لإكساب اللفظة نبرة موسيقية.

كذلك مفاتيح وأصابيع، لغرض النبرة، فقط. وفي جمع ديك، تسكن الدال وتمدّ فتحة الياء لتصبح ألفاً ممدودة وتكسر الكاف المنطوقة **ch** وتسكّن التاء المربوطة (الهاء بالسكوت عليها) والرّجل. جمعها رجول. أيضاً لتفادي الهمزة ولنبر الجيم تمدّ ضمتها إلى واو. أمّا يد، فببساطة يضاف لها ياء ونون جمع المذكر السالم. ومع تسكين اليائين وكسر الدال»يْدِيْنْ». وتجمع ذراع على ذرعان. وعود على عْوادِه، وثبر على ثباره. حضار: حِضّرات.

ورَسْمِه (مجرى صرف زراعي) إرْسَمْ. وتليل، (سعفة بلا خوص) تْلِلِه **tleleh** وزولية: زِوَالي. وقلم قلامه **glamah**. وأسطوانة: صناطوين، مع حركة القلب).

ومطبخية (قدر) مطابخي وباب: بيبان. ووجه: وْجيه. ودمّ: دمّان وتراب: تِربان. ورمل: رميل، ومطر، مطور ومطرات ودخان دخاخين، وضوّ (نار) ضِيّان.

وعيش (أرز) عيوش وسكة، صِكيك ekeech ص. وزَبَدْ: زِبابيد. وهواء: هويات (huyaat). وعظم: عْظَامه. وتنبه (كرة) تْنَبْ (tnab). ومحّاله (بكرة) محاحيل. دمان: دماء. مْيَاهَهْ: مياه. ونخلاوي: نخالوه وظكاره: (جمع ذكر)، ونِثيْ:

(إناث). وستاد (أستاذ) سْتَادِيَّهْ. وجناح: جنحان. وريال: أَرْيِلْ. قيفه: (وجه كريه) إِقْيَفْ. وصبي صْبَيَّانْ. ورئة: آرايا. ورف: رْفِفَه. وعيال (وهي أصلاً جمع): عيلان. سمرمدي (سيء السلوك): سِمَرْمَدْ. وجحلوط: جحلّطْ. ومجموعة أفراد، غير ذوي أخلاق: خمّةٍ مِجّمّعه. وأشخاص يتعيّرون.

على الناس: عِيَّره. وسعاة المصلحة فقط. مصلحجيّة maslahjeyyeh

وتجمع قطو (قط) على قطاوه gtaawah ورُطب على رِطْبان وجعاونية (ضفدعة) جعاون وجعاوني. وجنّي على جناني وجنانْوه. ويقال: مّيلي

(أموالي) ولكن بمعنى أن الأشياء المقصودة تخصّني.

التثنية: ترد صيغة المثنى، دائماً بالياء والنون ولا ترد بالألف والنون.

• ألوان من التراث الشفوي الشعبي في منطقة الأحساء

إلْحزاَ: (الحكايات) ومفردها «حزاة» وهي تروي أحداثاً وقصصاً. بعضها يشبه الأساطير. لا تجدها في الكتب أو المخطوطات. بل هي من المحفوظات الشعبية، التي تتناقلها الأجيال واحداً بعد الآخر. وعادة ما تحكيها الأم أو الجدة للأطفال، في الأمسيات الهادئة، وفي الشتاء، داخل الغرف حيث تتعالى ألسنة النار الموقدة في «الوجاق» من جذوع الأشجار اليابسة، ملقية بظلال الحاضرين والأشياء على الجدران في تراقص متواصل، يتداخل في نسيج الأحداث المروية بأداء منغّم بديع، حيث تمحى الفواصل الزمنية والمكانية، بين الواقع والأسطورة في أخيلة الصغار وأحاسيسهم. فيذهبون في نهايتها إلى فرشهم حين يطفأ السراج وتخمد النار حاملين معهم، في ذاكرهم الصور والمشاهد التي ملكت عليهم خيالهم، وقد تختلط وتتداخل مع أحلامهم الصغيرة.

أما في الصيف، فهي تحكى في السطوح تحت قبة السماء الصافية المليئة بالنجوم المتلألئة، والشهب الساحبة والساطعة.

تتراوح تلك «الأحازي» بين قصص تحمل في طياهّا الدروس والعبر، وأخر تسرد أحداثاً وتتابعات تهدف إلى شد الانتباه والتسلية.

ومن هذا اللون نسرد، فيما يلي، واحدة: منبهين إلى أن هذه الحزايا ذات طبيعة شفوية، تعتمد على الأداء الفني من ترديد وتنغيم وتلوين للصوت، وأنه لا يمكن استكناه روحها إلاّ بسماعها:

• حكاية ترينجة بنت الترينج[1]

تبدأ الحزاة بالصلاة والسلام على النبي وبالدعاء « خيرٍ لفانا ولفاكُم وشرٌّ تعدَانا وتعدَّاكم»: كانت ذيك المرة (المرأة) ما تْحَمل (عقيم). راحت مع جارها يِسبحون في الماي (الماء)، فتْحّسّرت على حالْها، سْأَلْتها جارهَا، إذا الله أعطاك ضنى (طفل) ماذا ستعملين، فكرت قليلاً وهي تتأمل تلك المياه المتدافعة، وقالت:

أَتْرِسْ (أملأ) ها البركة دهن سمن.

كِتَبْ الله ورِزَقْها بْوَلَدْ. فلما نِسَتْ (نسيت) المرة النذر. وفي ذاك اليوم خُيِّل للصبي أنه يسمع صوتاً يقول له: ياصْبَي، يا صْبَي، ياللي تِلعْب مع الصبيَان، قل لِمكْ (قل لأمك) تدي (تؤدي) النّذيْر (النذر).

ولاّتبحث القْبير (تحفر القبر) وِتشقّ (الكْفِيْن) الكفن.

سمع هذا النداء يتكرر عدة مرات. فخاف وصار يمشي بجانب الجدران. ولكنه استمر يِسْمعْ الصوت نفسه يردد تلك العبارات ويضيف إليها.... وتتخْوت (تمشي في حذر وتلفت) تحت السيسان، مع تكرار النداء عدة مرات فذهب الولد وأخبر أمَّه. فخافت عليه وقالت أنها لابد أن تؤدي ما نذرت وإلا سيموت ولدها وتحفر قبره وتفصّل كفنه، ولكنها لا تملك المال اللازم لشراء السمن. فبدأت ببيع المواعين، ثم الأثاث والفرش والحصر ثم الملابس الزائدة، ثم البقرة الوحيدة، ثم حليّها الذهبية وأدوات زينتها، ثم الدجاج، باعت كل شيء، وهي تشتري طوال الوقت الكميات اللازمة من السمن وتصبّها في البركة، حتى امتلأت. فجاء الناس يغرفون منها إلى بيوتهم، بعضهم بالطيس وبعضهم بالبوالدي وبعضهم بالقدور، حتى نفد السمن.

فجاءت امرأة عجوز لتغرف بقشر بيضة نقعة دهن، وجاء الولد يرى كيف

[1]- ترينجة تصغير ترنجة وهي الأترجة: مفرد الأترج الذي يعد من الفواكه التي تزرع بالأحساء.

فرغت البركة، ولما صعد منها وكانت المرأة جالسة على طرف درجها، سقط الولد عليها فأسقط عباءها من فوق رأسها سهواً وسقط قشر البيضة من يدها.

ومع أنها مهضومة وفقيرة وحرمت من نقط صغيرة، فقد دعت الله أن يرزق الولد فتاة جميلة وقالت له «رح، الله يعطيك ترينجه بنت ترينج».

عاد الولد إلى أمه وقال لها: يمه خلاص أنا بسافر. ففوجئت الأم بقراره هذا وأصبحت تْوَلوِل خائفة عليه وتترجاه أن يبقى معها. ولكنه أصر، فجهزت له زاداً أخذه معه وغادر البلد وقطع البراري، حتى وصل إلى تلك الديرة، فوجد فيها نساء ساحرات. فقال لهم السلام عليكم – فقالوا عليك السلام، والله لو ما سلامك غلب (سبق) كلامك كان حطينا لحمك في لقمة ودمك في لقمة وخلينا عظامتك (عظامك) مساويك من السبت للسبت. قالوا أجل رح (اذهب) من ها الطريج (الطريق) وراح يمشي.. يمشي، ويطب على ذيك الديرة، فوجد فيها نساء ساحرات وقال السلام عليكم قالوا عليك السلام.. والله لو ما سلامك غلب كلامك كان حطينا دمك في لقمة ولحمك في لقمة وعظامتك مساويك من السبت للسبت.

فسألوه عن غايته.. وأرشدوه لكنهم حذروه وقالوا له بتشوف ناس يأكلونك، بس قدم لهم هدية طيب خاطرهم وأدخل السلام على الأم وهي بتعلمك (ستخبرك ماذا تفعل) فلما وصل إلى تلك الديار البعيدة، وجد نسوة يطحنون دقيقاً على رحاة حجرية، أمّ أزواجهم سيدة كبيرة جالسة على كرسي لها صدر عظيم، وثدياها ملقيان على ظهرها، فسلم عليهم، فكرروا الرد مثلما قال سابقوهم، لأنه عطشان وجائع فقد سف من الطحين قبضة ورضع من ثدي المرأة رضعة. وحكى لها بغيته، فوافقت على إرشاده، ولكنها طلبت أن يشتري طيوراً أو أرانب أو دجاجاً وأطلقهم في حوش كبير به كلاب، توجد به شجرة الترنج، حيث دلته المرأة أن يصعد إليها ويقطف منها، ترنجة واحدة فقط ولكن الولد قطف سبع ترنجات، خبّأ ستاً منها في ثيابه وأظهر واحدة.

فسمحت له المرأة بالمغادرة. وفي طريق عودته، كلما قشر ترنجة تكلمت وطلبت ماء، وحيث لا يوجد ماء حوله، كانت تستعيد قشورها ويصير لها جناحان وتفر عائدة إلى شجرها، حتى السابعة التي قرر عدم تقشيرها، حتى وصل إلى نخل به ثمر في ديرته، ففتحها وطلبت ماء فأحضره لها بسرعة، فتحولت إلى فتاة حقيقية ولكن من ذهب.

فأمنها وذهب يسلم على والدته التي فرحت به وأخبرها أنه ناو على الزواج وباركت له وسألته عمن خطب قال لها واحدة أجنبية وذهب واشترى للعروس هدية ذهبية وملابس وتجهيزات وعبيداً.

وكان حولهم نهر ماء وشجرة. وفي يوم العرس. دعت الأم الناس لحضوره وقال الولد سيحضر عروسه، ذاك اليوم. وكانت مختبئة في شجرة بجانبهم، وفي الحفل أخذ البنات العبيد يضربون أيدهم على الجرار ويرقصون ويرددون «هذا نور عمي يوم جاء.. هذا نور عمي يوم جاء»، فكسرت الجرار من شدة الضرب. فطلبت الفتاة الذهبية من خطيبها شربة ماء فذهب ووجد جرار الماء مكسورة، فعلم بالسبب، وراح واشترى جراراً معدنية، فأخذت العبيدات يضربن عليها وهي ثقيلة، ومن شدة الرقص والتعب، خرج من إحداهن صوت، وكانت الفتاة الذهبية المختبئة تراقب فضحكت فاكتشفتها العبدات فصعدت إليها في الشجرة وضربتها بعنف حتى قطعتها ورمتها في النهر فحمل الماء أشلاءها واكتشف الرجل غيابها وطلب من أمه أن تعتذر من الحضور وتؤجل العرس، وقال لها الليلة ما في نصيب وخافت الأم أن العروس مريضة ولكنه طمنها وأجلوا العرس. وعاد إلى النخل فوجد عروسته سليمة هناك فأخبرته بما جرى وصارت تخدمه وكل يوم يضع لها في الفنجان جنيهاً. وعاد إلى أمه وطلب منها أن تقيم الزفاف، فأقاموا حفلاً كبيراً وانبسط الجميع وكملت سعادة الأم وولدها.[1]

١- الرواية منقولة عن نص شفوي مسجل على شريط صوتي لسيدة كبيرة، قد يكون فيها انقطاعات أو جزئيات منسية لم تذكر، وكان باللهجة الأحسائية، لم يتم نقلها حرفياً، خشية الحاجة إلى إيراد شروحات للمفردات والعبارات تطيل النص. وقد حاولنا الإبقاء على بعض العبارات باللهجة الأصلية.

• حكاية ســــــرور:

ومن بين حزايا العبر: قصة « سْرُور» الولد الصغير وحيد والده، وكانت والدته قد توفيت. فتزوج والده امرأة لكي تعتني به.

وكان الوالد فارساً يملك اصطبلاً للخيل ويحب ولده حباً عظيماً، فغارت امــرأة أبيه وقررت التخلص منه. وفي يوم استضاف الرجل زواراً وطلب من زوجته أن تعد وليمة كبيرة ولمّا عاد «سْرور» من الكتّابْ. أخذته المرأة وأنامته في حجرها وذبحته وطبخته وقدمته للضيوف، وخبأت ملابسه وشنطته تحت سريره، ودفنت رأسه ويديه ورجليه، تحت مربط الخيل، وادعت لزوجها أن الصغير لم يعد من المدرسة. فكلف الرجل من ينادي على ابنه المفقود. فسمع المنادي قرب المقبرة صوتاً من بعيد يجيب: سرور ذبحته مرة أبوه وْعشّت به خطّار أبوه وخشّت ثويباته وعقيّله وشنيطته تحت سريره وادفنت رويسه ويديّاته ورجيلاته تحت حافر خيّال أبوه واستمر المنادي ينادي، وفي مروره الثاني على المقبرة. سمع نفس الصوت يردد نفس الجواب ويزيد: عذبْتني يا ذا المنادي وأخلفتني في صلاتي.. سْرُور ذبحته مرة أبوه وعشّت به خطار أبوه...الخ فذهب المنادي وأخبر الرجل، الذي حضر معه وسمع الصوت نفسه. فأدرك أنها والدة سرور تنادي من قبرها. فقرر الانتقام من زوجته المجرمة وطلب منها إعداد خبز كثير، وعند آخر خبزة كفأها في التنور وغطاها ثم أرسل لحمها المشوي على أنه شاة، إلى أهلها فأكلوها وهم لا يشعرون، رغم تنبيه أختها الصغيرة إلى أن الأطراف والوجه يشبه أختها ولكن الأهل لم يصدقوا وهم يلتهمون بنهم، ذلك اللحم الطري الناضج، متجاهلين تأكيداتها. فأعادوا الصحن مملوءاً بالورد والريحان إلى بيت ابنتهم، حيث سألوا عنها فأخبرهم زوجها بمصيرها جزاء ما فعلت.

• حكاية أم العراجي[1] نموذج للسرد:

أمّ العراجي امرأة تعيش مع أخيها وكانا فقيرين، وذات يوم، وهما جائعان، طلبت منه أن يذهبا إلى أحد النخيل، علّهما يجدان ما يأكلانه فقصدا نخلاً لمزارع طيب القلب. طلبا منه أن يسمح لهما بالدخول ليأكلا، فقط من الثمار الساقطة، تحت الأشجار، فرحّب الرجل بذلك ولما أكلا بعضاً من الرطب والخوخ والتين الناضج، خجل الأخ من نَهم أخته، وقرر أن يكتفيا، فطلب منها أن ينصرفا، لكنّها لم تشبع فأبت، فتركها بعض الوقت، ثم ناداها ثانية باسمها بقوله: يامّ العراجي، قومي نروح البيت، فردّت عليه قائلة: ماشبعيت وبعد كل فترة يكرر عليها ويلقى نفس الإجابة. فلم يجد بدأً من أن يطلب من صاحب النخل أن يعتذر لها، لكن هذا أيضاً رفض، رأفة بهذه المسكينة التي لا تشبع. وفي كل مرة يطلب منه صرف المرأة، يأبى، فهدده بأن يحضر له الحلاق لحلق لحيته، فلم يرضخ، فذهب إلى الحلاق وحكى له ما يشكو منه وطلب أن يأتي ليقص لحية المزارع، لكن الحلاق لم يقتنع فهدده بأن يأتي بالكلب ليعضّه، لكن ذلك لم يُخِفْه، فذهب إلى الكلب وحكى له ما جرى، وطلب منه أن يأتي ليعض الْمَحَسّنْ (الحلاق)، لكن الكلب نبح في وجهه، رافضاً طلبه، بشدة، فهدّده بالجمل ليأكله، فلم يبال بالتهديد، فذهب إلى الجمل الذي طأطأ رأسه الكبير ليسمعه، فحكى في أذن الجمل قصته والتمس منه المساعدة فيأكل الكلب العنيد، وما إن فرغ الرجل من كلامه حتى رفع الجمل رأسه عالياً وهزّه عدة مرات رافضاً فوعده بالحبل ليقيّد حركته، لكن الجمل رمقه بطرف عينيه ساخراً منه، فذهب متوعداً إلى الحبل الطويل، وكله أمل في طيبة الحبل لكن الحبل بعد أن سمع الحكاية تلوّى على نفسه ورفع طرفه وهزه، فأنذره الرجل بالسكين الحادة لتقطّعه، فلم يبدُ عليه أي خوف،

١- عراجي الدلو هي الخشبة ذات الماسكين المتصالبين الحاملين لجسم الدّلو.

فذهب الرجل إلى السكين، وكانت مشغولة بتقطيع البصل، فتوقفت وسمعت شكايته، فلم تعره اهتماماً وعادت إلى عملها، فلم يجد بداً من تخويفها بالنار، ولم تلتفت إليه فأسرع إلى نار حطب تتلظى بالشرار فخشي الاقتراب منها أوحى لها من بعيد بطلبه لكنها رفعت لساناً كبيراً متموّجاً في الهواء رافضة طلبه، فأشار لهـــا بيديه إشارة تدل على انصباب الماء عليها، ففهمت، لكنها واصلت اللعب بلسانها، فاتّجه الرجل غاضباً إلى النهر ووقف على جانبه، فتوقّف النهر عن الهدير ليسمع الرجل، فقصّ عليه مشكلته، وتوسل إليه أن يساعده، فقد أصابه اليأس، فعطف النهر عليه، وقال له: طيب خلاص، سأساعدك، أين الطريق، فجرى الرجل أمامه، والماء يجري مندفعاً كالسيل وراءه، فلمحتهم النار، ارتعدت وطارت متجهة لحرق السكين، فأبصرت السكين الشعلة الهائلة ترفرف منقضّة عليها، فارتبكت ثم فرت تطير نحو الحبل، وما إن شاهد الحبل السكين مندفعة إليه حتى انفّل وانطلق كالحية يسعى إلى الجمل الذي هدر بصوت مزمجر شاهد الكلب هذا الحيوان الضخم هاجماً عليه، هزّ ذيله علامة الاستسلام، فركض نحو حانوت المحسّن، الذي أدرك أن الخطر قادم إليه فالتقط موسه الحاد وجرى إلى النخل ليقص لحية صاحبه، وكان المزارع يقص الحشائش فلما رأى الحلاق يجري إليه بموسه، ترك العمل وأسرع إلى المرأة التي كانت لا تزال تزدرد الخوخ والتين الناضج، فصرخ فيها قائلاً:

إذا ما تروحين بيتكم باهدّ عليك كل هاذول اللي جابهم أخوك، فارتعبت المرأة ولملمت عباءتها عليها وفرت من النخل هاربة، وعادت مع أخيها إلى بيتهما الخالي من أيّ شيء ولكنها لم تشبع.

• الأحـــاجــــي: وتسمى محلياً «الهْجَاء»

والأحجية تتألف من جملة واحدة، أو عدة جمل، مسجوعة في الغالب. تثير خيال السامع وتدفعه إلى التفكير والاستجابة للتحدي في التعرف على المطلوب وهو اسم الشيء الذي تصفه كلمات اللغز.

وهناك عدد كبير من هذه الموصوفات في التراث الشعبي في هذه المنطقة، ربما لم يتم حفظ معظمه، حيث لم يسجل ولم يكتب بعد أن مضى جيل الجدات والأمهات اللائي كن يحفظن ألوان التراث الشفوي الشعبي.

أما المتبقي المكتوب في أيدي البعض، فهو مع قلته ربما يحتاج إلى مجال أوسع من هذه اللمحة التي سنختار فيها عدداً محدوداً من الأحاجي. وسيتم إيضاح المقصود في آخر كل لغز مع الرّوْي باللهجة نفسها:

(١) صلطان عصره ماخْذ الناس بّصْره، سلاسله مرخية و لسانِه فوق ظهره (الميزان).

(٢) أربع مْكيبّات مكبكبات، اللي ما يعرفهم لاله عقل ولا ثبات (الجهات الأربع).

(٣) غنمنا يالسود حارسهم بنْ مسعود كِلّ ما جِرّ العود زادت غنمنا (القلم والكتابة).

(٤) أربعة يمشون وأربعة يكون وواحد يِخِمْ القاع. (البقرة بأرجلها وضرعها وذيلها).

(٥) حزيمة ليف يشيلها القوي والضعيف. (اللحية).

(٦) أبيض فضي خِلْقَةْ ربي دَقْ بِسلاحِه لَعَب حربي. (البَرَد – حبيبات البرد)

(٧) ضْرارٍ صرّيتَه جا الصبح ولا لِقيتَه. (النجوم)

(٨) صف عجمْ صف شامْ والبلبول ينقز قدّام (اللسان والأسنان)

(٩) طوله ثلاثين وعرضه تماثيل تخدمه الحكّام حتى السلاطين (شهر رمضان المبارك)

(١٠) طيرٍ طار في الأبحار لا له ريش ولا منقار. (الدخان)

(١١) كلّ يقطّ له الرويس حتى النبي. (الموس)

(١٢) ألف ميم تشديده وضمّه والميت إليّا مات يكفن من شعر أمّه التمر المكنوز في المحصن (وعاء الخوص)

(١٣) بنت البدو تمشي هدو تراطنّي وراطِنها وقلبي خايفٍ مِنها (البندقية)

(١٤) أبونا في البيت ولحيته في الصّله. (المرزام)

(١٥) كله عيون ولا يشوف (المنخل)

(١٦) بنتنا ياهيّه في السوق مّزهيّة، تفصخ ثوب الأخضري وتلبس ثوب الأصفري. (الأترجّة)

(١٧) شيخ الكرايم راسه نايم وذنيبه قايم. (البصل)

(١٨) جيته وما جاني، في السوق لاقاني طاقيته حمرا وثوبه خريساني (السّلق)

(١٩) واقف على رِجل ويصيْح صياحْ العِجلْ. (الباب ذو الصاير الذي يحدث صوتاً عند تحريكه.

(٢٠) خْشبِه مْشَنْشِبه في الأرض مْنشبه، تعْجز عنها الصخاخين والهِيْبه «جمع هيب» (الشمس).

(٢١) شيءٍ في الما مانطريه كريم الزاد نشريه إن كانك ماعرفتيه فانتي من

الدهاديه. (الملح)

(٢٢) بنتنا وِبْنانْها سَبْع الحلق فَذَاها، الصاعدي والراعدي ياقف على دِكانْها (البنّ – القهوة).

(٢٣) قبّة خضرا مليانه عبيدْ القِفلِ قِفل الله والمِفتاح حديد. (الجحّة – البطيخ الأحمر).

(٢٤) شْرِ نْقِط برِ نْقطْ يخلّي لحية الشايب تنقط. (البطيخ)

(٢٥) طاسة طِرطاسِة في البحَر ركَاسِه داخلها لولو وبرّاها نْحاسِة. (السفينة)

(٢٦) بنّيتنا في الصندوق وْحِسّها في السوق. (النقود)

(٢٧) شيٍّ ولا هُوبْ شِيْن ولا يمشي مع الماشين ولا حِرّ ولا قنَّاص ولا يمشي مشي الناس. (الذباب)

(٢٨) بِيضٍ مناقِرهُم سود قراقرهم يحِجون بيت الله وِهم في منازلُهم. (العيون)

(٢٩) أسود مثل الدّجا يِفطنْ له الواعي مِنْ طاحْ في غِبّته ياناس ما ضاعي. (المصحف القرآن الكريم)

(٣٠) قَعَيّدنا ياالظعروطي وِمْربّط بخيوطي شْحِيمتِه في بطنه ولا عليه شروطي (سقاء اللبن)

(٣١) مْصلّى ومْقليّ ومطبوخ بليّا ضوّ (التمر)

(٣٢) أسودْ وْسيْود لابس مريول، قاعد على الباب يِتْرزَّق الله (التاوة)

(٣٣) رعبوبة من رعابيب البرّ خلجت (خلقت) لا تشرب المَيْ (الماء) ولا تاكل عويد الجت (الرحى الحجرية)

(٣٤) يغط أذنيه وينحاش (دلو الماء في البئر).

• الأمثال الشعبية

يقول الدكتور فهد حمد أحمد المغلوث، في مقدمة كتابه « الأمثال الشعبية في الأحساء» « إن هذه المنطقة مازالت تزخر بالعديد من التراث الذي لم يكتشف ولم تصل إليه أيدي المختصين، بعد. ومن هذا التراث العريق تقف الأمثال الشعبية شامخة، تحكي واقع المنطقة وأهلها وتراثها وقيمها وعاداتها على مر العصور»

اشتمل الكتاب على ١٢٥٧ مثلاً، قام المؤلف بشرحها وبيان مناسبة وقصة ما تطلب منها ومعاني الكلمات الواردة فيها باللهجة المحلية.

وإذا كانت هذه الأمثال والأقوال والحكم تعكس خلاصة التجارب الاجتماعية والنظرات المتعمقة في طبيعة الناس والأشياء والتصاريف، على مر الحقب والأجيال، فإن صياغتها بهذا الإيجاز والبلاغة، ينبئ، ولا شك، عن قدرة اللهجة المحلية على إنتاج صيغ ونماذج أدبية جميلة، يمتاز بعضها بالوزن والموسيقى والسجع مع اختزال المعنى والدلالة في أقل قدر ممكن من الكلمات، ولو أدى ذلك إلى الرمز دون التصريح والاكتفاء عن الشرح بالإشارة والتلميح.

لا شك أن الأمثال تؤدي وظيفة فائقة الأهمية، لأنها تمكّن الناس من التعبير عن الحالات والظروف والمواقف تعبيراً أدبياً مختزلاً ذكياً عميقاً وبليغاً، مما يترك أثره الفاعل البعيد في نفوس السامعين.

وهكذا يتاح للناس عملة لفظية ذهبية يتعاملون بها ويحفظونها في ذاكرتهم ويتوارثونها جيلاً بعد جيل ورغم العدد الكبير للأمثال الشعبية في الأحساء، التي حواها الكتاب، إلا أنني أظن أن ذلك لا يمثل حصراً شاملاً لها، فما جمع، كان من ذاكرات الناس وأفواههم.

وما زلت أسمع عرضياً مزيداً منها، لم يشملها الكتاب، سأورد بعضها بعد عرض النماذج المختارة من الكتاب المذكور.

وحيث أن الأمثلة المنقولة من الكتاب مشروحة فيه فسأكتفي بإيرادها دون شرح، رغبة في الاختصار، مع بيان مقصد ماعداها، حسب الحاجة الممكنة.

الأمثـــــال المختـــــارة:

(١) أمّ البنات كرسيها من خشب وأمّ الأولاد كرسيها من ذهب.

(٢) امّ عابس تاكلْ الرطبْ واليابس.

(٣) أمرنا على القَطُوْ والقطو أمرَه على ذْنبِه.

(٤) إمش الدهر ولا تقطع النهر.

(٥) إن حكيتْ حكيتْ عِيبي وإن شقّيتْ شقّيتْ جِيبي.

(٦) أنا غنيّة واحبّ الهدية.

(٧) أنا أصّ ونْتْ أصّ كلّ شي بينّا بالنّصّ.

(٨) الأوّلْ تاعِبْ والتالي لاعِب (مع عكس العبارة حيث أن المعنى يستوي أكثر بهذه الصيغة)

(٩) البِصلْ لو طال طوله مردّه على إصولَه.

(١٠) بغاها مزحة صارت رزحة.

(١١) بغيتَك عُونْ صرت عليّ فرعُون.

(١٢) بيْنْ حانا وْمانا ضيعنا لحانا.

(١٣) تَبّي (العْفاص) مِثْلْ الخْلاصْ ؟

(١٤) تثمينْ بن بطيح.

(١٥) تعصد عصيدها وتقوّم عصيبتها.

(١٦) تعطيني بَعْطيك لا بِخل فيني ولا طِمَعْ فيك.

(١٧) تيتي تيتي وين رحتي وين جيتي.

(١٨) الثلاثا الأمر فيه ما يتّاثا.

(١٩) ثومة ماكولة ومذمومة. أو (عومة ماكوله ومذمومة).

(٢٠) جا دلاّل الفقَرا اللي لا يِنباع ولا يَنْشَرى.

(٢١) جب البيز وين البيز أثر البيز خرجه.

(٢٢) الْجدار الصّحيح ما يطيح.

(٢٣) إن كانَكْ تاكل التمر أنا أعِدّ الطعام. (أي نوى التمر)

(٢٤) حِبّي لك يابِنتْ عمّي حِبّ الدّبق لليِدين وُحبي لك ياولد عَمّي حِبّ العمى للعين.

(٢٥) حتى بو زَنّه يتمنى الجنة. (أو حتى بو زنّة يِحِبّ الحَنّة).

(٢٦) حتى الْجعبوله ذْنبو.

(٢٧) حْسين في عين امّه زين.

(٢٨) الحسا حساكْ لاجارتْ نْساك. أو (الحسا حساك لُو الكِلّ نِساكْ)

(٢٩) حِطّ عقلِك في راسِكْ تْعرَفْ خلاصِك.

(٣٠) حطّ الزينه في غظارة وُحطّ الشّينة في محّارة.

(٣١) حْمارَ جَتّ يِشيله ولا ياكِل منه.

(٣٢) خاويني وخَاويك واخِد رْجيلِك واخلّيك.

(٣٣) خسارَة من خسارَةْ إلا المرة والْحمارة.

(٣٤) خلّها في القلبْ تجرِحْ ولا بينْ الناسْ تفضَحْ.

(٣٥) ديرة ما عليها دروازه.

(٣٦) ربُو الولد ربّوه يكْبر ويَعَرْف امه وبُوه.

(٣٧) الروسْ نامت والعصاعص قامت.

(٣٨) الزين زين لو قعد من النوم والشين شين لو كحّلْ عيونه دوم.

(٣٩) صخّنّا الما وطار الديك.

(٤٠) شابت لحاهم والعقل ما جاهم.

(٤١) صام يومه وافطرْ على ثومهْ.

(٤٢) طاح الجاعد وانا قاعد.

(٤٣) الطولْ طولْ النّخلَةْ والعقِل عقل الصّخلَة.

(٤٤) الطّويله مااقدْر أرقاها والقِصيرة كِلّها شُوْك.

(٤٥) الطّويلة قِضَتْ حاجَتْها والقِصيرة نادَت جارتها.

(٤٦) عافها عزيمةْ وُجاها طْراره.

(٤٧) عكّومة النخلْ رباطْ البيت.

(٤٨) عِرْسِك رَبّضَه ما بهْ ربح جاتِك تركضْ قَبْلْ الصّبحْ.

(٤٩) علمناهُمْ الطّرارَه سِبْقُونا على البيبان.

(٥٠) عليك بِبْنَيّة عمك لُو بارتْ والدّروبْ لُو طالت.

(٥١) عندنا عيشْ وعندكِم عيشْ وها العزيمة على إيشْ.

(٥٢) عنز قِطرْ تحبّ الخير وتكرَهْ المطَرْ.

(٥٣) غْويْر وِزْويّر وِالمنكِسرْ واللّي ما فيه خِير.

(٥٤) الفاضي يسوّي نفسه قاضي.

(٥٥) الفرسْ مِن خيّالها وِالمَرة من رجّالْها.

(٥٦) قصقصْ طِيرِك ولا يْلوف لْغيرِك

(٥٧) شْظهّرك ياجعاونيّه مِنْ حَماكْ وطينِكْ؟

(٥٨) شعلّمْ الحْمار باكل الكنار وشعلّمْ النخلاوي بِرقادْ النهار.

(٥٩) شفيك مربربة قالت من قِل الرّبى.

(٦٠) إصرم وِاعكم على البدو.

(٦١) أقرعْ ولابِس كبّوسْ وهذا زِمان منكوسْ.

(٦٢) إلّلي إمّه في الدار عجايبه كبار واللّي إمّه في الصّكّة بقعا تصكّه.

(٦٣) إلّلي في الجِذْر يِطلْعِهْ الملآس.

(٦٤) إلّلي لهْ لْسانْ ما تاكله الخنفسان.

(٦٥) إلّلي ما عنده فْلوسْ يَقْعِد يِحوسْ.

(٦٦) إلّلي ما عنده مَرَه يِشرَبْ مرمره.

(٦٧) إلّلي ما يْسوقه مِرضَعه سُوق العصا ما ينفعه.

(٦٨) إلّلي ما عنده مهنة يلْعب بالّدهْنة.

(٦٩) إلّلي يبينا عيّتْ النّفس تبّيه وِاللّي نبيه عيّا البَخَتْ لا يجيبه.

(٧٠) قطْع الأعناق ولا قطع الأرزاقْ.

(٧١) كلّ جديدْ بْجِدّته حتى الحمار بْعِدّته.

(٧٢) كِلّ حِلُو وقابي إلا المحشّ الكابي.

(٧٣) الكوتْ وُربْعْ القوت (هَجِر ورِبْعء القوت).

جملة من أمثال من مصادر أخرى:

(٧٤) بو مزّاحْ إن شافك وِلاّ راح:

قد يعمد بعض ضعاف النفوس ممن يزورون صديقاً لهم في بيته أو نخله أو مكان نشاطه أو جلوسه، إذا لم يجده، بأَخْذ شيء بسيط تافه من المكان عند انصرافه، فإن وجد صاحب المكان داخلاً وفاجأه، ادّعى بأنه إنما كان يمزح. وإلاّ انصرف بما أخذ.

(٧٥) شورَة مِنْ لا يشاور مِثْلْ الفانوسْ في النهار:

أي إنك إذا استشرت من هو ليس أهلاً للاستشارة فالفائدة هي مثل فائدة الفانوس في النهار.

(٧٦) قرنقَعةْ جِليلةْ (قليلة) المنفعة:

يقال عن الشخص الذي لا يفيد في شيء أبداً.

(٧٧) المال مال أبونا وِالقُومْ طرّدونا:

أي إنّ النعمة التي ينعم بها أناس وحرمونا منها هي، أصلاً، من أموال والدنا وليس لهم حق فيها.

(٧٨) رَنْرِنْ رَنْرنْ ياجرسْ حوّل واركب عا الفرس:

يبدو أن هذا يقال احتفاءً وتشجيعاً لشخص فذّ شجاع له فرس لينطلق به إلى معركة.

(٧٩) لُو كِلّ من جا نَجرْ ما بقى في البّر شِجَر:

أي إنْ كل من ادعى إجادة النجارة وقَطَعَ الأشجار التي في البرية لينجرها، فلن يتبقى في البر أية أشجار.

(٨٠) الكُون عند المتسفّر هَين:

أي إن الحرب بالنسبة للمتفرج عليها مسألة هيّنة.

(٨١) من خَذْ أمّنا صارْ عمّنا:

أي إن من يتزوج والدتنا بعد طلاقها أو وفاة والدنا، فهو يصبح سيداً لنا.

(٨٢) الأكل أكلْ الحوت والحالْ مسحوت:

يقال عن الشخص الشره في الأكل الذي يظل نحيفاً لا يسمن.

(٨٣) إكف البرمة على فمّتها،تطلع البنّية على اميمتها. (ورد هذا المثل في كتاب الأمثال الشعبية في الأحساء للدكتور فهد المغلوث ولكن باختلاف في بعض الكلمات): يقصد بالمثل أن طباع الابنة هي من طباع والدها.

(٨٤) خرفرفْ شيء يعرف وشي ما يعرف:

يقال عن أشياء مشتبه فيها.

• من الشعر الشعبي في الأحساء:

الشاعر حمد بن عبد اللطيف المغلوث:

يعود نسبه إلى عبده من قبيلة شمّر. ولد في مدينة المبرّز بالأحساء عام ١٢٦٧ هـ، وتوفي عام ١٣٣١ هـ. وهي الفترة التي شهدت أحداثاً جساماً في هذه المنطقة، خلال فترة الحكم العثماني الثانية للأحساء، كان لها آثارها البعيدة على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فيها. وكان الشاعر المغلوث قريباً جداً من معاناة الناس وهمومهم[١]، فسجل بعض تلك الأحداث في شعره. كما تنوع شعره بين السياسة والغزل والنسيب والمدح والفخر والرثاء والوصف والحنين إلى الوطن. له مساجلات عِدة، وهو يعتبر القدوة الأولى والمثل الأعلى لشعراء النبط، على وجه العموم [٢]. ووصفه المؤرخ صالح الذكير بفارس الشعر النبطي في الجزيرة والخليج. ومن شعره الذي يصور الأوضاع الأمنيّة المتردّية في الأحساء، خلال الحكم العثماني الثاني، قصيدة جاء فيها:

لو با تمنى قِلْتْ ياليتْ من فـرّ — فـرّة عفـاب جافـلٍ مـن مِقرّه
من ذا البلد اللي تزايد فيها الشرّ — إلْـكلّ عاشْ وشـافٍ منها المضرة
لاباشـةٍ فيهـا السّـداد يدَبّره — ولا كبـيرٍ تَـلّ جنـده وُجـرّه[٣]
الرّومْ واطين على ضلـعْ الأبهـر — والبـدو زادوا حرّةٍ فـوقْ حرّة[٤]
ترى الغنم من غير راعي تِشـعْثَره — في كِلّ منهـاج وشِـعْبٍ تِمـرّه
وترى الحسا مغبوطةٍ مثلْ الأجهـر — عمي البصـر واللي يشـوفه يغرّه
حِنا غدينا بين بدوٍ وعسكر — والكِلّ منهم عَمّ الإسلام شرّه[٥]

١- شاعر الخليج النبطي حمد العبد اللطيف المغلوث. المهندس خالد أحمد المغلوث. له ديوان شعر يمثل ما عثر عليه من شعره. اتخذ الكويت مكان إقامة له.

٢- المصدر السابق ومقال صالح الذكير بجريدة اليوم ١٤٢٠/١١/٢٩ هـ.

٣- الباشا هو لقب المتصرف التركي في الأحساء (شاعر الخليج).

٤- المقصود غارات البدو على الأهالي وقطعهم الطرق والنهب والقتل.

٥- العسكر هم جنود الترك في الأحساء.

الشاعر عبد اللطيف الجعفري الطيّار:

كان موهوباً حاضر البديهة، ناقداً اجتماعياً صريحاً، ساخراً ومرحاً، غزير الإنتاج كان له ديوان مخطوط، لكنه فقد. وكان كثير من أصدقائه وأصحابه وأقاربه ومن نساء من أسرته وأقاربه يحفظون معظم أشعاره أو بعضها ويرددونها في مجالسهم، وحتى الصغار كانوا يأنسون بسماع أشعاره، لكنهم لم يحفظوها. وهكذا، بفقد ديوانه، وانحسار الجيل الحافظ، فقد ضاع معظم شعره. ويكمن السرّ في شعبية شعره أنّه نادراً ما يترك حادثة أو موقفاً أو تصرفاً غير متوقع من شخص معروف في الوسط، إلا وعلق عليه بأبيات من الوصف أو النقد أو السخرية. لذا كان أمثال هؤلاء يسارعون إلى معالجة أخطائهم، حتى لا يظل ما قيل عنهم ثابتاً في ذاكرة الناس. توفي ربما في أواخر الخمسينات الهجرية، سافر إلى عُمان والهند طلباً للعمل والرزق، ولم يستطع البعد عن بلده. وفي إحدى سفراته، سقط وكُسرت قدمه، ولم تبرأ، فلقّب بالعرج، ومنها اشتق اسم ديوانه الذي اقترحه بعض أصحابه، ليكون « رفع الحرج عن ديوان العرج». وكان يمكنه أن يَنْظم بلسان قريب إلى اللهجة البدوية. كما ينظم على لسان آخرين بطلب منهم إليه. ومن ذلك ما نظمه على لسان محمد العبد الهادي، مدير مالية الأحساء، الذي ثبته الملك عبد العزيز على وظيفته هذه، بعد دخوله الأحساء، وكان قد تأذى من كثرة تردد ومطالبات أحد أبناء البادية المدعو « المعنّى» بمخصصه الشهري من المالية، غير مقتنع بجواب المالية الدائم بأنه لم تصل إليهم نقود، وبأن عليه أن ينتظر. وكان الشاعر ذات يوم في زيارة لصديقه المدير، فطلب هذا منه أن يعتذر على لسانه بالشعر لذلك البدوي، وفي الحال، قال أربعة أبيات، وهي:

عزّبْ ذلوللك يالمعنّى ثلاثين ماهيبْ كثيرة عندنا يالمعنّى.[1]

كم واحدٍ قَبْلَكْ وعدناه تِسعينْ يجْبِلْ وُيجفى بالمواعيد منّا[2]

١- عزّبْ: إجعله يرابط. ثلاثين: اي ثلاثين يوماً.

٢- أي إن غيرك الكثير ممن اضطروا للانتظار تسعين يوماً وهم يترددون على وعود منا ونحن في انتظار أن نتمكن من صرف مخصصاتهم.

لينْ أيسَرْ الصّندوق ما حنا بّاخلين   ولينْ أعسرْ الصندوق ما هوبْ منّا[1]

طبْعْ البَدُو لينْ بغُوا الشيء عَجْلينْ   كِلّ يـبي دنيـاه علـى تِمنّـىَ[2]

الشيخ عبد العزيز المصطفى:

كان طالب علم زاهداً، ذا شخصية محببة للجميع، يحضر حلقات العلماء والمشايخ وله أصدقاء خلّص من شعراء وعلماء لغة وشريعة. وكان يحفظ أشعار أصدقائه الشعراء سواء من أهل الفصحى أم العاميّة، كالسيد عبد الله بن أحمد الهاشم وعبد اللطيف الجعفري الطيّار. توفى رحمه الله في الثمانينات الهجرية. له أشعار بالعامية. ولا أعرف ما إذا كان له أشعار بالفصحى أم لا، وهو صاحب روح مرحة تظهر في القصيدة التالية التي يحاور فيها حظّه ويعاتبه لحرمانه ومرضه وتواضع حياته، وهي من القصائد النادرة التي تظهر فيها آثار التحول الحضاري الذي طرأ على منطقة الأحساء والذي يمثل بداية عصر النفط، كما يرد فيها إشارة إلى خشية من غارة جوية، ربما يكون المقصود بها ما ذكر في غارة جوية إيطالية على الظهران، حيث شركة أرامكو التي كانت أمريكية وتمد القوات الأمريكية الحليفة لبريطانيا وفرنسا، في حرب الحلفاء ضدّ دول المحور، في الحرب العالمية الثانية ومنها إيطاليا – بالوقود. وقد كان الشيخ أعشى ويبدو أنه لم يكتب له الزواج، وربما كان هذا هو أشد ما عانى منه، بدليل بثه قصيدته بتحسّره على ذلك وقد عنونت بـ « بن مصطفى مع حظه».

كِلّ تزوّج وَنَا تَمّيتْ   مالي خِلّ يسلّيني

حيّ تراني ولكن ميْتْ   من لي بنفس يعزّني

تَميّت جالس بوسط البيت   خايف من الواشي يشنيني

---

[1] فإذا ايسرنا بتوفر المال بالصندوق فلن نبخل على أحد بحقه، ولكن عندما يعسر الصندوق فليس ذلك ذنبنا.

[2] - ولكن هذا طبع أهل البادية إذا أرادوا شيئاً فطبعهم استعجاله دون تفهم للظروف. ولعل كل امرئ يريد أن تأتي أمور دنياه على الكيفية التي يتمناها.

كلّ ما تِمنيتْ واهتمّيت وُدَوّرتْ حظّ يجدّيني
قالْ لي مريض ولا صحّيتْ اطلب من الربّ يشفيني
لا سَلْتْ عني ولا داويتْ هيّا إلى «ديم» ودّيني[1]
دوّرت مُوْتَرْ ولا وافيتْ إلا حمار يوديني
رِكَبْتْ وِيّاه يابا الفيت فرحان يُوعِدْ ويمنّيني[2]
لِلكَنْب جينا محلّ الزّيتْ وِتْباشَرَوا بي مْحيّيني[3]
يُوم تِفرّغتْ وِطْمَنّيتْ له قِلْتْ بِنْسيْر ذا الحين
قالْ الدخاتِرْ على ما رِيْتْ وَنا مِتْخَوّف على ديني[4]
خَلّنا نْصَلّي وْشبّ الّليتْ وِلْزِم على «ديم» ياتيني[5]
في ذا وَمِثْله وَنَا يَاشيْتْ خايفْ بْقِرْبَه يعاديني[6]
إلاّ القنابل والديناميت من شاهج الجو ترميني
قِلْتْ يالوْقيشر شذا سوّيتْ في حومة الموت ترديني
قال لي إشُورِكْ إذا فرّيتْ بتروح عني تْخَلّيني
وَنَا عويج ولا صلّيتْ نجِس ولا أنتبْ توضّيني
الشورْ عندي نِردّ البيت كودِ إنّ ربّكْ يعافيني
أنبا حليب مع تشاكليت ومِنْ خادر الشاي تسقيني[7]

١- ديم احد اطباء البعثة الأمريكية التبشيرية في البحرين، كان مع الدكتور هاريسون والدكتور ستورم يزورون الأحساء دورياً لعلاج الأمير والمرضى من الناس مجاناً.

٢ - يابا الفيت: مع تصميم وأمل كبير

٣- الكَنْبْ: حي السكن لموظفي أرامكو

٤- الدخاتر: الأطباء. وخوفه على دينه من التبشير.

٥- شب الليت: أضيء المصباح الكهربائي. ويبدو أن الطبيب كان في الظهران آنذاك.

٦- عاديني: يعديني (بدينه).

٧- أنبا: أريد. تشاكليت: شوكولاته

وُصابونْ لِكسٍ مع زقريت — وُصحن قوّان يِغنّيني[1]
وُبدلات لاس مع تْواليت — وجوتي سليبر يوقّيني[2]
وُبودَرْ مْريكي معاه تشويت — ومدام وُليقَرْ تسْلّيني[3]
ومركوبْ شخصي متى نوّتْ — لي طاري عاد يطريني
وأبْغي بقيشة وأبغي بيت — يْفرّجْ همومي ويِسلّيني[4]
قلتْ يا الوقيشرْ أظن جنّيتْ — وين التّنسّك مع الدّينِ
إن صرتْ عصري ترى ولّيتْ — وُعافوكْ حتى المساكينِ
مْقدّرْ شْروطِكْ وما فنّيتْ — السّقا عِندي وُيكفيني[5]
إنْ طِبْتْ كِيفِكْ وِنْ عيّيْتْ — مْقيْطْ ورشاه إلى حين[6]

الشاعر السيد عبد الله بن السيد أحمد الهاشم:

هو من شعراء الفصحى. وله أيضاً منظومات باللهجة العامية. منها هذه الوجدانية[7].

برقٍ بدا من جانب العينْ خفّاق — أمسى بشوفَهْ نازِحْ الدارْ مسلوبْ
يجني سنا نورَه على كِلّ مشتاقْ — قلبَه غدا منْ فِرقَةِ الخِلّ منهوبْ
باسَايلكْ بالله قسّام الأرزاق — ومِن يِمنح الجودْ طِليب ومطلوب
ومِن قدّرْ الأشياء بْجَمْعْ وفِراقْ — حتى ابتلى به طاهر القلب يعقوب

١- زقريت: سيغارة. صحن قوان: اسطوانة الغراما فون وربما حرفّت كلمة قوان من مصدرها الأصلي حيث أنها بهذا اللفظ يبدو لي أن ليس لها معنى.

٢- اللاس: قماش ناعم مصقول أصفر. تواليت: قصة الشعر. جوتي سلبر: حذاء من نوع سليبر الفاخر.

٣ تشويت: مكعبات بلون أزرق لتلوين الملابس البيضاء. مدام وُليقر: سيدة أمريكية.

٤- بقيشة: تصغير بقشة: وهي مظروف قماش أو ورق: ربما هي إشارة إلى حاجة إلى المال.

٥- ما فنيت: ما اقترحت. السقا: في الأصل السّقاف وربما يكون اللفظ محرفاً حين نقله من الأصل. ولا يبدو أن له معنى بهذه الصيغة.

٦- كيفك: على ما تحب: ونْ عييت: أبيت. مقيط ورشاه: عبارة تقال لمن يرفض قبول كل ما يعرض عليه.

٧ - من عدة قصائد له في مخطوط جامع لعدة شعراء.

إن جيتْ حينْ زاهي الروضْ برّاقْ وِقصورَهْ اللّي وِسطَها العزّ مضروبْ

وجنان خِضرٍ كاسياتٍ بالأوراق واِنهارَه اللّي جارياتٍ على الدوب

وَقومٍ مناعير على الفخر سِبّاقْ في دوحةْ العليا لِهُم بيت وِحسوب

الشيخ إبراهيم بن عبد المحسن العبد القادر:

يقول الشعر العامّي، وله قصائد فيه يقول في تقديم إحداها: من محاولاتي (في الشعر العامي) نزلنا في حي غصيبة في بيت به نخلة غير معروفة النوع تسمّى «نشوة»[1]، فشكوها لصديقي بالشعر العامي، في هذه الأبيات:

ها النشوة القشرا علوها الكواريب.[2]

تمّت أسافلها وأعالي فِقَرْها[3]

شيٍّ يطوله شاطرٍ باطرف الهيب[4]

وشيٍّ كما الخنجر نبت في نَحرَهْاَ

جوّد مكان الطّلْعْ ويحتاج تشذيب

وُعندك يبو صالح طرفْ من خَبَرْهَا

وعْلاجْها عندي عقفا وْتجذيب[5]

لكنْ أَمِرْهَا عند والي أَمِرْهَا

بعض النّشُوْ يجمع جميع العذاريب

وُبعضَه يفوق معرّباتٍ تَمِرْهَا

١- النخلة النشوة هي التي نبتت ونشات من نواة وليس من فسيلة.

٢الكواريب جمع كاروب وهو نسل النخلة الطالع في جسمها.

٣- الفقر جذور السعف في تاج النخلة.

٤- الهيب أداة حديدية.

٥- العقفا أداة حديدية حادة.

الأحساء التاريخية، ماذا تبقى ؟

من طبيعة الأرض المنتجة ذات الماء الوفير، أن تشكل مركز استقرار بشري واجتذاب لجماعات وقبائل وأفراد يفدون إليها من مناطق مجاورة شحيحة الغذاء أو قليلة الأمن، أو حتى من أماكن بعيدة، لأسباب اقتصادية أو اجتماعية. والأحساء بمياهها ونخيلها وموقعها، كانت مقر حضارات وأقوام متمدنة عاملة ومنتجة ومحترفة ذات اتصال اقتصادي وتجاري وسياسي وحضاري بالمناطق والمجتمعات المجاورة والبعيدة.

لذا يمكن القول إن مجتمع الأحساء، مع قدمه، كان يستقبل على مرّ الزمن وجوهاً جديدة، تفد بخبراتها ولهجاتها وثقافاتها، إلا أن الفروق هذه يتم امتصاصها وذوبانها في المجتمع المستقر. بالتكيف والانسجام والمماثلة، مع تعاقب الأجيال.

وإذا كنا نشهد، في مجتمع الأحساء اليوم، تفاوتاً في اللهجة المحلية والتقاليد الأسرية المتمثلة في الروابط الداخلية والبيئية فما ذلك إلا لأنّ بعض العائلات المهاجرة إلى الأحساء لم يمض على قدومها من الزمن ما يكفي لذوبانها كلياً في المجتمع القديم.

ومن حيث التركيب الاجتماعي قد لا يختلف مجتمع الأحساء عن أمثاله في شبه الجزيرة العربية من حيث الطبقات الاقتصادية والمهنية والتعليمية والفئات القبلية.

وإذا كنا نتحدث عن السمات الحضارية والثقافية لمجتمع تاريخي. فإننا يجب أن نرسم خطاً فاصلاً، توقف عنده هذا المجتمع بتوقف أنماط الحياة وطرق العيش

أمام نهر البترول الذي بدأ يتدفق على أرضه في النصف الثاني من القرين الذي انصرم لتوّه، حيث وفدت المدنية الحديثة وتراجعت البيئة الاجتماعية والمعيشية التقليدية، وها نحن نشهدها تلفظ أنفاسها الأخيرة في أطلال مدن الطين وقضاء الآباء والأجداد الجيل المخضرم وإمحاء العائلة الكبيرة، وظهور العصر الحديث وحياته الاصطناعية التقنية، والأسرة النووية الصغيرة المعلبة في مكعبات الأسمنت والحديد.

هل يقضي مناخ العصر الجديد على كل شيء قديم ؟ لقد شاءت إرادة الله أن يتزامن هذا الانقلاب مع نضوب العيون التي جعلت من الأحساء منذ وجدت جنة خضراء تجري من تحتها الأنهار.فأضحت غابات النخيل تروى بمياه قليلة تضخ من أعماق الأرض بالماكينات وتآزر جفاف الأرض الزراعية مع التلوث البيئي ومجتمع الاستهلاك فتضررت التربة والزراعة.ومع تغير نمط الغذاء لم يعد التمر،وهو المنتج والغذاء الرئيسي للأحساء، يجد الإقبال المعهود عليه،فهبطت أسعاره،مع ارتفاع تكاليف زراعة وخدمة وصيانة النخيل. إلا أن حب النخيل لايزال ينبض في قلوب أهل الأحساء،فغدا امتلاك النخل ورعايته هو بقصد المتعة أكثر مما هو للمردود الاقتصادي. وقد ساعد إهمال أوقاف النخيل على دمار الكثير منها في مقابل ذلك سعى الكثيرون إلى تملك أو تحويل مزارع النخيل إلى استراحات تؤجر باليوم،حيث تصلها الكهرباء ويضخّ الماء في بركها من باطن الأرض ولكن بغزارة واستنزاف كبير يهدد مخزون المنطقة من مياه الأعماق.

تشكل مزارع النخيل ملاذاً للتسلية والمتعة لمالكيها و أسرهم وأصدقائهم،ولمن يسأجر الاستراحات منها،من عائلات وعزاب لم تقو رياح العصر الحديث أن تكتسح كل شيء دفعة واحدة. وبمثل ما أمست الأرض تقاوم ليستمر خيرها وعطاؤها وجمالها، أمسى أهلها بصعوبة، يقاومون التغير، فيحاولون الإبقاء على عادات الترابط والتواصل في الزيارات والدعوات والمناسبات والأعياد والحفلات ومجالس الأسر الكبيرة ومجالس العلم والأدب.

الأحسائي، بطبعه بسيط، مرح، مسالم وكريم، ومتعاون لذا، فقد ساد السلم والتعاون والترابط الاجتماعي، ومن هنا كانت هذه السمات التي عرف بها مجتمع الأحساء، والتي لمسها كل وافد ومهاجر وزائر إلى بلادهم. لكن إلى متى سيصمد ذلك أمام عصر المادة والتنافس وضيق الفرص وظهور الفرد وتكاثر السكان ونشوء المدن الضخمة المزدحمة وتباطؤ التنمية؟

• إلى متى ستصمد الأرض والإنسان في وجه التغيّر؟

حين بدأ الناس ينتقلون من بيوتهم الطينية إلى المباني الخرسانية، ذات الكهرباء والتلفزيون والأجهزة الحديثة كانوا يتخلصون من أدوات العيش القديمة، فتلف وضاع الكثير منها، وانتقل كثير منها إلى خارج البلاد وفي السنوات القليلة الأخيرة أصبحنا نرى حوانيت تباع فيها بعض تلك الأدوات، يشتريها الزوار الأجانب، وعدد قليل من أهل البلاد، ممن عاصر آخر مجدها في مقتبل حياته.

هؤلاء أنفسهم، نراهم يتلفتون إلى الماضي فيبنون حجرات وملاحق تقام هنا وهناك، تحمل ملامح من عصر الطين، الذي تحولت بقاياه المهجورة المتهدمة إلى خرائب وأطلال. أما الآثار فقد بدأ الاهتمام بها وصيانة بعضها يظهر على المستوى الرسمي والعام. رغم إزالة واندثار الكثير منها.

لكن حين يمضي آخر جيل فتح عينيه على العصر القديم، ويكبر هؤلاء الأطفال ممن هم على مقاعد الدراسة الآن، ممن فتح عينيه على عصر الفضاء والإلكترونيات، ممن لا يرى في الجدران المتهدمة والتحف القديمة أية فائدة أو معنى، ممن لا يرى في النخلة تلك الأم الرحيمة الكريمة الجميلة، ولا في رطبها وتمرها ثماراً تفوق الشيكولاتة وشرائح الهامبورغر، حينها قد تختفي آخر صورة للأحساء التاريخية القديمة حتى «حزاوي» الجدات ذات الخيال الساحر والأساطير الغريبة، وحتى الأمثال الشعبية

والكلمات الشعبية، ربما لم يعد لها وجود إلا في بطون كتب نادرة، قد لا تجد حتى من يسأل عنها.

إذا كان قد مرّت بنا لمحة عن طبيعة العلاقات والسلوك والآداب الاجتماعية، لهذا المجتمع، بوجهها الإيجابي فقد نحاول في التالي إعطاء صورة تقريبية موجزة عن الجوانب السلبية له.